

ملف العدد:
كربيلاء، ثورة العطاء

رَبِّ الْعَالَمِينَ

إسلامية ثقافية شاملة



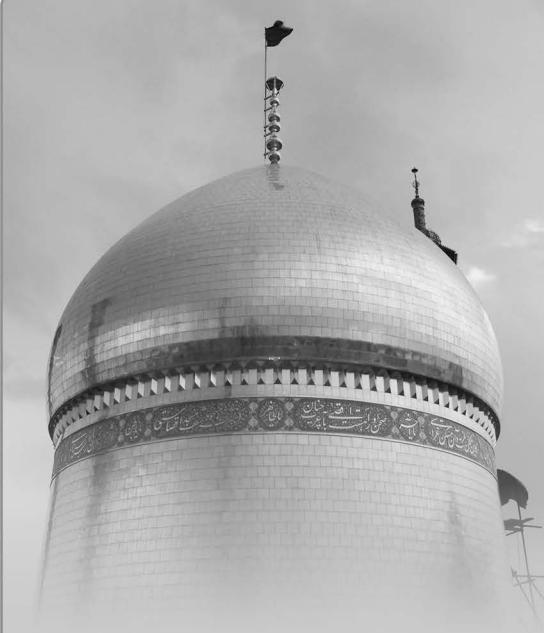
العدد السابع والثلاثون . السنة العاشرة - محرم ١٤٣٥ هـ . نوفمبر ٢٠١٣ م

- ◆ الخطابة الحسينية ... حوار مع سماحة الشيخ عبد الله الديهي طه
- ◆ الإحياء العاشورائي والوحدة الإسلامية
- ◆ عوامل خلود كربلاء (القسم الأول)
- ◆ من الغدير إلى كربلاء
- ◆ مشروعية البكاء من كتب العامة
- ◆ الثورة الحسينية مبادئ وقيم
- ◆ العلاقات الدولية في القرآن الكريم (القسم الثاني)



رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة



فصلية تصدر عن
طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية
مكتب البيان للمراجعات الدينية

• الهيئة الاستشارية:

الشيخ عبد الله علي الدقاد
 الشيخ علي فاضل الصدقي
 الشيخ غازي عبد الحسن السماك

• المشرف العام :

الشيخ عبد الرؤوف حسن الريبي

• رئيس التحرير:

الشيخ محمد علي خاتم

• مدير التحرير:

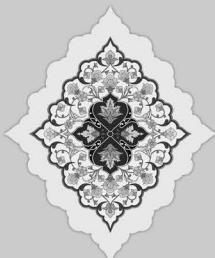
الشيخ حسين فؤاد المرزوق

• رئيس هيئة التحرير:

الشيخ عزيز حسن الخضران

هيئة التحرير:

الشيخ حسين علي أبو رويس
 الشيخ محمد باقر خليل الشيخ





الوظيفة الأكمل

٣

رئيس التحرير

٦

حوار مع سماحة الشيخ عبد الله الديهي خطبة

٢٣

الشيخ علي فاضل الصدقي

الإحياء العاشوراني والوحدة الإسلامية

٣٥

الشيخ رائد عبد الكريم الخينزري

عوامل خلود كربلاء (القسم الأول)

٥٣

الشيخ مهدي عباس البحرياني

من الغدير إلى كربلاء

٦٣

الشيخ محمد علي خاتم

مشروعية البكاء من كتب العامة

٧٥

الشيخ عزيز حسن الخضران

الثورة الحسينية مبادئ وقيم

٩٣

الشيخ علي أحمد الكربابادي

الذلة في العلاقات الفقهية

١٠٤

الشيخ عبد الله عبد النبي ضيف

المنة الإلهية

١١٨

سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم خطبة

العلاقات الدولية في القرآن الكريم (القسم الثاني)

١٤٢

الشيخ محمد صالح مهدي السماني

فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) موجودة في أرض قم (القسم الأول)

١٧٥

الشيخ حسين فؤاد المرزوقي

تعارض الجرح والتعديل عند السنة والشيعة

كتاب العزيز

كتاب العزيز

كتاب العزيز

كتاب العزيز

كتاب العزيز

كتاب العزيز

الوظيفة الأبيهمل

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على محمد وآل محمد.
الظلم قبيح، الصدق حسن، الكذب قبيح، يجب على الأفراد
الابتعاد عن كل ما يضر ويسيء للمجتمع هذه وغيرها تعتبر مبادئ
ينطلق منها العاقل في حياته كلها ويعالج بها قضاياه المختلفة.
وهذه المبادئ ليس لها مكان خاص أو زمان معين بل هي موجودة في
كل موطن وجد فيه عاقل، وكذا كل شيء ارتبط بهذه المبادئ فهو
غير محدود بزمان أو مكان. وهذا سر من أسرار خلود ثورة الإمام
الحسين عليه فهي ثورة مرتبطة بالمبادئ والقيم الحقة وهذا أمر لا
يختلف عليه اثنان، فقادتها معصوم لا يخطئ وتشخيصه هو
تشخيص إلهي، وأهداف ثورته مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحق تعالى
فاكتسبت بقاءها وانتشارها -مؤثرة- من ذلك رغم ما جرى عليها
من محاولات نكراء لتجريفها على مختلف الأصعدة فملئت كتب
التاريخ والحديث بالأكاذيب والتضليل والزيادات وتعمد الإنقاذه
والانتقام لهذه الثورة المباركة، لكن الحق تعالى واعد بالنصر ﴿إِن
تَنْصُرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَبَتَّ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١).

بعد هذه المقدمة: نقول ثورة بهذه العظمة واقعة موقع
العناية من العزيز الجبار كيف ينبغي لنا أن نتعامل معها؟ وكيف
لنا أن نتعامل مع قائدها؟

لا يقال: إن مسؤوليتنا تجاهها هو أن نبقيها حية في نفوس
المؤمنين.

لأننا سنقول: إن هذه ليست وظيفتنا لأن هذه الوظيفة قد

تكفل بها الله عز وجل حيث جعل الملازمة بين الإيمان والحرارة فمن كان مؤمناً بالله تعالى معتقداً بالإسلام -أي بالنبي والائمة عليهما السلام وما جاء عنهم- فإنه يخترق حسرة لما جرى على أبي عبدالله الحسين فعن الصادق عليهما السلام أن رسول الله عليهما السلام قال: «إن لولدي الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً». ثم قال الإمام الصادق: بأبي قتيل كل عبرة. قيل وما قتيل كل عبرة يا بن رسول الله؟ قال: لا يذكره مؤمن إلا بك»^(٢).

الوظيفة الأكمل جاه قضية الإمام الحسين عليهما السلام؟

إذاً الوظيفة الأكمل في الواقع هي وظيفة عظيمة جداً، وهي منصبة على عاتق الجميع بلا استثناء من الرجال والنساء والصفار والكبّار وهي تكمن في أمرين، أولهما: التعريف بالإيمان وحقيقة ومارسته حقيقة، وثانيهما: التعريف بالثورة الحسينية ابتداءً من أهدافها مروراً بما جرى فيها وانتهاءً بالاستفادة منها.

فلا بد من أن يكون المنتهي إلى الإمام الحسين أن يحمل إيماناً رصيناً والتزاماً به في كل حياته وهذه المسؤولية على العالم وعلى الآباء والأبناء والإخوان والأصدقاء وكل أفراد المجتمع فتنشأ الضرورة الشديدة للتواصي بالحق ابتداءً من تعلم أحكام الدين والعقيدة والدفع لذلك وانتهاءً بمارساتها في السلوك العملي. فمن التعليم إلى التطبيق يحتاج الفرد منا -صغيراً كان أم كبيراً- إلى أن يتعلم علوم الدين بقدر طاقته ويطبقها أولاً في حياته ثم يشجع بقية المؤمنين على ذلك. ولابد أيضاً من تعريف الأمم بالحسين وثورته المباركة بالعبرة والعبرة.

فلذا لابد من ترسیخ هذين المفهومين في حياة الأمم فمن عرف الإسلام وعرف تطبيقاً عملياً للإسلام متمثلاً في الإمام الحسين عليهما السلام وطبق ذلك في حياته فإنه يكون مؤمناً حقاً مستحقاً لأعلى درجات الجنّة «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيْيْنَ»^(٣).

وعليه فمن آمن بالصلوة وتساهل في أدائها فهو ليس منتمياً للحسين... وكذا من تساهل في تعلم الدين وأحكامه...

وكذا من لم يبال في تعلّمه لفاهيم الإسلام ولم يهتم بمن يأخذ عنه هذه المفاهيم بأن أكثر من مطالعة كتب الضلال والعلمنة وما شاكل من كتب الأخراف الفكري...
وكذا من أطلق لنفسه العنان في ممارسة ما يشتهي من سلوكيات ويلبس ما يشاء بدون لحاظ الضوابط الدينية والإيمانية لذلك...
وكذا من تعمّد توهين القائمين على الدين وحماته...
وكذا من يسيء في مارسته للشعائر الحسينية فيستغلاها ليأخذ منها الوجاهة والسمعة بين الناس...
وغيرهم من لا يعيرون قلوبهم لصوت الحسين إلا كما يشاؤون. فهؤلاء ليسوا حسينيين ولا ينتمون إلى الحسين وعملهم وإن كثر فهو هباءً منثور كالهشيم تذروه الرياح أي أنه لا قيمة له عند الله عزّ وجلّ. بل قد يكون وبالاً عليهم يوم القيمة ذلك لأنهم لم ي عملوا بما قام لأجله الإمام الحسين عليه السلام وهو الدين.

رئيس التحرير

(١) سورة محمد ٤٧: ٧.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ج ١٢ باب ٨٣ ح ٢١٧.

(٣) سورة المطففين ٨٣: ١٨.

الخطابة الحسينية

حوار مع سماحة الشيخ عبد الله بن الشيخ ملا حسن الدبيهي^(١) (احفظه الله)

حاوره: الشيخ محمد باقر خليل الشيخ

لا يخفى على أحد ضرورة الجانب الإعلامي التبليغي عند كل مذهب فكري، فهو يحتاج إلى المادة الرصينة القابلة للترويج وإلى الفن الذي به يحصل ذلك الترويج، وتحتفل الأسلوب في المجتمعات والعصور وتتفق في الأسلوب الأكبر المؤثر وهو أن يخاطب الفرد جماعة تقابلها وهذا ما يحتاج إلى نظر وتأمل إذ لن يؤثر هذا المخاطب في المخاطبين إلا إذا تحصل على ملكة التأثير وحصول الملكة تحتاج إلى ممارسة واعية ومدروسة وإلا فلن يوفق إلى ذلك.

وبما أن شهر المحرم مُقبل على الأبواب، ارتأت المجلة ان تجري حواراً مع أحد خطباء المنبر الحسيني وهو سماحة الدكتور الشيخ عبدالله الدبيهي، آملين في إثراء هذا العنوان بتسلیط الضوء على بعض جوانبه المختلفة.

❖ كيف نعد المحاضرة الخطابية؟

❖ بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد وآلته الطاهرين.

أشكر القائمين على هذه المجلة الوعادة، والتي أرجو أن تكون رائدة، متميّزة للقائمين عليها دوام التوفيق.

قبل الجواب على سؤالكم أولاً: أورد على العنوان (المحاضرة الخطابية)، أنا أميل إلى تسميتها بـ(المجلس الحسيني) أو (المجالس الحسينية) اقتداءً بتسميتها من قبل الإمام الصادق علیه السلام، كما ورد أنه علیه السلام قال لفضيل بن يسار: «أجلسون وتحذثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال علیه السلام: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، يا فضيل: رحم الله من أحيا أمرنا...»^(٢).

وثانياً: أتعرض إلى تعريف المجلس الحسيني، وتعريف التحضير للمجلس الحسيني.

١- تعريف المجلس الحسيني: هو المجلس الذي يشتمل على ما يلي:

أ- الديباجة، وتشمل: البسملة، والصلوة على محمد وآل محمد، وخصوص السلام على الحسين بن علي و أولاده وخصوصاً قائم الحجج علیه السلام؛ لربط المستمع دائمًا بإمام زمانه. ويختتم الديباجة بقوله: (يا ليتني أو يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً، يا غريب يا مظلوم كربلاء).

ب- قصيدة عربية في المناسبة -في النبي والآله-، وت تعرض إلى مصابئهم علیهم السلام.

ج- الموضوع: يفتح موضوع البحث بآية، أو رواية، أو كلمة مأثورة، أو شعر، يبحثه بشكل كامل مفصل.

د- ويندرج متسلسلاً نحو مصيبة سيد الشهداء علیه السلام، أو صاحب الذكرى، مختتمًا المصيبة بأبيات (عربية أو تخميس) تليها أبيات نبطية (شعبية) بأطوار تتناسب مع البلد، أو المستمعين، أو المصيبة، ثم يختتم -بصوت خافت- بيت من الشعر في المناسبة، والدعاء وطلب الفاتحة للأموات والشهداء والعلماء والصالحين من الأمة.

٢- تعريف تحضير المجلس الحسيني: هو تشخيص الموضوع المراد الحديث

عنه ثم تنقيشه وبجثه حسب مصادره، والحديث عنه بكل جوانبه وما يحتاج من آيات وروايات وأحداث وأشعار وأمثال وقصص، وما يتعلّق بالجوانب العلمية، والعقائدية، والفقهية، والاقتصادية، والأخلاقية، والاجتماعية، حسب الموضوع والمناسبة.

٣- كيفية تحضير المجلس الحسيني:

أولاً: من تعريف المجلس الحسيني يمكن أن يُقال بأنّ أول شرط لنجاح المجلس الحسيني تشخيص موضوعه، فمن دونه سيكون (المخطيب الحسيني) ضائعاً.

ثانياً: كما يمكن أن يكون التفكير المادّ الهدف في الموضوع وتسجيل أية نقطة يصل إليها التفكير من مقدمات التحضير، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «فَكَرْ ثُمَّ تَكَلَّمْ تَسْلِمْ مِنَ الرَّلْلِ»^(٣).

إن التركيز على تحديد الهدف من المجلس الحسيني هو البوصلة التي تهديك إليه، فإنّ من لم يحدد هدفاً، ولا يدرّي ماذا يريد أن يقول، وأية مواد يُبني عليها مجلسه الحسيني، يكون فكره قلقاً، وذهنه مشتتاً مضطرباً -أشبه بأعمى يتلمس طريقه عند المشي، ولا يدرّي إلى أين يؤدي به المسير، وماذا سيواجه من مطبات-، ورد عن الإمام علي عليه السلام: «قَدَرْ ثُمَّ اقْطَعْ، وَفَكَرْ ثُمَّ انْطَلَقْ، وَتَبَيَّنْ ثُمَّ اعْمَلْ»^(٤).

ثالثاً: أسأل عن أهم المواضيع المحتاج إليها، وأنت بنفسك تتحقق (وتحسّس) ذلك.

واسأل عن موضوعك (وخصوصاً) من المختصين في كل جنّبة من جنبات موضوعك كل في اختصاصه، ولا تتكلّم كمختص في الموضوع، بل اجعل ذلك مثرياً لموضوعك، فقد ورد عن النبي عليه السلام: «من شاور الرجال شاركها في

عقوها^(٥)، ومن حكم الشيخ البهائي قىٰتىش: "غلبت كلّ ذي علوم، وغلبن كلّ ذي علم"، يعني: أنا مثقف وعندى اطلاعات عامة عن كافة العلوم، لكن لست متخصصاً فيها، فإذا جاء مورد الاختصاص فارجع لذى الاختصاص، ولا عيب في ذلك، بل هي حسنة وتواضع منك.

رابعاً: حاول أن تجمع في كلّ مسألة من موضوعك (أو كلّ عنصر من عناصره) بين مصدرين أو ثلاثة وخصوصاً في المسائل المختلف فيها فقهية، أو تفسيرية، أو اجتماعية، أو سياسية... إلخ، والتتوسع في المصادر يجعل الموضوع أكثر ثراءً وفائدة.

خامساً: ركّز على وحدة موضوعك -وركز على الهدف منه-، فإن الإكثار من (الشيء بالشيء يُذكر) الملاحظ على (جملة) من الخطباء المجالس الحسينية، يشطّ بهم عن وحدة الموضوع والهدف منه.

سادساً: تنظيم المواد (المستخرجة) من المصادر وتسلسلها من حيث الأهمية، وعدم التعقيد، والأولوية، [وهذا] يجعل الموضوع متاماً وأكادياً، ويسهل على المستمعين -بشتى أفهمهم ومداركهم- على الاستيعاب والفهم.

فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «أحسن الكلام ما زانه حسن النظام، وفهمه الخاص والعام»^(٦).

سابعاً: الاطّلاع الواسع والمخزن الفكري للخطيب الحسيني له الأثر في إعداد وتلقيح وتنظيم واقتضاح الموضوع مع مراعاة ظروف المجلس (من حيث المستمعين) فقد ورد عن النبي ﷺ: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»^(٧).

ثامناً: تلخيص الموضوع تلخيصاً شافياً وافياً لتنفذ منه إلى المصيبة المرادة بعد التمهيد المناسب.

✿ ما هي أهم عوامل نجاح الخطيب الحسيني؟

❖ يمكن إرجاع عوامل نجاح الخطيب الحسيني إلى:

أولاً: العوامل الذاتية، والصفات السلوكية:

١- التوكل على الله وطلب التوفيق منه.

٢- الثقة بالنفس والنجاح.

٣- أن يكون محباً ومندفعاً ذاتياً ورسالياً لخدمة الحسين عليهما السلام وأهدافه من خلال الخطابة الحسينية.

٤- أن يكون مؤمناً بالفكرة والأفكار التي تكون الموضعية التي يطرحها.

٥- أن يكون متخصصاً بالشجاعة، والابتعاد عن القلق والخوف.

٦- أن يكون دعاء الخطيب الحسيني الدائم: (رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقه قوله).
ولا ينسَ في هذا ضمن التأهيل والأهلية، والإتقان للمهارة، والتمرин عليها، ووجود الأشياء المثيرة فيها.

٧- الصبر، العمل المطابقي شاق للغاية يحتاج إلى تطوير دائم، واستمرارية في العطاء، يحتاج إلى تحمل وصبر [وهذه الصعوبة] تبدأ بترتيب المجلس الحسيني، وحفظ نصوصه وشواهده، ومواجهة الجمهور المختلف في مشاربه وأفكاره، وربما انتقاداتهم، مواجهة أصحاب المذاهب المنحرفة، محاربة الظالمين، والمنافقين، الجدد والاجتهاد لمتواصل والسهير الدائم، وفي كل هذا يحتاج إلى القاعدة [القائلة] واصبر على ما يقولون.

٨- الصدق في العمل السلوكي بأن يكون نوذجاً صالحاً في سلوكه قبل كلامه، والأخلاقي أما الإخلاص فهو جوهر العمل، وهذا يضفي نوراً على نفس الخطيب، وليتّخذ من الآية الشريفة منطلقاً ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ

إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٨) - وهذا لا يتنافي مع قبول الهدية، والأجر المادي حتى لو كان متفقاً عليه كما هو الرأي الشرعي - فإن ذلك يدعو إلى الاقتداء بما يقول، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «من نصب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه وتؤديها قبل تعليم غيره، ولكن تأدبه بسيرته قبل تأدبه بلسانه...»^(٩).

والاطلاع المستمر الوعي، يقول أمير المؤمنين: لا يزال العالم عالماً ما طلب العلم، فإن قال إني علمت فقد جهل.

كن محباً لحديثك (الموضوع) وللخطابة تكن بارعاً.

عدم اليأس من النجاح فإن تعثرت في بعض التجارب فكرر عدة مرات، ولا تتردد يقول أمير المؤمنين: إذا خفت من شيء ففع فيه.

ومن يتهيّب صعود الجبال يعيش أبد الدهر بين الحفر، والشجاعة ضرورية بشرط أن لا تصل إلى التهور.

ثانياً: العوامل العلمية والفكريّة:

١- لا شك في أن لسعة اطلاع الخطيبين ومقامه العلمي - وخصوصاً الدراسة الموزوية والأكاديمية - لها أثرها الكبير في نجاح الخطيب الحسيني. وهنا لا بد من أن نؤكد على الجانب الأخلاقي، وهو أن يعرف الخطيب حدة ومدى معلوماته، فلا يطرق من العلوم في خطابته ما لا يقدر على إفادته للمستمعين - يقول أحد أساتذتي (وهو الشيخ العلامة الباقري عليهما السلام: أقرأ ما تفهم، وأفهم ما تقول)، وقد ورد عن النبي عليهما السلام: «هلك امرؤ لم يعرف قدره، وتعذر طوره»، وفي رواية «رحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعد طوره».

كما على الخطيب أن يتواضع إذا سُئل عن شيء أن يقول: (الله أعلم)، فإن قوله لا أعلم نصف العلم، سُئل الشعبي عن شيء فقال: لا أعلم، فقالوا له: ألا تستحي أن تقول لا أعلم؟ فقال: كيف أستحي مما لم تستح منه الملائكة؛ إذ قالوا:

﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْنَا﴾^(١٠).

فالخطيب حتى لو قضى عمرًا في الخطابة لا ضير أن يقول عن شيء: لم أره في بطون الكتب، أو لا أذكر أتني لحته، أو لا أدرى ماذا يقول فيه العلماء، وهكذا.

فإن الخطيب يواجه ثلاثة أخطار: خطر الغرور العلمي، وخطر الشهرة (المدح والثناء)، وغرور الشباب (إذا كان شابًّا).

٢- وهنا أركز على تقوية الجانب الأدبي واللغوي (ال دائم) عند الخطيب الحسيني، فإن الخطابة المراد منها إفهام المستمعين، وهذا يحتاج إلى أدب ولغة توصل المادة بأسلوب جميل ولغة سهلة إلى مستمعيها.

٣- إن في التجارب علمًا مستأنفًا: التجربة الشخصية (المستمرة) علم، والاستفادة من تجارب الآخرين (ضم علم إلى علم)، لكن (التقليد) و(الاعتماد) على الآخرين يشنل من إبداع الخطيب (نعم الاقتباس مع الإشارة إليه تصریحاً (قال فلان العالم، أو في الكتاب الفلاني)، أو تلمیحاً (أحد المعاصرین، أو جاء في بعض الكتب، إلخ...)، فهي أمانة علمية أولاً، واستقلالية في الخطيب ثانياً.

ثالثاً: عوامل ظاهرية (أو سُمّها صفات بدنية):

فإن للمظهر الخارجي للخطيب الحسيني وملاءمته مع المناسبة له أثر كبير في نجاحه وتأثيره، فمثلاً في أيام الحرم الحرام وخصوصاً في العشرة الأولى أن يكون مبرقعًا بالسوداء (وفي غيره اللباس الجميل المهاب، والطهارة (الظاهرية) الوضوء، مع الطهارة الباطنية (الإخلاص)).

كما أن لجلسة الخطيب: أثراً لها لكن لا بشكل يثير الجمهور، والحركة يجب أن يُراعي فيها الخطيب الدقة في حال التصوير (فإن لها الأثر الإيجابي أحياناً، وربما السلبي آخر).

كما أنّ للسان الخطيب أثره البالغ فإنّ جمال الرجل فصاحة لسانه، وهو الناطق الرسمي عن أفكاره ومعلوماته، فيراعي فيه الفصاحة والبلاغة والأدب والرفق والصدق، وابتعاده عن الفحش، والوضوح، والابتعاد عن المصطلحات العقدة، وإذا جاء بصطلاح فليعرّفه للمستمعين بما يتناسب مع أفهمهم (وليبعد عن الأسلوب العلمي والبحث المعتمد في الحوزة وعند العلماء) كما أنّنا يجب ألا نبتعد عن اللغة الفصيحة، نعم اللغة الغريبة منها (شعبيةً) للإيضاح لا بأس به، فإنّ من مقاصد المجلس الحسيني تحسين لغة المستمعين والارتفاع بها إلى اللغة العربية الفصيحة التي هي لغة القرآن وال الحديث.

فالجمال اللفظي ضرورة دون تكليف، ومع الاستمرارية في الخطابة سيكون مالكاً للكلام لا مملوكاً له، يقول مولانا أمير المؤمنين علّي عليه السلام: «ونحن أمراء الكلام، مثنا تفرّعت فروعه علينا تهذلت غضونه...»^(١).

كما ينبغي أن يكون علم الخطيب زائداً على نطقه، وعقله غالباً على لسانه، وعليه أخيراً أن يوازن بين حكمتين، الأولى: "خير الكلام ما لا يقل ولا يل"، والثانية: "خير الكلام ما قل ودل". (اختصار غير مخل، وإطناب غير ممل).

رابعاً: العوامل الفنية:

- ١- أن يصنع لنفسه برنامجاً للتمرن والاستعدادات المكتسبة.
- ٢- الاستمرار في الفن الخطابي مع التجديد المستمر مع الحفاظ على الأصلة والمبدأة.
- ٣- اختيار الموضوع المناسب، للوقت المناسب، وللجمهور المناسب.
- ٤- المراجعة لموضوعاتها (فنياً وعلمياً) والوقوف على نقصانها؛ لإخالها والتبسيط والاستزادة من إيجابياتها.
- ٥- الاستزادة من الحفظيات نثراً وشعراً، كن حافظاً تكن خطيباً، لكن حفظ

مع فهم (افهم ما تقرأ وتحفظ لتفهم ما تقرأ على المستمعين)، وإذا حفظت شيئاً ففكّر فيه لتكون مبدعاً، فإنّ المبدع يزدحم حوله الناس، وهذا لا يعني عدم الاستفادة من الآخرين (مع الاحتفاظ بالاستقلالية -كما سلف- فهي ضمّ وردة إلى حقل موضوعك، ولكلّ وردة عطر).

من الأمور التي واجهتني في أول مشواري في الخطابة أني في السنة الثانية لاستقلالني بالخطابة الحسينية قرأت في (العامير) مع أستاذى العلامة الباقري - فهو أحد أساتذى، وطبعاً أستاذى الرئيسي هو الوالد الملا حسن الديهي، والخطيب الشيخ أحمد الديهي (الأخ الأستاذ)، قرأت معه في سنة واحدة في قرية واحدة فهبت ذلك فأتيته قائلاً له: أستاذى! يصيّبني تهبيّ من القراءة معك في بلدة واحدة، فقال بكلّ تواضع: يا بنيّ لكلّ وردة رائحة، وهذا أحد العوامل التي شجعني على المضي قدماً في الخطابة الحسينية.

وهنا لا بد من التذكير بأنّ من فروع الحفظيات أنها تكون عناصر للموضوع الذي يُراد التهبيّ له، وهنا يجدر بنا أن ننوه للتحضير المسبق - فإليك كصاحب الدكان لا بدّ لك أن تهبيّ البضاعة وتنظمها قبل جيء المشتري - عليك تحضير وتهبيّ للمواقف والحالات الطارئة بإعداد مواضع وحفظيات مسبقة.

٦- الفنية في المصيبة شرعاً ونشرأ:

أولاً: مراعاة الفنية في الشعر القريض والشعبي استقلالاً، أو تقليداً غير مضرّ (يعني لا يكون طبق الأصل)، مع مراعاة ترقيق الصوت بما يناسب الموقف والمصيبة كما أنّ لدرجات الصوت ارتفاعاً وانخفاضاً في مواقف معينة أثره في المستمع.

ثانياً: المصيبة النثرية

١- الانتقال للمصيبة من الموضوع يجب أن يكون هناك رابط بينهما، يُسمى

في القديم (الگریز) وهي كلمة فارسية تعني التلذين و(كلمة لم أعرفها)، وهي بمعنى تهيئة الأمر للدخول في المصيبة.

وهو تقديم شيء يحوم حول المصيبة (لا تنزل للمصيبة نزواً مفاجئاً، بل تدريجياً).

٢- مراعاة الجانب الفني في المصيبة (الثرية) كترقيق الصوت، والتدريج في درجاته، والتأثر دون البكاء من الخطيب؛ لأنّه ربما يفقد المصيبة تأثيرها، لكن لا بأس بالبكاء، أو البكاء غير الطويل البكاء اللحظوي.

٣- اختيار ما يناسب المصيبة الثرية من شعر في خلايا المصيبة أو في تهبيتها، ثم انخفاض الصوت ببيت أو أبيات ختامية.

خامساً: العمل بالوصايا العامة، والوصايا الطبية، ووصايا تقوية الذاكرة.

أولاً: الوصايا العامة

١- لا يصح نقل كلّ ما قيل، لا بدّ أن يعرف الخطيب الحسيني ما يُقال وعمّن، وممّن، وما هو الغرض منه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٢- لا يغلب على حديث الخطيب الحسيني خلاف ما عليه الطائفة، إلا بالإشارة إلى قائله بما لا يثير الاختلاف في الناس، وبما حبّذا مراعاة الأمور المسلمة عند الطائفة.

٣- نقل الكلمة الباطلة (أو الفكرة الباطلة) مع تبيينها لا يجوز شرعاً، نعم للردّ عليها من الخطيب القادر، وإلا سينطبق عليه المثل (يريد يكحّلها عمها)، فينبغي التّريث والتثبت في خصوص الفتاوى والعقائد.

ثانياً: الوصايا الطبية

١- الامتناع عن التدخين (أو مكان يُدخن فيه).

٢- الامتناع عن الأطعمة والأشربة الحارة (حرارة طبيعية أو حرارة ناتجة

عن الفلافل الحارة والبهارات الحارة).

٣- اجتناب (المقلّيات) ما أمكن خصوصاً قبل المجلس الحسيني.

٤- الإقلال من المياه الغازية.

٥- الامتناع عن شرب المياه المثلجة.

٦- الاعتدال في الأكل، لا جوع ولا تخمة.

٧- عدم التعرض للهواء خصوصاً بعد الانتهاء من المجلس الحسيني.

٨- وصايا تتعلق بصدق الحنجرة وتحسين الصوت، وهي كما يلي:

- تناول شاي (الزهور) مع (العسل) مخلوطة.

- تناول النشا مع النبات.

- الغرغرة باء دافئ مع ملح الطعام (قبل النوم، وفي الصباح).

- شرب الليمو (الناضجة) وخصوصاً قبل المجلس الحسيني.

- استعمال أدوية خاصة ينصح بها الطبيب لتحسين الصوت.

- التمرن الدائم على درجات الصوت المرتفعة والمتوسطة والمنخفضة، في حال الانفراد، أو مع إخوانك المخطباء، فكم من خطيب بدأ بصوت غير حسن مع الاستمرارية والتمرن تحسن صوته.

ثالثاً: وصايا لتنمية الذاكرة

١- الكون على وضوء ونظافة وطهارة.

٢- الاستيقاظ بين الطлоعين، والحفظ فيه فإنه وقت مبارك. اقرأ قبل النوم،

ثم راجع عند الطلوعين، فإن له أثراً كبيراً لتركيز الموضوع.

٣- اقرأ أدعية الحفظ، وأدم صلاة النافلة، خصوصاً صلاة الليل.

٤- كن قارئاً للقرآن، فإنه نور وشفاء.

٥- تناول (٢١) حبة من الزبيب؛ لاحتوائه على المواد الفسفورية المساعدة

لتشييط خلايا المخ.

- ٦- ابتعد عن الإكثار من المواد الدهنية، وشرب الماء الكثير، والأكل مع التخمة، والأكل عن غير جوع، فإنها وصايا الأنبياء والأولئاء.
- ٧- أجعل موضوعك في عناصر مكتوبة في ورقة، وراجعها قبل المجلس الحسيني.
- ٨- ناقش الموضوع مع إخوانك الخطباء والعلماء، ومع أقرب الناس لك (كرزوجتك إذا كانت مثقفة ومتعلعة).
- ٩- أجعل لك مفكرة خاصة تكتب فيها (بنات أفكار منبرك) سميتها (من وحي المنبر الحسيني)، وهي الأفكار التي نظراً على موضوعك وأنت على المنبر: من وحي المناسبة، أو من وحي الجماهير، أو من وحي المنبر نفسه.
- ١٠- احرص على الكتابة التقليدية وهي أفضل، والكتابة الالكترونية، فهذه وصية إمامك الصادق عليه السلام: «أكتباً، فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا»^(١٢).

✿ كيف يقيم الخطيب أداءه الحسيني؟

- ❖ يمكن أن يُنظر للتقييم من خلال أمرين: الموضوع، ثم المصيبة.[وأصب الحديث في] جهة الموضوع
- ١- توجّه الجمهور (حال الإلقاء) من خلال عيونهم وسحنات وجوههم، وأحياناً هزّ رؤوسهم عlamة الرضا حال إلقاء الموضوع.
 - ٢- بعد الإلقاء (الثناء العاجل، ومن بعده الثناء والمدح في المجالس العامة).
 - ٣- والمهم أن يقيّم الخطيب نفسه بنفسه (بحيادية) تاماً؛ لأنّه قد يخفى على الجمهور معايب موضوعه، المهم هو بنفسه يكتشف ما في موضوعه من نقائص فإنّ الإنسان على نفسه بصير. ثم لا ينسى أنّ «المؤمن مرأة المؤمن»^(١٣)، فال المستمعون هم المرايا التي تتعكس من خلاها الإيجابيات والسلبيات للخطيب الحسيني، من

خلال: الكلمة المسماة أو الكلمة المكتوبة فليأخذها بنظر الاعتبار حتى لو كانت صادرة عن أية نية كانت، والأولى أن يُحسن الظن في مستمعيه وانتقاداتهم (فإنّها مدعوة للتطوير والتجديد)، فإنّ المؤمن يحتاج إلى ثلات: توفيق من الله، وراغع من نفسه، وقبول ممّن ينصحه، كما في الرواية.

✿ كيف يوفق طالب العلم الحوزوي بين (الدراسة) والخطابة الحسينية؟

❖ أنا من دعاة التخصص، حتى في الحوزة العلمية ما ينقصنا هو وجود متخصصين في الجوانب العقائدية، والتاريخية، والتحقيقية، والفكريّة، ... إلخ. الخطابة تخصص بعد إكمال مقدماتها، وإتقان أساس الخطابة العامة، بعدها ينخرط فيها طالبها.

✿ مسألة التّصنيع عند خطيب متمكن هل هي ضرورة، أم بالإمكان التعلم من دون ذلك؟

❖ الخطابة (فن)، و(الفن) يحتاج إلى تصنّع بمعنى التمرّين والتدريب على (يد فنان) وهو الخطيب المتمكن حتّى يُتقن مبادئها وأصولها وفصولها وآليات صناعتها، كما يُتقن القرآن (التجويد) على يد معلم في التجويد متمكن منه، بعد أن يُتقن الجوانب النظرية للخطابة الحسينية فإنه يحتاج إلى الجوانب الفنية - المستفادة من المختصّ الفني - مع استعداده الشخصي، ولذا نجد في البعض ممّن تعلم بنفسه (نجد فيه قصوراً) اختصاصية فهو كالطالب الحوزوي الذي يدرس من خلال الأشرطة وما شاكّلها، فإنّ لوجود الأستاذ المختصّ آثاره الروحية، والأخلاقية، والفنية، التي لا تخفي على المتأمل.

✿ متى يفضل أن يشرع في الخطابة من حيث المرحلة العمرية؟

❖ هذا راجع لاستعدادات الشخص (الذاتية)، لكن يجب أن يكون فارغاً من تحصيل مراحل فقهية، وأدبية، وتفسيرية، وعقائدية، وتاريخية معينة، لا أقل السطوح في الحوزة العلمية، بالإضافة إلى دروس التفسير والدرائية، مع الاستعانة بأهل الفضل في كلّ فنٍ وعلم.

❖ هل يُنصح لغير طالب العلم الحوزوي صعود المنبر الحسيني؟

❖ طالب العلم لا يجب ألا يختص بطالب العلم الحوزوي، نعم أولئك الذين يريدون أن ينخرطوا في الخطابة الحسينية لا بدّ لهم من دراسات فقهية وعقائدية وحديثية وتاريخية -من خلال دراسة على يد أستاذ كلٌّ في فنه- وعلوم حديثة لكي يكونوا أهلاً ولو نسبياً -لصعود المنبر الحسيني- بعد أن يكون دافعهم للخطابة رسالياً تربوياً، لا مهنياً وارتزاقياً فقط، فإنَّ الذي أضرَ بالمنبر الحسيني بشكل عام هم أولئك الذين اتّخذوه مهنة وارتزاهاً بعد أن ضاقت عليهم سُبل الرزق والنجاح، أو بعد قصورهم في الدراسات الأكاديمية، وهذا كذلك ابتلت به الحوزات العلمية كما تعرفون.

❖ ما هو أكثر المواضيع رواجاً بالنسبة إلى المستمعين؟

❖ ملاحظة: اسأل عن أهمِّ المواضيع التي يحتاج لها المجتمع، وأنْت بنفسك تحسّس ذلك، ولكن بشكل عام:

- ١- المواضيع الحديثية المشبعة بالبحوث الأخلاقية والاجتماعية.
- ٢- التاريخية التحقيقية التحليلية.
- ٣- العقائدية المقارنة (المبسطة).
- ٤- الأحاديث التربوية والاجتماعية.
- ٥- أحاديث الساعة (أدواء وعلاج).

على ألا تكون المواضيع المبحوثة مواضيع اختصاصية بحثية، بل يجمع في كل موضوع بين ما سبق من عناوين، بما يتلاءم وينسجم مع مقتضى الحال، وهدف المجلس الحسيني، ومستويات الجماهير الحاضرة.

- ٦- الرجوع إلى المصادر المهمة في تحضير الموضوع للمجلس الحسيني:
- أ- الرجوع إلى الرسائل العملية، كتحرير الوسيلة للسيد الإمام قيثار، أو منهاج الصالحين للإمام الخوئي قيثار والسيد السيستاني دام ظلهما مثلاً.
 - ب- والرجوع إلى الكتب المقارنة، كالفقه على المذاهب الأربعة للشيخ الجازيري، أو المذاهب الخمسة للشيخ محمد جواد مغنية.
 - ج- وكتب اللغة، كلسان العرب، ومقاييس اللغة، والمصباح المنير.
 - د- وكتب الدراءة والحديث والرجال، كالكتفي والألقاب للشيخ القمي، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي قيثار.
 - هـ- وكتب الأدعية والزيارات، ككامل الزيارات، والإقبال لابن طاووس، ومفاتيح الجنان للشيخ القمي.
 - و- وكتب الاحتجاج كالاختصاص للشيخ المفید، والاحتجاج للطبرسي، والمراجعات لشرف الدين، وكتب المستبصرين.
 - ز- وقصص الأنبياء، كالجزائرى، والعاملى.
 - ح- والتفسير، كالميزان للطباطبائى، وجمع البيان للطبرسى، والتفسير الكبير للرازى، وتفسير الشعابى.
 - ط- وكتب العقائد، كالتوحيد للشيخ الصدق، وبداية المعرفة ونهاية المعرفة، ومحاضرات في العقيدة للشيخ البهادلى، وفلسفتنا.
 - ي- وكتب الأخلاق، كجامع السعادات للترانقى، ومحاسبة النفس لابن طاووس، وأخلاق أهل البيت عليهما السلام للسيد محمد مهدي الصدر، والجهاد الأكبر

لإمام الخميني تبئث، وكتب الشيخ مظاهري.

ك - وكتب السيرة العامة، كسيرة ابن هشام، والسيرات الخلبية، وكتب محمد علي دخيل، وموسوعة السيد الصدر (المهدوية)، تاريخ الأئمة الاثني عشر هشام

معروف الحسني، كتب السيد المقرّم عامةً ومقتل الحسين عليهما السلام خصوصاً.

ل - وشرح نهج البلاغة، لابن ميثم البحرياني، وابن أبي الحديد، وشيخ محمد جواد معنية، وغيرهم.

م - وكتب السيرة الحسينية، كنفس المهموم للشيخ القمي، والخصائص الحسينية للتستري، وال المجالس السنّية للسيد الأمين، مقتل المقرّم للمقرّم، والمقتل المؤثر للفقيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد وآلته الطاهرين.

وختاماً نتقدّم بالشكر الجزييل إلى سماحة الشيخ على رحابة صدره وإجابته الواافية التي يرנו إليها الخطيب، آملين أن نقدم بذلك شيئاً يسيراً لخدمة الإمام الحسين من الخطباء.

الهوامش:

(١) سماحة الدكتور الشيخ عبدالله الديهي هو أحد كبار خطباء المنبر الحسيني في دول الخليج العربي، وأستاذ في المحوza العلمية.

حاصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية من جامعة بغداد، الماجستير في الشريعة والقانون من جامعة فردوسي مشهد، وشهادة الدكتوراه في الشريعة والقانون من جامعة الأزهر في القاهرة.

(٢) الوسائل ج ١٢ ب ١٠ من أبواب أحكام العشرة في السفر والحضر ح ١.

- (٣) عيون الحكم والمواعظ ص ٣٥٩.
- (٤) نفس المصدر ص ٣٧١.
- (٥) الوسائل ج ١٢ باب ٢١ من أبواب أحكام العشرة في السفر والحضر ح ٦.
- (٦) عيون الحكم والمواعظ ص ١٢٤.
- (٧) الكافي ج ١ كتاب العقل والجهل ح ١٥.
- (٨) سورة الشعراء: ١٨٠.
- (٩) ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٣٢٧.
- (١٠) سورة البقرة: ٣٢.
- (١١) الأimalي للسيد المرتضى ج ٤ ص ١٩.
- (١٢) الكافي ج ١ ص ٥٢.
- (١٣) تحف العقول وصيته عليه السلام لكميل بن زياد مختصرة ص ١٧٣.





الإحياء العاشورائي والوحدة الإسلامية^(١)

الشيخ علي فاضل الصدقي

السلام على الحسين وعلى علي[ؑ] بن الحسين وعلى أولاد الحسين
وعلى أصحاب الحسين.

السلام عليكم أيها السادة العلماء والخطباء
السلام عليكم أيها الأخوة جميعاً ورحمة الله وبركاته.
في عاشوراء الحسين عليه السلام كثيرة هي الأدوات التي يمكن أن تعزز
قضية الوحدة الإسلامية في عقل وقلب وإرادة العاشورائين، ويأتي
الخطاب الحسيني وكلمة المنبر وخطبائه في طليعة تلك الأدوات إذا ما
انفتح الخطاب والكلمة والخطيب على الإسلام في همومه وتطلعاته
وإراداته وأولوياته.

وورقتي هذه تتضمن محورين، في المحور الأول تشديد على اثننتين

من مسؤوليات الخطباء وعامة المبلغين، وعلى اثننتين من مواصفاتهم. وقد آثرت توظيف الخطبة المأثورة عن سيد الشهداء علیه السلام - والتي هي من السهل المتنع - للاستشهاد لنقاط هذا المحور. وفي المحور الثاني تأصيل للوحدة الإسلامية، والإلماح إلى أنموذج قرآن يسهم في تفعيل الوحدة الإسلامية. فإلى هذه الورقة:

المحور الأول: الخطيب (المبلغ) مواصفات ومسؤوليات

المسؤوليات: فمهما تنوّعت مسؤوليات الخطيب وتكررت إلا أنها أجمع ترجع إلى مسؤوليتين اثننتين:

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومن المسؤوليات المناظرة بالخطيب (المبلغ) بامتياز وبنحوٍ أكد وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رغم أنها لا تختص بفئة ولا بشريحة، قال سبحانه مخصوصاً العلماء على وظيفة النهي عن المنكر محاججاً على تركها: ﴿لَوْلَا يَنْهَا هُمُ الْرَّبَّانِيُونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْنَتَ لَبِئْسَ مَا كَاثُوا يَصْنَعُونَ﴾^(١).

وفي الخطبة التي رواها الشيخ الأقدم ابن شعبة الحرساني في كتابه تحف العقول عن الإمام التقى السبط الشهيد أبي عبدالله الحسين بن علي علیه السلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأخبار؛ إذ يقول: ﴿لَوْلَا يَنْهَا هُمُ الْرَّبَّانِيُونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾، وقال: ﴿لِعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤُودَ وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَاثُوا يَعْتَدُونَ * كَاثُوا لَا يَتَنَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَاثُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٢)، وإنما عاب الله ذلك عليهم؛ لأنهم كانوا يرون من الفلمة الذين بين

أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك؛ رغبةً فيما كانوا ينالون منهم، ورهبةً مما يحدرون، والله يقول: ﴿فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَاخْشُوْنِ﴾^(٤)، وقال: ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٥)، فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه؛ لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع رد المظالم ومخالفة الطالم وقسمة الفيء والغائم وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقها» إلى أن يقول: «وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفرعون، وأنتم لبعض ذم آبائكم تفرعون، وذمة رسول الله عليه السلام محقرة(محقرة خ)، والعمي والبكم والزمني في المدائن مهملة لا ترحمون، ولا في منزلكم تعملون، ولا من عمل فيها تعينون(تعينون خ)، وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون، كل ذلك ما أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون».

٢- تبليغ رسالات الله:

من المسؤوليات المناطة بالخطيب(المبلغ) تبليغ رسالات الله، قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾^(٦)، وكما أن مفردة(الرسالة) قد استعملت في مجموع تعاليم الدين كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٧)، كذلك مفردة(الرسالات) قد استعملت - هي الأخرى - ويراد بها أيضاً مجموع تعاليم الدين، قال تعالى على لسان نوح النبي عليه السلام: ﴿أَبْلَغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٨)، وقال تعالى: ﴿أَبْلَغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾^(٩)، وقال تعالى حكايةً عن شعيب النبي عليه السلام: ﴿فَوَلَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾^(١٠).

نعم ثمة رسالات لابد أن تبلغ، ولا بد أن يكون التبليغ لها أجمع، لأن ثبلغ

منقوصة أو مبتورة أو مجتزئة وبانتقائية، وهذا كما قد يستفاد من نفس قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ﴾^(١)، كذلك يستفاد - ولو بالإضافة إلى بعض الرسالات والتعاليم - من قوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعُلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(١٢) فإهمال تبليغ واحدةٍ من الرسالات إهمال تبليغ كل الرسالات.

المواصفات:

ومهما تشعبت مواصفات الخطيب (المبلغ)، إلا أن لبابها أمران، وما سواهما يرجع إليهما، أحدهما العلم، والآخر التقوى.

ففيما يخص أمر العلم وبالالتفات إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ﴾، لا بد أن تعلم تلكم الرسالات، وأن يحاط بها خبراً كيما تبلغ، فما لم يتوفّر الخطيب (المبلغ) على الإحاطة الكافية برسالات الله وتعاليم دينه فائي له بتبلیغها.

فالملأول أن يكون الخطيب (المبلغ) عالماً، وسيعي الإسلام ب بصيرة وعمق، وأن يكون فاضلاً وسيقتدر على محاكمة أفكاره عن الدين ومحمل الأفكار عنه، وسيميز الغث من السمين، وستتضح له رؤية الدين للحياة وكذا مرادات الدين وأولوياته وخربيطة طريقه العامة.

وفيما يخص أمر التقوى وخشية الله - ولو في ناحية التبليغ - يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ﴾.

وفي الخطبة المأثورة عن سيد الشهداء عليه السلام بشأن الربانيين والأحبار: « وإنما عاب الله ذلك عليهم؛ لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك؛ رغبة فيما كانوا ينالون منهم، ورهبة مما يحدرون والله يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَلَا خَشَوْنَ﴾».

وفي الخطبة الحسينية أيضاً ما يستفاد منه بوضوح ضرورة التضحية وأن

طريق المبلغ والناهي عن المنكر طريق ذات الشوكة، فنقول الخطبة: «فلا مالاً بذلتموه، ولا نفساً خاطرتم بها للّذى خلقها، ولا عشرةً عاديتموها في ذات الله»، إلى أن يقول مخاطباً العلماء ولافتاً إلى لابدية المعاناة وإلا لصارت وظائفهم إلى غيرهم: «وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كتتم تشعرون (تسمعون خ)؛ ذلك لأنّ مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمانة على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المزلة، وما سلبتم ذلك إلا بتفرقكم عن الحق، واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة، ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع، ولتكنكم مكتمل الظلمة من منزلتكم، واستسلمتم (أسلمتم خ) أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات، سلطهم على ذلك فراركم من الموت، وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستبعد (مستبعد خ) مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب».

فالملأول أن يتوفّر المبلغ (الخطيب) على معرفة بالله وعلم به يسوقه إلى خشيته، ففي الصحيفة السجادية من دعائه عَلَيْهِ السَّلَامُ في الإلحاح على الله تعالى - وهو الدعاء الثاني والخمسون منها - في إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ - يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سُبْحَانَكَ أَخْشَى خَلْقَكَ لَكَ أَعْلَمُهُمْ بِكَ»^(١٣). ثم إنّ قوله سبحانه في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ تعرّيف من الله سبحانه لنا بنفسه، فكونه مالكاً لنا ولما سوانا يحتم علينا عقلاً لا نتصرّف في هذا الملك بغير ما يأذن فيه، وكونه منعماً يحتم علينا فطرةً أن نشكّر نعمته، بala نسحرّها فيما لا يرضي، وكونه مجازياً يحتم علينا عقلاً وفطرةً لا نتنكب الطريق حذار عقوبته، ونفس هذه المعرفة قد استولت على نفس يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ لحظة تأثّي المعصية، وأخذت مكانها منها فولدت فيها وازعاً عنها، قال سبحانه - على لسانه عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿Qَالَّمَعَادُ

اللَّهُ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَى إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ .

ثم المأمول من الخطيب (المبلغ) ألا يخشي مع الله غيره كائناً من كان، وإلا فستكون هذه الخشية على حساب خشية الله وستضرُّ بها.

المحور الثاني: الوحدة الإسلامية تأصيلاً وممارسةً

إن أمر الوحدة الإسلامية من الأمور التي شغلت أذهان العلماء بالإسلام الحريصين عليه وعلى أهله، فبعد أن أدركوا من خلال الإسلام أهميتها وخطرها، ووعوا خطورة الفرقة وفاداحتها أخذوا في التأصيل لها والدعوة إليها والمنافحة عنها، فلنتناولها في العناوين التالية:

أولاً: الوحدة مطلوب القرآن:

فقد ركز القرآن على المشترك بين الديانات التوحيدية جميعاً فدعا إلى توحيد المعبد وتوحيد المطاع وإخلاصه بالطاعة، فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١٥).

بل قد يقال - كما أفاد سيد الميزان عليه السلام في تفسير الآية: "والدعوة في قوله: ﴿إِلَى كَلِمَةٍ...﴾ بالحقيقة إنما هي إلى الاجتماع على معنى الكلمة بالعمل به (أي العمل بمعنى الكلمة)... فالمعنى: تعالوا نأخذ بهذه الكلمة متعاونين متعاضدين في نشرها والعمل بما توجبه"^(١٦).

هذا والوحدة التي دائرتها المسلمين وقادتها مشتركات الإسلام أخص من الوحدة التي دائرتها المسلمين وأهل الكتاب، فالدعوة إلى الثانية دعوة إلى الأولى ضمناً، فحقيقة بالخطيب (المبلغ) أن يركّزها في عقول ونفوس وإرادات مستمعيه وأن يستحثّهم للعمل بوجبها.

ثانياً: لا للفرقة مطلقاً:

إن الوحدة التي قاعدتها الإسلام في مشتركته، ودائرتها المسلمين لم يؤذن بفتتها والتفرط فيها والمصير إلى الفرقة والتناحر والاقتتال لأي سبب وإن تعاظم وبموجب أية ذريعة وإن جلت.

فلم يؤذن مثل لرسول الله عليه ﷺ على تقدير أن يعصى ويخالف أمره في البراءة من مخالفي أمره المفضية إلى عزهم وتشطير المجتمع الإسلامي، قال سبحانه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١٧).

ورغم ضلال بني إسرائيل واتخاذهم العجل إلهًا واعتقادهم بأنه إله موسى عليه السلام، وقد ناصحهم هارون في غياب موسى عليه السلام، وأوضح لهم بأن عبادة العجل ضلال ولكنّه لم يقدم على خطوة من شأنها شق المجتمع وتشطيره، وقد اعتذر لموسى بذلك، واستوجه موسى عذرها ولم يرده، قال سبحانه حكاية على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَا تَتَّبِعُنَ أَفَعَصَيْتَ أُمِّي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾^(١٨).

ثالثاً: الاختلاف حالة نشاز:

لما لم يكن الاختلاف حالة سوية وطبيعية بل حالة نشاز وعلى خلاف مقتضيات الواقع الاجتماعي - كانت الحكمة وأحد أهداف إنزال القرآن العزيز - نزع فتيل الخلافات والاختلافات، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١٩).

وكيف يكون اختلاف وتشطير المجتمع حالة سوية، والحال أن الرحمة ببني عن مثل هذا المجتمع، قال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾^(٢٠).

وأما ما أثر عن النبي ﷺ أنه قال: «اختلاف أمي رحمة» فلم يرد من طرقنا بسندٍ معتبر، والوارد من طرقنا ورد معه بيانه، وأنه لا يراد بالاختلاف فيه ما يُساوِ افتراق الأُمّة، ففي علل الشرائع^(٢١) ومعاني الأخبار^(٢٢) لرئيس المحدثين الشيخ الصدوق عليه السلام بإسناده عن عبد المؤمن الأنباري قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ قوماً يرون أنّ رسول الله عليه السلام قال: اختلاف أمي رحمة، فقال: صدقوا، فقلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتمعهم عذاب، قال: ليس حيث تذهب وذهبوا، وإنما أراد قول الله عزّ وجلّ ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طائفةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنَذِّرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعْنَهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله عليه السلام، ويختلفوا إليه فيتعلموا، ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم، إنما أراد اختلافهم من البلدان لا اختلافاً في دين الله، إنما الدين واحد، إنما الدين واحد».

رابعاً: الاختلاف داعية الاقتتال والضعف:

وكيف يكون الاختلاف رحمة وحالة سوية وهو يدفع باتجاه التناحر والاقتتال، قال سبحانه: ﴿وَكُوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَلَى الَّذِينَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنَّ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَكُوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَلَوْا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٢٣).

وكيف يكون الاختلاف رحمة وحالة سوية ومتناهٰءٌ إلى ضعف الأُمّة ووهنها، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ﴾^(٢٤).

خامساً: إيانا أن نختلف:

ثُمَّةٌ نهي واضح عن أن يوجد فُرقةٌ ونؤسس لها، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢٥).

وَثُمَّةٌ أمور لا تقلُّ -سواءً وملائكةً- عن إيجاد الفُرقة والتأسيس لها - كعدم

معالجة أسبابها للقضاء عليها أو عدم إدارة الاختلاف الموجد لها وكتعميقها أو المزايدة من تبعاتها.

سادساً وأخيراً: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأُقْتَلَكَ﴾^(٢٦) :

في مثل هذه الظروف العصيبة للأمة الإسلامية وزرعاً لقتيل اقتتها وتناحرها وإفشالاً لمخططات أعدائها الرacistين على وتر الطائفية والسعائين حيثاً في المزيد من طائفتها وتعميق فوارقها وتقييم مشتركتها تمس الحاجة والضرورة إلى إعلان السلم ولو بشكل منفرد من هذه الطائفة أو تلك، ومن يملك كلمة مسموعة في الناس وأن لا ينتظر في إعلانه إلى توافق عليه، ولنا في هابيل قدوة حسنة، إذ كانت ردّة فعله عن عزم أخيه قتله وإن أخذ في مقدماته -هي إصلاحه وإعلانه السلم بقوله - كما حكاه عنه الله سبحانه: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأُقْتَلَكَ﴾.

ولئن كان المشترك بين هابيل وقابيل هو أخوة النسب فالمشترك بين المسلمين أخوة أمن من تلك، وهي أخوة الدين، وقد ورد بنحو مستفيض أن الإسلام شهادة ألا إله إلا الله والتصديق برسول الله عليه وآله وآل بيته، به حقن الدماء، وعليه جرت المناهج والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس^(٢٧).

فالملأول من الخطيب (المبلغ) أن يجعل في ضمن مساحة ما يُبلغه للمؤمنين قضية الوحدة الإسلامية وأن يشدد عليها ويدفع نحو موجباتها والأخذ بقتضياتها، وأن يعلن السلم ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأُقْتَلَكَ﴾ وأن يؤكّد عليه. ولا يفوتي أن أشيد بإكبار بالخطوة المسؤولة للمجلس الإسلامي العلمائي المنمثلة في وثيقة الوحدة الإسلامية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآلـه الأطـهـرـين وأـصـحـابـهـ الـمـتـجـبـينـ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الوصيات:

- ١- المأمول أن يتدرج الخطيب(المبلغ) في مدارج العلم، وسيعي الإسلام بصيرة وعمق، وأن يكون فاضلاً، ليقتدر على محاكمة أفكاره عن الدين ومحمل الأفكار عنه، وقييز الغث من السمين، ولتضخ له رؤية الدين للحياة.
- ٢- المأمول أن يتوفّر المبلغ (الخطيب) على معرفة بالله، وعلم به يسوقه إلى خشيته، وألا يخشي مع الله غيره كائناً منْ كان، وإلا فستكون هذه الخشية على حساب خشية الله وستضرُّ بها.
- ٣- المأمول من الخطيب(المبلغ) أن يجعل في ضمن مساحة ما يُبلغه للمؤمنين قضية الوحدة الإسلامية، وأن يُشدد عليها، ويدفع نحو موجباتها، والأخذ بمقتضياتها.
- ٤- الوحدة التي دائرتها المسلمون وقادتها مشتركات الإسلام، أخصّ من الوحدة التي دائرتها المسلمون وأهل الكتاب، فالدعوة إلى الثانية دعوة إلى الأولى بطريق أولى، فحقيقةُ بالخطيب (المبلغ) أن يركّزها في عقول، ونفوس وإرادات مستمعيه، وأن يستحثّهم للعمل بوجبها.
- ٥- في مثل هذه الظروف العصيبة للأمة الإسلامية، ونزعًا لفتيل اقتتالها وتنافرها، وإفشاءاً لمخططات أعدائها الرافقين على وتر الطائفية والسعائين حتىّاً في المزيد من طائفتها، وتعزيق فوارقها، وتقطيع مشتركاتها تمسُّ الحاجة والضرورة إلى إعلان السَّلْم ولو بشكل منفرد من هذه الطائفة أو تلك، وممّن يملك كلمة مسموعة في النَّاس، وأن لا ينتظر في إعلانه إلى توافق عليه.

الهوماش:

(١) ورقتي في مؤتمر عاشوراء الثامن تلا شطراً وافراً من هذه الورقة فضيلة الشيخ محمد صالح

القطري (دام موفقاً) في مؤتمر عاشوراء الثامن الذي أقامه المجلس الإسلامي العلمائي ليلة ١٤ من ذي القعدة ١٤٣٤ هـ.

(٢) المائدة: ٦٣.

(٣) المائدة: ٧٨-٧٩.

(٤) المائدة: ٤٤.

(٥) التوبية: ٧١.

(٦) الأحزاب: ٣٩.

(٧) المائدة: ٦٧.

(٨) الأعراف: ٦٢.

(٩) الأعراف: ٦٨.

(١٠) الأعراف: ٩٣.

(١١) الأحزاب: ٣٩.

(١٢) المائدة: ٦٧.

(١٣) الصحيفة السجّادية ص ٢٥٤.

(١٤) يوسف: ٢٣.

(١٥) آل عمران: ٦٤.

(١٦) الميزان ج ٣ ص ٢٤٦.

(١٧) الشعراء: ٢١٤-٢١٦.

(١٨) طه: ٩٤-٩٢.

(١٩) النحل: ٦٤.

(٢٠) هود: ١٨.

(٢١) ج ١: ٨٥ ح ٤.

(٢٢) ص ١٥٧ ح ٣.

(٢٣) البقرة: ٢٥٣.

(٢٤) الأنفال: ٦٤.

(٢٥) آل عمران: ١٠٥.

.٢٨) المائدة: ٢٦)

(٢٧) الكافي: ٢٤-٢٩ باب أنّ الإسلام يحقن به الدم ح ١، ٤، ٥، ٦، وباب الإعيان بشرك
الإسلام ح ١، ٣، ٥.

كَذَبَ
الْمَوْتُ
فَأَحْسِنْ



عوامل خلود كربلاء

(القسم الأول)

الشيخ رائد عبدالكريم الحسني زكي

العامل الأول: إرادة الله

قال الله الحكيم في كتابه الكريم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفُؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتَمَّمَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١).
وفي زيارة الإمام الحسين ع عليه السلام: «أشهدُ أَنَّكَ نُورُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يُظْفَأْ وَلَا يُطْفَأْ أَبَدًا»^(٢).

ما هي أسرار خلود وغضاضة كربلاء؟ لماذا بقيت كربلاء غضّة حديثة؟ ولماذا لو وضع العالم يده بيد بعض وأرادوا أن يقلّلوا من لون كربلاء أو يجعلوها بدون لون فإنهم لن يستطيعوا أبداً! لماذا حدثت على طول التاريخ قضايا كثيرة ولكن لم يبقَ أثر من غضاضتها وحدثتها؟

عندما نراجع الآيات القرآنية والروايات نرى أنّ هناك عوامل عديدة قد اجتمعت لكي تبقى -هذه القضية التي ليس لها نظير- خالدة وغضّة وحديثة، نشير هنا إلى بعضها:

الآية الأولى: إحاطة نور الله

يقول الله في إحدى الآيات القرآنية الكريمة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتَمَّ نُورَهُ وَكَوْكَرَةُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).
أعداء الله وأعداء التوحيد وأعداء النور يريدون أن يطفئوا نور الله بفهمهم، لكنّ إرادة الله المنّان تريد أن يصلّ نوره إلى كماله وينتشر بصورة كاملة وجامعة وإن لم يُرد الكفار ذلك.

لماذا عُبر في هذه الآية بالفم على أن الأعداء يريدون بعنوين مختلفه أن يزيلوا الحقّ ويحووه؟ من الممكن أن تكون علة هذا الأمر أنه أهمّ شيء لأجل غلبة الطرف الآخر والمقابل يكون بواسطة الإعلام واستخدام الكلام والفم، وأنّ المناسب للحرب الإعلامية على النور في ذلك الزمان بالفم وليس بشيء آخر.

من خلال هذه الآية القرآنية نصل إلى هذه النتيجة بأنّه توجد إرادتان لأجل الأنوار المقدسة الإلهية وهما:

- ١- إرادة الشياطين وأعداء الله.
- ٢- إرادة حضرة رب العالمين.

إنّ الحرب في هذا الميدان قطعاً ستكون إرادة الله هي الغالبة والمنتصرة كما يقول الله المنّان في آية أخرى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أُمُّرِيهِ﴾^(٤) أي مسلط على أمره وأعماله، ولكن الآخرين ليسوا مسلطين على أمرهم وأعمالهم. الإنسان يريد دائماً أن يبقى سالماً لكنّه لا يستطيع، أو يريد أن يكون لديه عمر طويل لكنّه لا

يستطيع أيضاً. لا بدّ من أن يُقال: إنّ تسعه وتسعين في المائة من الأمور التي يريدها الإنسان غير قابلة للتحقق؛ لأنّه لو تحقّقت إرادة البشر سينجّرُ العالم إلى الفساد والضياع في ليلة واحدة.

جاء شخص عند الإمام الحسين عليه السلام وقال: «كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال: «أصبحت ولي رب فوقني، والثار أمامي، والموت يطعني، والحساب مُحْدِق بي، وأنا مُرتَهِن بعملي، لا أجد ما أحب ولا أدفع ما أكره، والأمور بيدي غيري، فإن شاء عذبني، وإن شاء عفا عنّي، فلأي فقير أفتر مني؟»^(٥).

فلدى الله المتنان إرادة في عالم الخلق حيث لا يستطيع أحد المقاومة في مقابلها. ولا بدّ من أن نبحث عن إرادة رب العالمين ونستخرجها من بين الآيات الكريمة والأحاديث والروايات والتجارب، وألا نضع أنفسنا مقابل إرادة الله أبداً، مثلاً: إراد الله أن يكون العصاة والمتمرّدين أذلاء دائمًا حتى لو كانت لديهم قدرة في الظاهر، وأراد الله أن يكون العبد المطيع عزيزاً ومحترماً.

البعض يظنّ أنه بواسطة التقوّد أو القدرة أو الشّهرة يصل إلى العزة لكنهم مُشتّهون، لأن العزة في عبودية الله، والذلة في عصيان الله، وهذا الأمران هما إرادة الله ولا تختلف!

يقول العارف آية الله السيد رضا بهاء الدين قيشوش: قال آية الله المدرس قيشوش لرضا خان: في أيّ مكان ستموت فيه فإنّ هذا المكان سيكون مزبلة، وفي أيّ مكان أموت فيه سيكون ضريحاً لابن الأئمّة عليهما السلام. من أين يعلم المدرس هذا الأمر؟ سببه أنّه عرف إرادة الله وهكذا حصل أيضاً.

الآن نرى ماذا يكون نور الله حيث إنّ إرادته أن يكون خالداً وباقياً؟

جاء أبي بن كعب عند الرسول الأكرم عليهما السلام وسمعه يقول للإمام الحسين عليهما السلام: «مرحباً بك يا أبا عبدالله، يا زين السماوات والأرضين»^(٦).

معنى أنه لو أتاك لم تكن موجوداً لأنك أصبحت السماوات والأرضين قبيحة.
تعجب كعب وقال: إن هذه الكلمة ولقب عظيم جداً، كيف تقول هكذا عنه؟
قال: إن الإمام الحسين عليه أعظم في السماوات حتى أنه يُعرف في السموات
أفضل منه بالنسبة إلى الأرض.

ولذلك كان جبرائيل عليه يأتي لهز مده ويفتخرا بذلك، عند ذلك قال النبي
الأكرم عليه: «فَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ عَنْ يَمِينِ عَرْشِ اللهِ: إِنَّ الْحُسَيْنَ مِصْبَاحٌ هُدَىٰ وَسَفَينةٌ
نَجَاهَا»^(٧).

في بعض الأحيان يعبرون عن التور بالسراج أو بالمصباح. عندما يُمسى
المساء ويشع الإنسان النور، يعرف بأنه مضاء وأن الجو مظلم فيقال لهذا سراجاً.
ولكن في بعض الأحيان تكون الأنوار كثيرة بحيث ينسى الإنسان الليل، يُقال
لهذا مصباحاً. الإمام الحسين عليه ليس سراجاً بل مصباح يعني أن نوره وإضاءته
ذهبت بكل الظلمات ولم تدع ذرة إيهام وظلمة لشخصٍ.

قال آية الله الشيخ الوحديد الخراساني رضي الله تعالى عنه حول هذا الأمر جملة جميلة:
إن الأعداء حمقى حيث يريدون أن يُبارزوا النور، ويريدون أن يضعوا
الرجل على النور؛ لأنهم إذا وضعوا الرجل على النور فإن الرجل تبقى في
الأسفل، ويأتي النور إلى الأعلى؛ لأن إرادة الله أن يكون النور في الأعلى وكل
شيء تحت شعاع النور.

النور الذي لا يطفأ أبداً

لذلك لا يمكن بواسطة الفم أن يطفأ النور. كما نقرأ في إحدى زيارات الإمام
الحسين عليه: «أَشْهَدُ أَنَّكَ نُورُ اللهِ الَّذِي لَمْ يُطْفَأْ وَلَا يُطْفَأْ أَبَدًا»^(٨).

هل استطاع رضا خان أن يوقف القراءة الحسينية؟ ألم يسع ويعلم كل هذا
ال усили والعمل حتى لا يعقد الناس القراءة الحسينية؟ لكن الناس كانت تعقد

المجالس في الخفاء. أو هل استطاع المُتوكل عمل هذا الأمر عندما فرض على زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمَسْكُونَ ضرائب مالية ثقيلة؟ بعد ذلك جاءت امرأة عجوز ودفعت لأجل زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمَسْكُونَ قيمة الضريبة المالية. قالوا: أتيتها الأم من أين أتيت بهذا المال؟ قالت: عملي هو الحياكة. عملت لمدة سنة وجمعت الدرهم فوق الدرهم حتى أذهب إلى كربلاء! رأى المُتوكل أنه لا توجد فائدة فقال: إذا أراد الناس الذهاب إلى الزيارة فلا بد من أن يدفعوا أيديهم ثمناً لذلك. بعد مدة رأوا أنه جاء شخصٌ وقدم يده اليسرى للقطع. قالوا: لا بد من أن تقدم يدك اليمنى! قال: قد قدمت يدي اليمنى السنة الماضية! ووصل هذا الخبر إلى المُتوكل أن الأوضاع هكذا، فقال: أطلقوا سراحهم، لا يكن مبارزة هؤلاء.

المُتوكل لَعَنَهُ أجرى الماء على قبر الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمَسْكُونَ حتى يذهب أثره لكن الماء لم يكن يذهب جهة القبر، حتى عندما أراد حَرْثَ القبر فإن البقرة لم تقترب منه. لماذا لم يستطع ذلك؟

كان المرحوم حجة الإسلام وال المسلمين السيد علي أمحي يقول: في ليلة من الليالي كان لدى قراءة حسينية في منطقة مدينة خمين في أصفهان. وقبل ذلك كنت في إحدى القرى وكان الجو بارداً جداً والثلج ينزل، وقد نصفي الناس بعدم الذهاب لأنّه خطر لكنني أتيت. في منتصف الطريق رأيت شخصاً يقول: يا سيد علي! قلت: نعم سيد. قال: لدى سؤال أجبني عليه. قلت: إذا كنت أعرف الجواب سأجيب وإلا سوف أتعلم. قال: أهـا السيد علي، هل الجواد أذكي أم البقرة؟ قلت: واضح أنه الجواد. قال: إذاً كيف وطأت بدن الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمَسْكُونَ عشرة خيول وسارت على بدنها بينما البقرة التي ليس لديها ذكاء عندما أتوا بها لكي تحرث القبر ومهما حاولوا لم يستطيعوا أن يجعلوها تحرثه؟ فجأة جاء إلى ذهني هذا الأمر فقلت: لأن الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمَسْكُونَ في كربلاء يريد أن يعطي للبشرية

الأية الثانية: الوجه الخالد

درس الإيثار والتغافل، ولأنه لأجل بقاء الدين لا بد من التخلّي عن كل شيء حتى البدن فإنه أعطى كل شيء في يوم عاشوراء في طريق الله، وقال أيضاً بدني أيضاً لأجلك أجيذهم أن يرضوه. لكن قبر الإمام الحسين عليهما السلام هو عالمة على الحق والتوحيد والدين والمقاومة لذلك قال: لن أعطي الإجازة أن تذهب آثار كربلاء؛ لأنه لا بد من أن يبقى الدين!

أراد البعض أن يطفئ نور الله لذلك نزلوا إلى ميدان الحرب بكل وجودهم لأجل حرب الولاية والإمامية. ألم يفعلوا مع الإمام علي عليهما السلام نفس الأمر حيث حبسوه خمسة وعشرين عاماً في البيت حتى تنساه الناس، ونشروا الشائعات إلى أن استشهد في محراب الصلاة؟ قال الناس في الشام: هل كان علي يصلّي أيضاً؟! منعوا نشر فضائل ومناقب أمير المؤمنين عليهما السلام وقالوا: أي شخص يذكر رواية له يُجلد ويُسجن وتُمنع حقوقه من بيت المال^(٩). وفي آخر الأمر سعوا مقدار جهدهم إلى اختلاق فضائل كاذبة لأبي سفيان وأل أبي سفيان وبني أمية^(١٠).

ألم يكن قبره مخفياً لمدة مائة سنة؟ ذلك لأنّ الخارج أقسموا أنفسهم سينبشون القبر ويحرقون بدنـه المنورـ. لكن مع كلّ هذه الأعمال نرى أنفسـهم لم يستطـعوا؛ لأنـ الله أراد أن يبقى!

يقول الله المـنان جملـة جميلـة إلى النبي داود عليهما السلام: «أوحـى الله إلى داود: تـريدـ وـأـريدـ، وـإـنـماـ يـكـونـ ماـ أـريدـ»^(١١).

ولذلك قالت السيدة زينب عليهما السلام وهي أسيـرة لـدى يـزـيدـ لـعـنةـ اللهـ: «ـيـزـيدـ! فـكـدـكـ، وـاسـعـ سـعـيـكـ، وـنـاصـبـ جـهـدـكـ، فـوـالـلهـ لـاـ تـمـحـوـ ذـكـرـنـاـ، وـلـاـ تـمـيـتـ وـحـيـنـاـ، وـلـاـ تـذـرـكـ أـمـدـنـاـ، وـلـاـ تـرـحـضـ عـنـكـ عـارـهـ»^(١٢).

يقول الله المـنان في سورة الرـحـمـنـ: «كـلـ مـنـ عـلـيـهـاـ فـانـ * وـيـقـنـ وـجـهـ رـبـكـ

ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ^(١٣). ولذلك لدى الله المتنان ملك يُنادي في كل يوم: «لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَأَبْنَا لِلْخَرَابِ»^(١٤).

ولذلك تقول الآية المباركة: إن كل إنسان له وجهتان:

١- إحداهما الوجهة الخلقية.

٢- الأخرى الوجهة الربوبية.

الوجهة الخلقية في هذا العالم تذهب وتزول، أمّا الوجهة الربوبية بمعنى الشيء المنتسب إلى حضرة رب العالمين فلا تذهب ولا تفني!

مصاديق وجه الرب

سوف نشير هنا إلى بعض مصاديق "وجه الرب":

١- **الروح**: أوّل مصدق لوجه الرب هي الروح، فالجسم يذهب إلى الفناء، لكنّ الروح التي نفخها الله في وجود الإنسان باقية ولا تفني؛ بل تنتقل من هذا الجسم إلى قالب مثالي في البرزخ، ويوم القيامة ترجع إلى نفس هذا الجسم وهذا البدن. إن الله ليس بعربي وله حضور في كل مكان والروح كذلك، كما أن الله المتنان باق، والروح لأنّها منتبطة إلى الله فهي باقية أيضاً.

٢- **العمل الخالص**: المصدق الثاني لوجه الرب هو أي عمل لله؛ بمعنى أن العمل الخالص الذي لا شائبة فيه باق، لكن العمل غير الإلهي ليس له بقاء مثلاً ما قال الله المتنان في القرآن الكريم: ﴿مَتَّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرِبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾^(١٥).

أولئك الذين كفروا بولاية أمير المؤمنين عاشلية وأولاده عاشلية أعمالهم كالرماد المنطابر في الهواء والذاهب مع الرياح^(١٦).

وجاء في آية أخرى أيضاً: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(١٧).

يقول صاحب تفسير "القرآن والعقل" في ذيل هذه الآية المباركة: الرجل هو

الذى يَرِدُ القيمة والمحشر بالحسنات؛ لأنَّه من الممكن أن يَعْمَل حسنة لكتَّه يُحرقها بكبريت الذنب والكفر بالولاية وتذهب أدراج الرياح. الآن نريد أن نرى أي حسنة باقية إلى يوم القيمة ولها بقاء. لا بدَّ أن يُقال: إنَّ العمل الذي لله.

٣- وجه الله: المصدق الثالث لوجه الله هم بنو الإنسان الذين وجههم وجه الله، الذين من خلال سيرتهم وطريقة حياتهم يَعْرِفُ بنو الإنسان الله. يقول الملا فيض الكاشاني قائلًا:

أَرَى فِي الْوُجُوهِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي كَالَّقَمَرِ أَنُورَكَ
وَأَرَى فِي شَفَاهِ الْمُتَكَلِّمِينَ جَوَاهِرَ كَلَامَكَ

يقول الرسول الأكرم عليه السلام في رواية: «الْمُؤْمِنُ مِرَآةُ الْمُؤْمِنِ»^(١٨). يقول المرحوم الشيخ علي أكبر نهاندي قائلًا في كتاب "خزينة الجوادر" في توضيح ذلك: المؤمن الأوَّل يعني العبد والإنسان المؤمن، والمؤمن الثاني يعني الله الذي ذكر في سورة الحشر من أسمائه وهو المؤمن^(١٩).

لذلك المؤمن هو مرآة الله. إذا كنت تُريد أن ترى الله؛ اذهب وشاهد إنساناً مؤمناً بالله؛ ولذلك يقول النبي الأكرم عليه السلام في رواية أخرى: «مَنْ زَارَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ إِلَى مَنْزِلِهِ لَا لِحَاجَةٍ إِلَيْهِ كُتِبَ مِنْ زُوَارِ اللَّهِ»^(٢٠).

الجليس الحَسَنُ

عندما سُأَلَ الحواريون النبِي عيسى بن مريم (علی نبینا وآلہ وعلیہ السلام):

"يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ تُجَالِسُ؟" ، قال: «كُلُّ شَخْصٍ لَدِيهِ هَذِهِ الْخَصَالُ الْثَّلَاثُ:

١- مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ رُوْيَتُهُ -يعني أنَّ جماله هو جمال الله-.

٢- وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطَقَهُ.

٣- وَيَرْغِبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ»^(٢١).

مصدق "وجه الرب" في وجود أبي عبدالله عليهما السلام:

الآن نحقق في المصاديق الثلاثة لوجه الرب في الوجود المقدس لأبي عبدالله الحسين عليهما السلام:

المصدق الأول: الإمام الحسين عليهما السلام هو روح حضرة رب العالمين العظمى. في روایة عن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام يقول: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ نُورٍ عَظَمَتِهِ»^(٢٢)، بمعنى أن الأربعة عشر معصوماً هم الأشخاص الوحيدون الذين خلقوا من نور عظمة حضرة رب العالمين. ويواصل: «لَكُنْ خَلْقَ بَدْنَنَا الْمَثَالِيِّ مِنْ طِينٍ أَسْفَلِ الْعَرْشِ، وَخَلَقَ أَرْوَاحَ الشِّيعَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْأَبْرَارِ مِنْ طِينَتِنَا. لَيْسَ خَلْقَهُمْ مِنْ رُوْحَنَا»^(٢٣); لأن أرواحنا لها عظمة عالية بحيث ليس لأحد اللياقة أن يخلق منها. خلقت أبدان الشيعة من هذه الأرض؛ ولذلك فإن الإمام الحسين عليهما السلام هو روح الله، وروح الله باقية وخلدة.

المصدق الثاني: المصدق الثاني لوجه الرب العمل الخالص. شهادة الإمام الحسين عليهما السلام أيضاً عمل خالص لا نظير لها ولا بديل في التاريخ.

يُقسّمُ بنو الإنسان إلى ثلاث مجموعات في ميدان الشهادة وال Herb والعبادة: **المجموعة الأولى:** الأشخاص الذين يتاجرون مع الله: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ»^(٢٤).

يريد الله أن يقول: أعطني روحك ومالك حتى أعطيك في مقابلة الجنة. وهؤلاء لديهم هكذا طلب من الله أيضاً.

المجموعة الثانية: لا يتعاملون تجاريًا بل لديهم هبة وعطاء كما يقول الله إلى النبي موسى عليهما السلام: «هَبْ لِي مِنْ قَلْبِكَ الْخُشُوعَ، وَمِنْ بَدْنِكَ الْخُضُوعَ، وَمِنْ عَيْنِيكَ الدُّمُوعَ...»^(٢٥).

لا يقول الله "بع"؛ لأن شأن ومقام النبي موسى عليهما السلام أعلى من المعاملة

التجارية.

لكن توجد خصوصيات في الهبة:

الأولى: هي أنَّ الواهب لا يُعطي كلَّ ما لديه بل يُقدم ويعطي مقداراً من ماله وأشيائه وتبقى البقية من أجل يوم الحاجة.

الثانية: في بعض الأحيان ينظر الواهب إلى الهبة ويقول: قد أعطينا هدية.

المجموعة الثالثة: الأفراد الباذلون، وللبذل خصوصيات ليست في الهبة:

الأولى: أنَّ الباذل لا ينظر إلى بذله.

الثانية: أنَّ الباذل يبذل بدون حدٍ وعدٍ.

العرب يقولون للشخص الذي لديه سفرة طعام ويصرف الكثير عليها إنَّه "باذل".

لكنْ منْ أَيِّ مجموعَة كانَ الإِمامُ الحسِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأَصْحَابُه؟ في اليوم الذي سافر فيه الإمام أبو عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ نحو كربلاء، قال: «مَنْ كَانَ بَاذِلًا فِينَا مُهْجَتَهُ، وَمُوَطَّنًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسَهُ، فَلَيَرْحَلْ مَعَنَا فَإِنِّي رَاحِلٌ صَبَاحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»^(٢٦).

كان بذل حضرته عَلَيْهِ السَّلَامُ لا نظير له، وعمله أخلاص وأجمل عمل. كلَّ ما لدى الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أطَاه في طريق الله، كلَّ ما يملكته: أنصاره، أبناؤه، ابنه علي الأصغر عَلَيْهِ السَّلَامُ، رأسه، إصبعه، خاتمه وكلَّ شيء.

أصحاب حضرته عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا هكذا أيضاً. يقول المقصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ في زيارة عاشوراء: «الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَاجِّمُهُمْ دُونَ الْحُسَينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٢٧) بمعنى أنَّ أصحاب الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ باذلون وكان لديهم بذل عظيم: قدمو الأيدي، قدمو الأرجل، قدمو العين والرأس والإصبع والروح. ولم يكن لديهم التفات لما قدموه.

يقول المرحوم السيد عباس الحسيني تيش: كان هناك شخص في طهران لديه كثير من البذل، وكلَّ ليلة يُطعم ويعطي عشاء راقياً إلى معزي الإمام

الحسين عليه السلام. وكان لديه بستان صغير في بيته. في ليلة صعد بضعة أطفال فوق السياج وقطفوا بعض الورد ووطئوا البستان. أصبح صاحب المنزل منزعجاً وتعارك مع الأطفال. وفي اليوم التالي عندما دخلنا هذا المنزل رأينا أنه لا يوجد سياج وصاحب المنزل يقول: أيها الأطفال اذهبوا واقطعوا الورود وطئوها! قلنا: أيها السيد ماذا حدث؟ معاملتك هذه الليلة مع أمس مختلفة كثيراً! قال: سيد عباس! عندما نفت الليلة الماضية رأيت أبي زرت في عالم الرؤيا الإمام الحسين عليه السلام، قال الإمام الحسين عليه السلام: فلان! تعاركت مع الأطفال الذين جاؤوا العزاء من أجلي لأجل بعض ورود؟ هل إنّ ورودك أعزّ من ورودي التي قُطِفت في كربلاء؟

المصدق الثالث: بالنسبة إلى المصدق الثالث لا بدّ من أن يُقال: إنّ نفس أبي عبدالله الحسين عليه السلام هو وجه الله؛ لأنّ الكلمة وجه بالنسبة لأجد ١٤؛ حيث يشير إلى الأربعة عشر معصوماً عليهما السلام.

يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تفسير الآية: ﴿أَيَّمَا ثُوَّلًا فَتَمَّ وَجَهُ اللَّهِ﴾^(٢٨) قال: «نَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ»^(٢٩) بمعنى أيّما تنتظرون فإنّ الأئمة المعصومين عليهما السلام حاضرون أيضاً.

والإمام الحسين عليه السلام هو وجه الله والوجه الكامل لله؛ لذلك بقي خالداً، وكل شيء غيره وفي مقابله أصبح فانياً؛ لأنّ الله أراد هكذا!

الأية الثالثة: الزبد فوق الماء

يقول الله المنان في آية أخرى: ﴿فَامَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَامَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣٠).

لدينا ماء ولدينا زبد على الماء، ولدينا حديد ولدينا زبد فوق الحديد، إلى متى سي-dom ويبيقى هذا الزبد؟ نرى أنه يزول ويفنى سريعاً. الحق والباطل هما

بنزلة الماء والزبد الذي فوق الماء. أراد الله المتن أن الماء -أي الشيء المفید- يبقى خالداً، والزبد الذي فوق الماء أي الباطل يذهب ويزول.

يزيد بن معاوية زبد فوق الماء. كان وهو في يده عصا من الخيزران يُشعر ويقول:

لَعِبَتْ هَاشِمٌ بِالْمُلْكِ فَلَا خَبَرُ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ^(٣١)

معنى أنّ بني هاشم لعبوا بالملك والسلطنة وليس للقرآن ولا للوحي ولا للحقّ ولا لله وجود، لا يوجد شيء من هذه الأمور أبداً. لكن عند صلاة الجمعة عندما صعد الخطيب فوق المنبر قبل أن يصعد يزيد، وهو يمدح يزيد ويطعن بأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، رأوا أنّ شاباً -بحسب الظاهر ضعيفاً ونحيفاً البدن وقد بان المرض عليه، والجامعة والقيود في رقبته- اتجه إلى الخطيب وقال: «وَيْلَكَ أَيُّهَا الْخَاطِبُ اشْتَرَيْتَ مَرْضَاهُ الْمَخْلُوقَ بِسَخَطِ الْخَالِقِ»^(٣٢).

قال عند ذلك: «يا يزيد ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد»^(٣٣) (معنى أنّ المكان الذي لا يُقال فيه الحقّ ليس منبراً بل أعاداً)....

قال يزيد: لا يمكن! فصار بين الحاضرين اللغط والكلام. قالوا: كيف يستطيع هذا الشاب الضعيف الكلام بهذه الحالة؟ ابن يزيد، معاوية الصغير، قال لوالده أيضاً: ائذن له حتى يتحدث (أي الإمام علي السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ). قال يزيد: لا يمكن، أنت لا تعرف هؤلاء. إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ قَدْ رُقُوا الْعِلْمَ زَفَّا، هو من أهل بيت العلم والفصاحة والبلاغة سُقوا العلم سقياً، إذا صعد هذه الأعواد سيفضح كلّ عائلتنا. لكنه مع إصرار ابنه وافق^(٣٤).

كان الزبد على الماء أربعين سنة في الشام، يعني مركز حكومة بني أمية، وجال الباطل بحيث إنّ اثني عشر ألف خطيب فوق المنابر يسبّون أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ويدحون معاوية وعائلته، لكن عندما دخل الحقّ -يعني الماء-

الميدان مسح أتعاب معاوية ويزيد طوال أربعين سنة حتى وصل الأمر أن يزيد وضع عباءته على رأسه وقال: أنا لا أستطيع أن أصلّي صلاة الجمعة. وذهب إلى بيته ولم يخرج منه ثلاثة أيام؛ لأنّه خاف أن يقتله الناس. وبعد ثلاثة أيام خرج من منزله وقال يزيد: لعن الله ابن زياد. قال كاذباً: أنا لم أقل له أن يقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لأنّ حبيبي أخذ بيده القدر أفلست سوق الأصنام (شعر مترجم)
من الممكن أن يجول الباطل بحيث لا يأتي الحق إلى الميدان مدة من الزمان،
وإذا جاء الحق الميدان فإن سوق الأصنام وبائعي الأصنام الكل فيها يخسر ويجلس
ويذهب.

سأل إبراهيم بن طلحة في طريق الشام الإمام علي السجاد عليه السلام: مَنْ غلب
وانتصر في النهاية يزيد أم الإمام الحسين عليه السلام? قال الإمام علي السجاد عليه السلام:
عندما يحين الأذان سوف أجيبك. عندما أذن الأذان وذكر اسم النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
قال الإمام علي السجاد عليه السلام: النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جدّ مَنْ؟ قال إبراهيم: جدّكم.
قال: إذاً نحن انتصرنا، وليس يزيد ^(٣٥).

بعد سنتين أو ثلاث سنوات ذهب زيد يزيد عن الدنيا وصار قبره مزبلة،
لكن قبور الإمام الحسين عليه السلام والسيدة زينب عليه السلام والسيدة رقية عليه السلام بقيت
عظيمة شامخة؛ لأن فيها نفع الناس.

أَمَّا الزَّبْدُ

يقول أحد علماء أصفهان: كان أحدهم في النجف مختلفاً مع السيد أبي الحسن الأصفهاني قائل وللأسف أنه كان من أصحاب المكافحة (استلبته مكافحة) ورأى هذه الآية في المكافحة: ﴿أَمَّا الزَّبْدُ...﴾ ^(٣٦). قال لرفاقه: إن هذه الآية تقول: إن

مقططفات

عنایات حسینیة فی السلوک

يقول العارف الواصل المرحوم الحاج ميرزا محمد إسماعيل دولابي قيشّ: في أيام الشباب تشرفتُ مع والدي بزيارة النجف الأشرف. كنت متعطشاً للعلوم والمعارف الدينية كثيراً، بكلّ وجودي كنت أريد البقاء في النجف وأن أدرس في الموزة، لكن أبي المسنّ لم يكن لديه ولد غيري يستطيع مساعدته في الأعمال لذلك لم يكن موافقاً على بقائي في النجف.

توسلت في حرم أمير المؤمنين علیه السلام به حتى يرتب أمر بقائي في النجف وأدرس، إلى درجة أنني ضغطت ومسحت صدرِي بالضریح بحيث إنّ شعر صدرِي تقطّع وتجزّع كلّ صدرِي. وكانت حالي بحيث لم يكن لدى أمل في أن أرجع إلى إيران وأقول في نفسي: إما أن أبقى في النجف وأدرس، وإما إذا أجبَرت على الرجوع سوف أفارق الحياة هنا وأموت. وأخبرت علماء أهل النجف عن مشكلتي حتى آخذ منهم إجازة للبقاء في النجف، وقالوا لي: إنّ وظيفتك هو أن تُرضي والدك، ولأجل مساعدته ارجع إلى إيران. في النتيجة لم أستفد من التوسل بالإمام أمير المؤمنين علیه السلام ولم أحصل على مرادي بواسطة العلماء إلى أن ذهبت إلى كربلاء بهذا الحال من الانزعاج. وفي حرم الإمام أبي عبدالله الحسين علیه السلام

الزبد فوق ماء السيد أبي الحسن الأصفهاني قيشّ وأنا الماء، أنا سأبقى وسيذهب السيد أبو الحسن قيشّ سريعاً.

يقول هذا العالم الأصفهاني: "بعد عدة أيام من هذه المكاشفة، ولأنّ الجوّ كان حاراً، ذهب إلى قرب الشطّ حتى يسبح ولتهب حرارة بدنـه. فجأة سعـبه الماء إلى داخل النهر واحتـق وأخذ بـنهـه عـدة فـراسـخ بـعيـداً. كلّ رـفقـائه عـرفـوا أـنـهـ الزـبدـ الذي فوق الماء".^(٣٧)

وعند الرأس الشريف ذهبت كل أذية وألم وزال كل شيء، وأصبحت في صفاء باطني بصورة كاملة بحيث عند الرجوع إلى إيران سرت في الطريق وأنا أمّا والدي دون أذية أو ألم.

هل تريـد أن تصل إلى مقام التوحيد الحـقـيقـي؟

سؤال: إن الولاية هي محور اعتقادنا نحن الشيعة، ونعتقد بأنـه لا يفيد شيء بـدونـها "الـتوـحـيدـ بـدونـ الـولـاـيـةـ"ـ،ـ والـولـاـيـةـ بـدونـ الـتوـحـيدـ،ـ وـالـأـعـمـالـ الـعـبـادـيـةـ بـدونـ ولايةـ الـذـوـاتـ المـقـدـسـةـ لـحـضـرـاتـ الـأـئـمـةـ الـعـصـومـينـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ فـيـ حـضـرـ اللـهـ بـدونـ قـيـمةـ.

حضرـةـ آـيـةـ اللـهـ بـهـاءـ الدـينـيـ!ـ ماـذـاـ لـدـيـكـ مـنـ تـوـصـيـاتـ حـوـلـ أـهـمـيـةـ وـلـاـيـةـ أـهـلـ

الـبـيـتـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ وـخـصـوصـاـ حـضـرـةـ سـيـدـ الشـهـادـاـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ؟ـ

الـجـوابـ:ـ لـاـ يـصـبـحـ إـلـاـنـسـانـ مـوـحـدـاـ مـاـ دـامـ لـمـ يـعـرـفـ "ـالـوـلـيـ"ـ.ـ لـاـ بدـ منـ أـنـ يـؤـخـذـ الـتـوـحـيدـ مـنـ إـلـاـمـ الـحـسـينـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ،ـ فـقـدـ بـذـلـ كـلـ الـوـجـودـ فـيـ طـرـيـقـ الـحـقـ.ـ هـذـهـ

هـيـ الصـلـاـةـ الـمـعـارـاجـيـةـ الـتـيـ يـقـيمـهـاـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ وـهـذـاـ هوـ مـقـامـ زـائـرـ إـلـاـمـ

الـحـسـينـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ الـذـيـ هـوـ أـعـلـىـ مـقـامـ زـائـرـ بـيـتـ اللـهـ.

مـنـ الـمـمـكـنـ أـنـ مـلـيـارـاتـ الـأـشـخـاصـ يـذـهـبـونـ إـلـىـ زـيـارـةـ بـيـتـ اللـهـ وـلـيـسـ مـنـ

بـيـنـهـمـ مـتـوـلـ لـلـإـلـاـمـ الـحـسـينـ بـنـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ.ـ لـاـ بدـ منـ أـنـ يـتـلـكـ زـائـرـ إـلـاـمـ

الـحـسـينـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ مـثـلـ هـذـاـ مـقـامـ،ـ أـنـ يـكـونـ مـقـامـهـ أـعـلـىـ مـنـ حـاجـ بـيـتـ اللـهـ.ـ لـيـسـ هـذـاـ

بـدـونـ سـبـبـ بـلـ وـفـقـ حـاسـبـ دـقـيقـ.ـ لـاـ بدـ منـ أـنـ تـكـوـنـ إـجـابـةـ الدـعـاءـ تـحـتـ قـبـتـهـ

وـإـلـاـمـةـ فـيـ ذـرـيـتـهـ،ـ هـذـاـ الـكـلـامـ لـيـسـ لـأـجـلـ التـبـلـيـغـ وـالـنـشـرـ بـلـ هـيـ الـحـقـيـقـةـ...ـ

ثـوابـ الـذـهـابـ وـالـأـيـابـ بـيـنـ الـحـرـمـيـنـ:

سؤال: آية الله السيد علي القاضي! حضرتك ترى أنـكـ رـهـينـ الـمـواـهـبـ الـإـلهـيـةـ

وـالـعـنـيـاـتـ الـخـاصـةـ لـحـضـرـةـ سـيـدـ الشـهـادـاـ وـحـضـرـةـ أـبـيـ الـفـضـلـ الـعـبـاسـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ،ـ ماـ هـيـ

فـضـيـلـةـ زـيـارـةـ هـذـيـنـ الـعـظـيمـيـنـ؟ـ

الجواب: (بحسب عقيدتي) إن ثواب الذهاب والأياب بين الحرم الشريف للإمام أبي عبدالله الحسين والحرم الشريف لحضرتة أبي الفضل العباس عليه السلام هو أفضل من السعي بين الصفا والمروة.

الهوامش:

- (١) سورة التوبة: ٣٢.
- (٢) بحار الأنوار، العلامة الجلسي، ج ٩٨، ص ٢٥٥.
- (٣) سورة التوبة: ٣٢.
- (٤) سورة يوسف: ٢١.
- (٥) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوقي، ج ٤، ص ٤٠٤.
- (٦) بحار الأنوار، العلامة الجلسي، ج ٣٦، ص ٢٠٥.
- (٧) نفس المصدر.
- (٨) نفس المصدر، ج ٩٨، ص ٢٥٥.
- (٩) أضواء على الصحاحين، الشيخ محمد صادق النجمي، ص ٤٧.
- (١٠) نفس المصدر، ص ٥١.
- (١١) بحار الأنوار، العلامة الجلسي، ج ٧٩، ص ١٣٦.
- (١٢) نفس المصدر، ج ٤٥، ص ١٣٥ (ترحض: أي تغسل).
- (١٣) سورة الرحمن: ٢٦-٢٧.
- (١٤) بحار الأنوار، العلامة الجلسي، ج ١٤، ص ٩٦.
- (١٥) سورة إبراهيم: ١٨.
- (١٦) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج ١، ص ٣٦٨.
- (١٧) سورة الأنعام: ١٦٠.
- (١٨) بحار الأنوار، العلامة الجلسي، ج ٧١، ص ٢٧٠.
- (١٩) سورة الحشر: ٢٣. ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَمِّنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

- (٢٠) بحار الأنوار العلامة، المجلسي، ج ٧٥، ص ٢٧٥.
- (٢١) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٠٣.
- (٢٢) أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٣٨٩.
- (٢٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٢، ص ٣٣١.
- (٢٤) سورة التوبة: ١١١.
- (٢٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٣، ص ٣٣٠.
- (٢٦) موسوعة كلمات الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عَلَيْهِ الْكَلَمُ، ص ٣٩٧.
- (٢٧) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٩٨، ص ٢٩٣.
- (٢٨) سورة البقرة: ١١٥.
- (٢٩) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤، ص ٦.
- (٣٠) سورة الرعد: ١٧؛ جُفَاء: أي باطلًاً متفرّقًاً بحيث لا ينتفع به.
- (٣١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ٣٤، تاريخ الطبري، الطبرى، ج ٨، ص ١٨٨.
- (٣٢) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج ١٣، ص ٢٧٩.
- (٣٣) حقوق آل البيت عَلَيْهِ الْكَلَمُ في الكتاب والسنّة باتفاق الأئمّة، الشيخ محمد حسين الحاج، ص ٨٦.
- (٣٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٥، ص ١٣٦ - ١٣٧؛ رُوِيَ أَنَّ يَزِيدَ لَعْنَهُ أَمْرُ بَنِ بَرِّ وَخَطِيبٍ لِيُخَبِّرَ النَّاسَ بِمِسَاوِيِّ الْحَسِينِ وَعَلَيْهِ الْكَلَمُ وَمَا فَعَلَاهُ، فَصَدَّخَ الْخَطِيبُ النَّبْرَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ أَكْثَرَ الْوَقِيَّةَ فِي عَلِيٍّ وَالْحَسِينِ، وَأَطْنَبَ فِي تَقْرِيبِهِ مَعَاوِيَةَ وَيَزِيدَ لَعْنَهُمَا فَذَكَرَهُمَا بِكُلِّ جَمِيلٍ، قَالَ: فَصَاحَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسِينِ: «وَيْلَكَ أَيُّهَا الْخَاطِبُ! اشْتَرَيْتَ مَرْضَةَ الْمَخْلُوقِ بِسَخَّطِ الْخَالِقِ، فَتَبَوَّأْتَ مَقْعِدَكَ مِنَ النَّارِ». ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسِينِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «يَا يَزِيدَ! ائْذُنْ لِي حَتَّى أَصْعَدَ هَذِهِ الْأَعْوَادَ فَأَتَكَلَّمُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ فِيهِنَّ رَضَا، وَلِمَوْلَاءِ الْجَلَسَاءِ فِيهِنَّ أَجْرٌ وَثَوَابٌ». قَالَ: فَأَبَى يَزِيدَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ائْذُنْ لَهُ فَلِيَصْعَدَ النَّبْرَ فَلَعْنَا نَسْمَعُ مِنْهُ شَيْئًا. فَقَالَ: إِنَّهُ إِنْ صَدَ لَمْ يَنْزِلْ إِلَّا بِفَضْيَحَتِي وَبِفَضْيَحَةِ آلِ أَبِي سَفِيَّانَ. فَقَيْلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا قَدَرَ مَا يَحْسِنُ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مَنْ أَهْلَ بَيْتَ قَدْ رُؤْقُوا الْعِلْمَ زَفَّاً...»
- (٣٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٥، ص ١٧٧؛ أَمَالِي الطوسي: أَمَدَ بن عبدون، عن عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الزَّبِيرِ، عن عَلِيٍّ بْنِ فَضَّالٍ، عن عَلِيٍّ بْنِ عَامِرٍ، عن أَبِي عَمَارَةِ، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

طلحة، عن عبد الله بن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما قدم علي بن الحسين وقد قتل الحسين بن علي صلوات الله عليهم استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبيدة الله وقال: يا علي بن الحسين من غالب؟ وهو يغطي رأسه وهو في الحمل قال: فقال له علي بن الحسين: إذا أردت أن تعلم من غالب ودخل وقت الصلاة فأذن ثم أقم».

(٣٦) سورة الرعد: ١٧. ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَأَلَتْ أُودِيَّةٌ بِقَدْرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زِيدًا رَأَيَا وَمِمَّا يُوَقِّدُونَ عَلَيْهِ فِي التَّارِيْخِ ابْغَاءَ حِلْيَةً أَوْ مَتَاعً زِيدًا مُثْلِهِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَإِنَّمَا الزَّيْدَ فِيْهِ بُجُعَاءٌ وَمَمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾؛ جُنَاحَ: أي باطلاً متفرقاً بحيث لا يُنفع به.

(٣٧) التشبيه هنا بأن الماء هو الأصل والطهارة والواقعية والشفافية والزلال، أما الزبد فهو شيءٌ فرعٍ وزائلٍ ومنتهٍ وينتهي للزوال.



من الغدير إلى كربلاء

الشيخ محمد عباس الجرجاني

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي منّ علينا بولادة أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده المعصومين ورزقنا البراءة من أعدائهم إلى قيام يوم الدين، وأفضل الصلوات والتحيات على سيد الخلق أجمعين أبي القاسم محمد عليه السلام.

نتحدث في هذا البحث عن واقعتين مهمتين دوّى صوتهما في العالم الإسلامي، وبينهما ارتباط وثيق ومهم جدًا واعتاد المسلمون من الشيعة الإمامية على الاهتمام بهما لأنهما من تعظيم شعائر الله ألا وهما (الغدير وعاشوراء).

تعلمون أن أمر الخلافة الإلهية والقيادة الربانية مجعل الباري

تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١)، ﴿يَا دَاؤُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٢)، ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرَيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

فأمر الخلافة والقيادة والوصاية للأنبياء ليس أمرها بالاختيار والشوري أو من مختارات النبي فيختار من يشاء، لذا فإن الباري تعالى يخبر نبيه بأمر وصيّه وال الخليفة كما هو كذلك في جميع الأنبياء وبالخصوص في خاتم الأنبياء محمد ﷺ؛ لأن النبوة تختتم به ولا بد من استمرار أمر الخلافة في الأرض، وقد كانت قيادة الأمة الإسلامية من شؤون النبي ﷺ ما دام حيا ولا يمكن للشريعة الخالدة أن تهمل أمر القيادة العليا للأمة بعد النبي خصوصاً أنه ﷺ كان يعلم بما سيحدث بعده كما ذكرت الآية ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ اثْقَلْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٤)، ولا يمكن أن يوكل هذا الأمر المهم إلى الأهواء والرغبات أو إلى الاجتهادات الشخصية على اختلاف الآراء والاجتهادات والميولات فحيث ينتهي الأمر إلى الاختلاف والتشتت، بالأخص أن أخطاراً عظيمة من الخارج والداخل كانت تحيط بالأمة الإسلامية، ولذا نطقت الآية بذلك وشددت اللهجة، فكان النبي ﷺ يدرك خطورة الموقف من بعده، فكان يؤكّد على حديث الثقلين وذكر الخلفاء الاثني عشر من بعده كما ذكر ذلك عدد من علماء السنة في كتبهم^(٥).

بعضها صريحة باسمائهم عليهم السلام وبعضها كما في كتاب البخاري وصحيح مسلم ومستند أحاديث^(٦).

عن جابر بن سمرة قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً، ثم تكلم فخفي علي ما قال، فسألت أبي: ما الذي قال؟ فقال: قال: كلّهم من قريش»^(٧).
وذكر ذلك في عدة مواطن في سنة ١٠ هـ . منها في ٧ ذو الحجة بمكة، يوم عرفه، يوم النحر بمنى، أيام التشريق بمنى، يوم النفر ١٢ ذو الحجة^(٨)، يوم الغدير،

عند معركة مؤته، وعند رحيله من الدنيا.

ولذا جاءت الآية شديدة اللهجة في يوم الغدير : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٩)، سياقها يبيّن مدى أهمية الأمر وخطورة الموقف الذي ألقى على عاتق الرسول ﷺ، والذي يعتبر مساوياً للرسالة والأهمية والواجب ليأس الكفار وأعداء الإسلام كما نطقت الآية الكريمة ونزلت من بعدها : ﴿الْيَوْمَ يَعْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْشُوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَّنًا﴾^(١٠).

فقال ﷺ : «الله أكبر الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة ورضي الرب برسالي، والولاية لعلي من بعدي»^(١١).

وفي ذيل تفسير آية البلاغ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، «أن علياً مولى المؤمنين»^(١٢)، من هنا يلزم على الباحث عن الحقيقة أن يدرس القضية الخطيرة في تلك الظروف في ضوء منهج علمي يعتمد على دراسة ظروف عصر الرسالة والأيام الأخيرة من حياة الرسول ﷺ وتقيمها بشكل معقول، فإن حماية الأمة من الحوادث المشؤومة والhilولة دون حدوث ظاهرة مطالبة كل فريق بالزعامة لنفسه، ويعقب ذلك التنازع على مسألة الخلافة والزعامة، لم تكن ولم تتحقق إلا بالتعيين والتنصيب على القائد كفؤ للآمة المتصرف بصفات الخلافة الإلهية كما قال ﷺ : «أنت مي عنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

وإطاعته على الناس واجبة ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرُ مِنْكُمْ﴾^(١٣)، إذا لم يكن في الأمر معصوماً^(١٤) لا يجب إطاعته.

ولذا خطب النبي ﷺ خطبة ذات يوم بعد صلاة الصبح في آخر حياته الكريمة في المدينة قال ﷺ : «إني راحل بينكم ولا أخاف على أمتي من الفقر بل

أخاف عليهم من سوء التدبير وقبح التبذير وقلة الاعتبار وكثرة الاغترار.

وهذا ما حصل واقعاً من انحراف السلطات الأموية والعباسية بداء بالسقيفة،

وتهميئه أرضية عاشوراء من يوم السقيفة ثم قتل العترة المادية الطاهرة.

قال أمير المؤمنين ع: «إِنَّمَا بَدَءَ وَقْعَةُ الْفَتْنَةِ أَهْوَاءً تَبَعَّ، وَأَحْكَامًا تُبَدِّعُ، يَخَالِفُ فِيهَا كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَوَلِّ عَلَيْهَا رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مَزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لِبِسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُونُ الْمَعَانِدِينَ، وَلَكِنَّ يَؤْخُذُ مِنْ هَذَا ضُفْتَ وَمِنْ هَذَا الضُّفْتِ فِيمَزْجَانَ، فَهَنَالِكَ يَسْتَولِي الشَّيْطَانُ عَلَى أُولَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقْتُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحَسْنِي»^(١٥).

قال أمير المؤمنين ع: «سوء التدبير سبب التدمير، ومن ساء تدبيره تعجل تدميره».

فلمراجعة كلمات الإمام أمير المؤمنين وظلمه في نهج البلاغة، فكل منصف عاقل بعيد عن كل هوى وعصبية يعلم مقام أمير المؤمنين و منزلته وصدقه وفضله فإنه يرى أنه أحق بهذا الأمر، ولذا كان يقول لهم: «أَنَا أَحْقَ بِهِذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ أُولَى بِالنَّاسِ بِالْبَيْعَةِ مِنِّي، أَنَا أُولَى بِرَسُولِ اللَّهِ حَيَاً وَمِتَّا وَأَنَا وَصِيهُ وَوَزِيرُهُ وَمُسْتَوْدِعُ سُرِّهِ وَعِلْمِهِ وَأَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ وَالْفَارُوقُ الْأَعْظَمُ... فَعَلَمَهُ تَنَازَعُونَا هَذَا الْأَمْرِ إِنْصَفُونَا أَنْ كَتَمْتُمْ تَخَافُونَ اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا فَبُوْرُوا بِالظُّلْمِ وَالْعُدُوانِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»، «أَنْكُمْ تَعْلَمُونَ أَنْ حَلَى حَلْ الْقَطْبِ مِنَ الرَّحِيْ».

لو أن أحداً يشك في دلالة الغدير وأنها لا تدل على الولاية بمعنى الوصية والوزارة يكفيه مراجعة كلماته في نهج لا أظن لمنصف يبقى له أدنى تأمل أو شك. فالانحراف عن قطب الرحى يتربّ عليه آثار سلبية والالتفاف حوله له آثارا إيجابية ترجع إلى الإسلام والأمة الإسلامية جميعاً؛ لذا تقول الصديقة الشهيدة في خطبتها: «وَإِلَمَامَةُ أَمَانٌ مِنَ الْفَرْقَةِ».

يقول أمير المؤمنين ع: «أَيْتَهَا الْأَمْمَةُ الْمُتَحِيرَةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا، أَمَا أَنْكُمْ لَوْ قَدْمَتُمْ مِنْ

قدّم الله وأخرت من آخر الله وجعلتم الولاية والوارثة حيث جعلها الله ما عال ولـي الله^(١٦). ولا طاش سهم من فرائض الله ولا اختلف اثنان في حكم الله ولا تنازعـت الأمة في شيء من أمر الله إلا علم ذلك عندنا من كتاب الله فذوقوا وبالـما قدمـتـأيديـكـم وما الله بظلم للعيـد، وسيعلم الذين ظلمـوا أي منقلب ينتـلـبون^(١٧).
لذا كان يذكر الرسول ﷺ بالكتاب والعتـرة.

لذا كان يذكّر الرسول ﷺ بالكتاب والعترة.

وقال عليه السلام: «...ولو أن الأمة منذ قبض الرسول ﷺ اتبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم».^(١٨)

يقول شاعر القرن ابن أبي قريعة ٣ هـ المتوفى سنة ٣٦٧ هـ:

يا من يسائل دائبا عن كل معضلة سخيفة
لا تكشفنَّ مغطى فلربما كشفت جيفه
إلى أن يقول:

وأريتكم أن الحسين أُصيب في يوم السقيفة
ولأيّ حال لُحدّت بالليل فاطمة الشريفة

من السقيةة تهيئة الظروف والأرضية للأمومين ومن ثم للعباسين وتسلطهم على رقاب المسلمين، معاوية صلى الأربعاء بدلاً عن الجمعة، جعلهم لا يفرّقون بين الناقة والجمل فكان معاوية يحارب علياً بهؤلاء البسطاء. ومنها حصل التغيير للأحاديث الواردة في أمير المؤمنين بل وصل الأمر إلى جعل أحاديث مضادة لها^(١٩)، سَنَ السبّ على المنابر وخطب الجمعة وكتب إلى ولاته تهيئة الأرض لسلطان ولده يزيد لعنة الله. فالآمة انحرفت فكريأً وعقائديأً ومعاوية كبس عليهم التفكير وخلق لهم حالة الجبر. وإلا كيف تتصور أناس يصلون ويصومون ويعرفون من هو أمير المؤمنين والحسن والحسين كيف جاءوا الحرب ريحانة رسول

الله ونبي نسائه وساب ونهب أموال آل الرسول.

ولم يكتفي معاوية بسب أمير المؤمنين وإظهار الحقد عليه وعلى أصحابه بل حتى على النبي ﷺ. معاوية في أيام سلطانه لم يصلّى على النبي أربعين جمعة وعندما سمع المؤمنون يذكرون اسم الرسول بالشهادة انتفع قائلاً "لله أبوك يا بن عبد الله، لقد كنت على الهمة ما رضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين". سحر الوعاظ لانحراف الناس وميل قلوبهم عن أهل البيت بل عمدوا إلى تربية الناشئة وزرع البغض لعلي وأولاده في قلوبهم.

استعمال العنف والقتل والتشريد مع القمع وقد وصف الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: «وَقُتْلَتْ شِيعَتَا بِكُلِّ بَلْدَةٍ، وَقُطِعَتْ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ عَلَى الظَّنَّةِ مَنْ يَذْكُرْ بِجَنَاحِهِ وَالْأَنْقِطَاعَ إِلَيْنَا... سُجْنٌ أَوْ نَهْبٌ مَالِهِ أَوْ هَدْمَتْ دَارَهُ»^(٢٠)، وهذه جريمة كبيرة ذات أبعاد اجتماعية واسعة وسياسة خطيرة تنتهي إلى تصفية الإسلام ومحوه من على وجه الأرض، لو لا ثورة أبيّ الظيم سيد الشهداء سبط رسول الله الأعظم الحافظ لدين جده من الضياع والدماء أعلن حكمته، «هيئات منا الذلة»، «إن كان دين محمد...».

الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء:

فقام سيد الشهداء وانطلق من مسؤوليته تجاه الشريعة الغراء والأمة الإسلامية بصفته وريث النبوة، فـإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بثورته ضد الظلم والاستهتار أريق دمه الزكي لأجل أحياء دين الله القويم، وايقاظ هذه الأمة وخلاصها من الضياع، لهذا أيها الأحبة الكرام من هذا علمنا ما هو الارتباط بين الغدير وكرباء، وأنه يجب علينا أحياهما والاحتفال بهما، إحيائهما أحيا لذكر محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رحم الله من أحيا أمرنا»^(٢١).

وقالت عقيلة لها شيئاً: «والله لا تمحوا ذكرنا»^(٢٢).

فأنت يا شيعة أمير المؤمنين والحسن والحسين عليكم بإحياء ذكر أهل البيت، خلقكم الله لهذا الأمر كما أخبر الرسول ﷺ لسيدة النساء عليها بقضية الحسين عليهما السلام، فبكت بكاءً شديداً فقال ﷺ لها: «في زمان يكون ذلك حال منك ومني». قالت: فمن الباكي عليه؟، فقال ﷺ: يا فاطمة! أن نساء أمري يكن على نساء أهل بيتي ورجالهم يكن على رجال أهل بيتي، ويجدون العزاء جيلاً بعد جيل في كل سنة فإذا كان يوم القيمة تشفعي أنت للنساء وأنا أشفع للرجال، يا فاطمة! كل عين باكية في يوم القيمة إلا عين بكت على مصاب الحسين، فإنها ضاحكة مستبشرة».

فأحداث عاشوراء مادةً غزيرة للتفكير والتنقيف والتغيير هذه المادة تتضمن القيم المؤثرة والفاعلة في حياة الإنسان كما تتضمن سنن الله في الصراع بين الحق والباطل والتوحيد والشرك فإنها تكشف عن استقرار الحق وزهوق الباطل، وأحداث يوم عاشوراء ترفع هذا الشعار ويظهر كل من الحق والباطل على حقيقته، وكل من يحتفل بذكرى الغدير وعاشوراء يعيش هذا المعنى، ولذا يقال: كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء؛ لأن عاشوراء فضحت ما يخفيه معسكر النفاق من الزييف الباطل والهوى والاستهتار وحب الذات والاستغراق في شهوات الدنيا والتهاك على حطامها وتسفر عن معسكر التوحيد المليء بالقيم والفضائل والأخلاق الكريمة والتسامي عن مغريات الدنيا ونكران الذات والترفع عنها والإقبال على الله تعالى.

كل واحد منا يشعر أن عاشوراء جزء من كيانه وعمقه التاريخي، وجزء من حاضره وواقعه المعاصر الذي يعيشه في الصراع بين حزب الله النجباء وحزب الشيطان، والذي يبرز على وسائل الإعلام في ساحات المواجهة والصراع العبور واشكال مختلفة، وجمهورنا بحاجة ملحة إلى هذه الثقافة وعاشوراء غني بهذه الثقافية وغني بآفاق جديدة للتفكير والتأمل، وخطباء المنبر الحسيني والشعراء والرواديد مسؤولون عن اكتشاف هذه الآفاق.

وانشداد المؤمنين بجادثة الطف معنى هو الود الذي جعله الله في قلوب المؤمنين للحسين عليه السلام: «إن للحسين حراره في قلوب المؤمنين» وود الصالحين الذي غرسه الله في قلوب المؤمنين لا يستطيع أحد أن ينتزعه، وانشداد المؤمنين ليوم عاشوراء هو تعبير عن هذا الود للحسين، مهما كلف الأمر وحاول الطغاة على طول التاريخ أن ينزعوا هذا الحب والود من قلوب آل الرسول، ومنع الناس عن زيارة قبورهم لم يزيدهم إلا خسارا فقد اشتد الود والارتباط بالحسين عليه السلام حتى قدمو أعناقهم ولا زال الصراع مستمراً على مدى الأزمان، ولذا أيها الأحبة علينا أن نظهر مظاهر عاشوراء بأحسن وجه.

مع أن الشيعة عاشوا أشد القهر والتشريد والتنكيل كان أئمة أهل البيت عليهما السلام يؤكّدون على إقامة العزاء على الحسين، ونيل الثواب العظيم لمن يبكي على الحسين وأن كل جزع مكروه إلا على الحسين، وكل عين باكية يوم القيمة إلا عيون منها عين بكت على مصيبة الحسين^(٢٣) لماذا لا نكتفي بذكر الحاضرات الدينية من دون إنشاد شعر وبكاء وخيب ولطم وخروج بأعلام ولبس السواد؟ نقول هناك عدد من العوامل المؤثرة في بلورة تغيير السلوك بعض الأحيان لا تكون مؤثرة بقراءة موضوع من كتاب أو استماع محاضرة.

العامل الأول المعرفة والثاني الأحساس والعواطف والرغبة والدافع في أعماق الإنسان التي تبعث الإنسان وتدفعه، وهذه تسمى بالعشق والود والحب وقد أكدّ الأئمة عليهما السلام على هذا الدافع.

قد جربتم مشاعركم وقد قرأتكم عن قضايا كثيرة ومنها عن عاشوراء لعلك تتأثر بينك وبين نفسك ولكنكم مدى تأثيره في الأعمق عندما تحضر المجالس الحسينية أو تسمع الشعراً ينشدون شعراً في مصاب الحسين أو الرادود الحسيني عندما ينبع على مسامع الشباب كم يتأثر منهم فيجهشون بالبكاء، ولذا يعبر

بعض الأعظم بقوله: كلّ ما لدينا من عاشوراء (المحرم وصفراً); لذا أطلب من أخيه الإيّان شعراً وخدم الحسين والرواديد الحسينيون -أَدَمُ اللَّهُ عَزَّهُمْ- أن ينشدوا في أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ويصبوّا في هذا القالب؛ لأن قضية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ هي الأساس والأصل وعن طريقها نتعرف على مظلومي العالم والمستضعفين، وليدخل ذلك في الجزء على مصاب الحسين ولذا حادثة عاشوراء حادثة عظيمة في الثواب نهضت بالأمم، وهذا دور كبير في التاريخ الإسلامي فهي التي غيرت مسيرة التاريخ الإسلامي وهي التي زودت الإنسان إلى يوم القيمة دروس التحرّك والنهضة وهي المقومة والاستقامة والشهادة، يقول بعض الأعلام: نحن وإن قدمنا حسيناً بين العظماء فإننا لا نقدم فيها عظيماً فحسب، وإنما نقدم فيها عظيماً دونه كل عظيم، فلم تكن ذكراه ذكرى رجل، بل ذكرى الإنسانية الحالدة، ولم تكن أخباره أخبار بطل، بل خبر البطولة الفذة.

يقول بعض الأعظم: "إقامة العزاء على الحسين من اللطم والبكاء والنحيب، وما وردت من الروايات الكثيرة في ذلك لأجل حفظ الحقائق وعدم اندرايسها، وأهم من ذلك لأجل اجتماع المؤمنين تحت راية واحدة والكل ينادي يا حسين...".
نسأل الله أن ينتصر المظلومين من كل ظلم وجور.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين.

اللهم العن أول ظالم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك اللهم
العن العصابة التي شايعت وباعيت وتابت على قتلهم اللهم العنهم جميعاً.
والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) سورة البقرة: ٣٠.

- (٢) سورة ص: ٢٦.
- (٣) البقرة: ١٢٤.
- (٤) آل عمران: ١٤٤.
- (٥) ينابيع الموده ب ٧٦ - ٤٤١ - ٤٨٦.
- (٦) ط خ / ٧٢٩ ح ٢٠٣٤ ب ١١٤٨، صحيح مسلم كتاب الامارة باب الخامس تبع لقريش ٤٨٢/٤، مستند أحمد ٣٨٩/١.
- (٧) بحار الأنوار ٣٦: ٢٣٤.
- (٨) السيرة النبوية ٣: ١١٦.
- (٩) المائدة: ٦٧.
- (١٠) المائدة: ٣.
- (١١) المناقب للخوارزمي ١٣٥ ، شواهد التنزيل للحسكاني ٢٠٠/١.
- (١٢) بل ورد في تفسير فتح ٨٨/٢ ، والسيوطى ١١٧/٣.
- (١٣) النساء: ٥٩.
- (١٤) بحثنا في الآية المباركة في كتابنا الآيات الباهرة في مناقب العترة الطاهرة.
- (١٥) نهج البلاغة من كلام له في تمجيد الله.
- (١٦) أي ما مال عن الحق.
- (١٧) فروع الكافي ٧٨/٧.
- (١٨) البحار ٤١/٨٩.
- (١٩) الكامل في التاريخ ٢٠٢/٣، أنساب الأشراف للبلذري ج/ق ٤ ص ٦٤٨ ح ٢٤٣، النصائح الكافية ١٠٠.
- (٢٠) الطبقات الكبيرة لابن سعد ٥: ٩٥ (بتصرف).
- (٢١) المحسن ج ١ : ١٩.
- (٢٢) بحار الأنوار ٤٥: ١٣٥.
- (٢٣) راجع بحار الأنوار ٤٤ ب ٣٤ باب ثواب البكاء على الحسين عَلَيْهِ الْكَفَيْهُ ٢٧٨.



مشروعية البكاء من كتب العامة

الشيخ محمد علي حاتم

هذا البحث المتواضع معدّ لدفع بعض الشبهات حول سنة من سنتين
الرسول ﷺ التي سنّها وأكّد عليها من خلال قوله وفعله وتقريره
وهي سنة البكاء.

وهذه محاولة لجمع عدد من المواطن التي بكى فيها الرسول ﷺ
على ميّت أو على شخص يُخاف موته، والإشارة إلى ما ورد من
معارضات لهذا المعنى وترجيح ما يستحق ذلك، ومن ثمّ نلحق في ختامه
بعض المواطن التي بكى فيها الرسول ﷺ على الإمام الحسين ع.

وفي كل هذا نعتمد على ما ورد في بعض كتب العامة.

الروايات الواردة في بكاء النبي ﷺ على المتوفى وحثه على ذلك

١- بكاء الرسول ﷺ في مرض سعد بن عبادة^(١)

في صحيح مسلم:

عن عبد الله بن عمر قال: اشتكي سعد بن عبادة شكوى له، فأتى رسول الله ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه وجده في غشية، فقال: «أَقْدَ قُضِيَ؟» قالوا: لا يا رسول الله! فبكى رسول الله ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، فقال: «أَلَا تسمعون؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يعذِّبُ بدموع العين، وَلَا بحزن القلب، وَلَكُمْ يعذِّبُ بِهَذَا - وأشار إلى لسانه - أَوْ يرْحُمُ»^(٢).

هنا يظهر بكاء الرسول ﷺ وأنه قد أطّال في البكاء حتى التفت القوم إلى بكائه فبكوا ببكائه وفي محضره الشريف مع أن الرسول ﷺ يعلم بعدم موت سعد أي أنه بكى على من يخاف عليه الموت.

وفي قوله ﷺ «أَلَا تسمعون» يحتمل فيها إرادته للتنبيه على ما سيقول من كلام مهم يريد شدّ انتباهم إلية. ويحتمل فيها إرادته التقرير؛ أي أنه نزلهم منزلة المنكر.

وفي كلا الاحتمالين يوجد توكيده على أن البكاء على الميت لا يضرّ.

٢- بكاء النبي ﷺ على ابنه إبراهيم

في صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود وابن ماجة واللفظ للأوّل: قال أنس: دخلنا مع رسول الله ﷺ ... وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف (رض): وأنت يا رسول الله؟! فقال: «يا بن عوف، إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمِعُ وَالْقَلْبُ يَحْزُنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّ بُرْرَاقَكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَحَزُونُونَ»^(٣).

وفي سنن ابن ماجة:

عن أنس بن مالك؛ قال: لما قبض إبراهيم، ابن النبي ﷺ قال لهم النبي ﷺ: «لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه» فأتاه فانكب عليه، وبكي^(٤). بهذه الإضافة نستفيد أن النبي ﷺ كثر بكاؤه على ولده حتى بلغ به الأمر إلى أنه أنكب عليه وبكى أمام الجميع ولم يكتف ب مجرد النظر إليه مع البكاء، ولا يخفى ما في الانكباب من معنى الإقبال على الشيء ولزومه والاشغال به عن غيره.

٣- بكاء الرسول ﷺ على عمه حمزة

في طبقات ابن سعد ومغازي الواقدي ومسند أحمد وغيرها واللفظ للأوّل: قال: لما سمع رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد البكاء من دور الأنصار على قتلهم، ذرفت عينا رسول الله ﷺ وبكى، وقال: «لكن، حمزة لا يبكي له»، فسمع ذلك سعد بن معاذ، فرجع إلى نساءبني عبد الأشهل فساقهن فدعا لهنّ وردهنّ. فلم تبك امرأة من الأنصار بعد ذلك إلى اليوم على ميت، إلاّ بدأت بالبكاء على حمزة، ثمّ بكّت على ميتها^(٥).

وهنا أقف سريعا على نكتة مفادها أن النبي ﷺ ألم يُبكي على الحمزة كما يُبكي على الأنصار، والسؤال هنا كيف كان بكاء نساء الأنصار على قتلهم! ألم تكن أصواتهن قد اعتلت حتى خرجت من الدور وملئت الطرقات!.

٤- بكاء الرسول على الشهداء بغزوة مؤتة

في صحيح البخاري: أنّ النبي ﷺ نهى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم وقال: «أخذ الرایة زيد، فأصيب. ثمّ أخذ جعفر، فأصيب. ثمّ أخذ ابن رواحة فأصيب»، وعيناه تذرفان^(٦).

٥- بكاء الرسول ﷺ على جعفر بن أبي طالب

في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وتاريخ ابن الأثير وغيره ما موجزه:
لما أُصيب جعفر وأصحابه دخل رسول الله ﷺ بيته وطلب بني جعفر،
فتشمهم ودمعت عيناه، فقالت زوجته أسماء: بأبي وأمي ما يبكيك؟ أبلغك عن
جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم أصيروا هذا اليوم». فقالت أسماء: فقمتُ أُصيبح
وأجمع النساء، ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: واعمّا، فقال رسول الله ﷺ:
«على مثل جعفر فلتبك الباكي»^(٧).

الظيف أن في هذا الخبر ذكر لتجتمع نسوة غرضه البكاء على ميت والألطاف
أنه كان برأي وسمع من النبي ﷺ ومشاركة من الزهراء عليها السلام.

٦- بكاء الرسول ﷺ على أمّه عند قبرها

في صحيح مسلم ومسند أحمد وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجة واللفظ
للأول:

عن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمّه فبكى وأبكى من حوله^(٨).

رأي علماء العامة في البكاء على الميت:

وأمام هذا السيل من الروايات من الثابتة عن النبي ﷺ نجد علماء المسلمين
يفتون بجواز البكاء على أقل تقدير على الميت منهم ابن قدامة المقدسي - حنبلي
المذهب - من كتابه المغني^(٩)، فقد كتب: "مسألة": قال: (والبكاء غير مكروه إذا لم
 يكن معه ندب ولا نياحة)، أما البكاء بمجرده فلا يُكره في حال. وقال الشافعي: يُباح
 إلى أن تخرج الروح".

ومن يدّعى أن البكاء الوارد عن الرسول ﷺ هو مجرّد سيلان الدموع من
دون خروج الصوت، أو أن الروايات في من أوصى بالبكاء والنوح عليه... فعليه

أن يبرز الدليل على ذلك بدلاً من بثّ مجموعة من الدعاوى الخالية من الدليل أو المؤيد حتى.

والغريب ادعاء البعض أن هذه الأحاديث هي لمن سنّ البكاء فصار أهله يبكون عليه سائرين على طريقته في النوح والبكاء! وغيرها من الترهات التي لا تُقبل.

روايات نهي النبي ﷺ عن البكاء ونشأه

في صحيح مسلم:

عن عبد الله، أن حفصة بكت على عمر. فقال: مهلا يا بنية! ألم تعلمي أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْمَيْتَ يَعْذَبُ بِبَكَاءِ أَهْلِهِ»^(١٠).

وفي رواية أخرى:

عن عمر، عن النبي ﷺ قال: «الْمَيْتُ يَعْذَبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نَيَّحَ عَلَيْهِ»^(١١).

وفي أخرى:

عن ابن عمر، قال: لما طعن عمر أغمي عليه، فصريح عليه، فلما أفاق قال: أما علمتم أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْمَيْتَ يَعْذَبُ بِبَكَاءِ الْحَيِّ»^(١٢).

استدراك عائشة على حديث عمر وابنه

وفي صحيح مسلم:

عن ابن عباس ما موجزه: لَمَّا قَدَّمَا الْمَدِينَةَ لَمْ يَلْبِسْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَصْبَبَ فجاءَ صَهْبِيْ يَقُولُ: وَالْأَخَاهُ! وَاصْحَابَاهُ! فَقَالَ عَمْرٌ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيْتَ لَيَعْذَبُ بِعَضِ بَكَاءِ أَهْلِهِ».

فقمت فدخلت على عائشة، فحدّثتها بما قال عمر. فقالت: لا والله! ما قال رسول الله ﷺ قط «إِنَّ الْمَيْتَ يَعْذَبُ بِبَكَاءِ أَهْدَ»، ولكنّه قال: «إِنَّ الْكَافِرَ يَزِيدُه

الله يبكي أهله عذاباً وإن الله هو أضحك وأبكي. ولا تزر وازرة وزر أخرى».
وعن القاسم بن محمد قال: لما بلغ عائشة قول عمر وابن عمر قالت: إنكم تحدّثوني عن غير كاذبين ولا مُكذبين، ولكن السمع يخاطئ^(١٣).
وهنا لم تقف أم المؤمنين عائشة على رفض الحديث وحسب بل أبرزت تعارضه مع القرآن الكريم وذكرت الحديث الصحيح، فهي لم تتعامل مع الحديث كتعامل المجتهدين حتى يقال بأنها لم تكن قادرة على الجمع بين الحديث والقرآن فقللت بالتعارض فأخطأت في اجتهادها، بل تعاملت معه معاملة الراوي أولاً فرددت الحديث وأكّدت على عدم صدوره من النبي ﷺ ثم ترقّت إلى دعوى استحالة صدور هذا المضمون من النبي ﷺ بخالفته لتصريح القرآن، وبعد ذلك كله انتقلت إلى الخطوة الثالثة من نقل الحديث الصحيح.

وجاء في صحيح مسلم:

عن هشام بن عمرو عن أبيه، قال: ذُكر عند عائشة قول ابن عمر: الميت يعذّب ببكاء أهله عليه، فقالت: رحم الله أبا عبد الرحمن، سمع شيئاً فلم يحفظه، إنما مررت على رسول الله ﷺ جنازة يهوديّ وهم يبكون عليه، فقال: «أنتم تكونون وإنه ليعذّب»^(١٤).

قال الإمام النووي (ت/ ٦٧٦ هـ) في شرح صحيح مسلم عن روایات النهي عن البكاء المروية عن رسول الله ﷺ: "وَهَذِهِ الرَّوَايَاتُ مِنْ رَوَايَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ..."^(١٥).

مقارنة الروایات و نتيجتها:

ثبت من خلال الروایات أنّ من سيرة النبي ﷺ البكاء على من رآه مشرفاً على الموت وعلى من توفي شهيداً أو غير شهيد وعلى قبر المتوفى.
و ثبت أيضاً من الروایات أنّ روایات نهي الرسول ﷺ عن البكاء على

الميت انحصرت بال الخليفة الثاني وابنه عبد الله، وثبت من خلال استدراك أم المؤمنين عائشة على ذلك، أنّ ما رواه الخليفة الثاني وابنه عبد الله من نهي النبي ﷺ عن البكاء على الميت كان خطأً.

ولا يخفى على المتأمل ما في تلك الروايات المدعى فيها أنّ الميت يُعذب بكاء أهله عليه، فقد كفانا مؤونة رده ما قالته عائشة.

كما أنّ مقتضاه أن يُعذب -والعياذ بالله- مثل الشهيد جعفر بن أبي طالب الطيار؛ لأجل بكاء النبي ﷺ عليه! أو يُعذب النبي -والعياذ بالله- وهو سيد الخلق بكاء الصديقة الزهراء عليها السلام عليه!

وثبت أنّ البكاء على من يخاف موته وعلى المتوفى وعلى قبر المتوفى من سيرة النبي ﷺ وسنته، وبذلك يكون بكاء النبي على الحسين عليهما السلام اتباعاً لسيرة النبي ﷺ وسنته.

وستثبت أيضاً من الروايات بكاء النبي ﷺ عدة مرات على سبطه الشهيد وبذلك يلحق بكاؤه على الحسين عليهما السلام بالقسم الأول ويعدّ من سيرة النبي وسنته.

الروايات النافية عن النياحة

وهنا نقف لدفع شبهة مفادها أن في كتب الإمامية وردت روايات تنهى عن البكاء والنياحة وهذا هو بعينه ما يفعله الشيعة! منها عن جابر : «... ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر، وأخذ في غير طريقه»^(١٦). وفي رواية أخرى : «النواحة من عمل الجاهليّة»^(١٧)، «... نهى عن النياحة والاستماع إليها...»^(١٨).

والجواب عنها:

إنّ هذه ناظرة إلى النياحة الكاذبة، التي كانت على زمان الجاهليّة حيث كانوا يدعون عدداً من المناقب للميت ويصفونه بمال ليس فيه كذباً وينوحون عليه. ولا بد من التفريق بين النوح الباطل وهو المستلزم للنحو والاعتراض على

الله عز وجل وهو المنهي عنه - وبين النوح بالحق وهو الذي لم يرد النهي عنه، ولو كان كل الندب والنوح على الميت باطل لما فعل ذلك الإمام الباقي عليه السلام كما في الحديث: «قال أبي: يا جعفر، أوقف لي من مالي كذا وكذا النوادب تتدبني عشر سنين يعني أيام مني»^(١٩)، وهذا الفعل يفيد أن النوح والندب كان سنة جارية.

بعد كل هذا نختتم بذكر عدد من الروايات الواردة عن العامة التي تفيد بكلاء الرسول عليه وآله وآلها وآلبيه عليهما السلام على ولده الحسين بن علي عليهما السلام:

١- حديث أم الفضل

في مستدرك الصحيحين وغيرهما:

عن أم الفضل بنت الحارث، أنها دخلت على رسول الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله إني رأيت حلماً منكراً الليلة، قال: «وما هو؟» قالت: إنه شديد، قال: «وما هو؟» قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري، فقال رسول الله عليه وآله: «رأيت خيراً، تلد فاطمة - إن شاء الله - غلاماً فيكون في حجرك»، فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري - كما قال رسول الله عليه وآله - فدخلت يوماً إلى رسول الله عليه وآله فوضعته في حجره، ثم حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله عليه وآله تهريقان من الدموع، قالت: يا نبى الله! بأبي أنت وأمي ما لك؟ قال: «أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخرني أن أمي ستقتل ابني هذا»، فقلت: هذا؟ قال: «نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيفيين ولم يخرجاه»^(٢٠).

٢- حديث أمير المؤمنين عليه السلام

«...فنادا علي: اصبر أبا عبد الله اصبر أبا عبد الله بشط الفرات. قلت: وماذا؟ قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيشه تفيضان، قلت: يا نبى الله أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟، قال: بل قام من عندي جبريل قبل،

فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات. قال: فقال: هل لك إلى أن أمسك من تربته؟ قال: قلت: نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا»^(٢١).

”رجاله ثقة“^(٢٢).

٣- حديث معاذ بن جبل

«عن معاذ بن جبل قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير اللون، فقال: أنا محمد، أُوتيت فواتح الكلام وخواصه فأطعوني ما دمت بين أظهركم، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه أتكم الموتة أتكم بالروح والراحة كتاب من الله سبق أتكم فتن كقطع الليل المظلم كلما ذهب رسل جاء رسل تناشت النبوة فصارت ملكاً رحم الله من أخذناها بحقها وخرج منها كما دخلها، أمسك يا معاذ وأحسن، قال: فلما بلغت خمساً، قال: يزيد لا يبارك الله في يزيد ثم ذرفت عيناه صلى الله عليه وسلم، ثم قال: نعي إلى حسين وأتيت بتربيته وأخبرت بقاتله والذي نفسي بيده لا يقتلوه بين ظهراني قوم لا يمنعونه إلا خالف الله بين صدورهم ولوبيهم وسلط عليهم شارفهم، وألبسهم شيئاً، قال: واه لفراخ آل محمد من خليفة يستخلف متوف يقتل خلفي وخلف الخلف...»^(٢٣).

٤- حديث أم سلمة

«عن أم سلمة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ذات يوم في بيتي، قال لا يدخل علي أحد فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نشيج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي فأطلت فإذا حسين في حجره والنبي صلى الله عليه وسلم يسح جبينه، قلت: والله ما علمت حين دخل، فقال: إن جبريل عليه السلام كان معنا في البيت، قال: أفتحبه، قلت: أما في الدنيا فنعم، قال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء، فتناول جبريل تربتها فأرها النبي صلى الله عليه

وسلم...» قال صاحب مجمع الزوائد: «رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها ثقة»^(٢٥).

٥- حديث ثان لأم سلمة

أخبرنا رزين، قال: حدثني سلمى قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم -تعني في المنام- وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت: ما لك يا رسول الله قال: شهدت قتل الحسين أنسا^(٢٦).

٦- حديث ثالث لأم سلمة

«قالت أم سلمة: كان النبي صلى الله عليه وسلم نائماً في بيتي فجاء حسين يدرج قالت: فقعدت على الباب فسبقته مخافة أن يدخل فيوقظه قالت: ثم غفلت في شيء فدب فدخل فقعد على بطنه، قالت فسمعت نحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت فقلت: يا رسول الله والله ما علمت به؟ فقال: إنما جاعني جبريل عليه السلام وهو على بطني قاعد فقال لي: أتحبه؟ فقلت: نعم، قال: إن أمتك ستقتلها! ألا أريك التربة التي يقتل بها؟ قال: فقلت: بلى، قال: فضرب بمناجه فأتأتى بهذه التربة. قالت: فإذا في يده تربة حمراء وهو يبكي ويقول: ياليت شعري من يقتلك بعدي؟»^(٢٧).

هذه بعض الأحاديث من مصادر العامة تثبت أن الرسول ﷺ قد تكرر بكاؤه على الإمام الحسين علیه السلام، وعندي لا يوجد مجال للتشكيك في كون البكاء سنة من سنن الرسول أو لا.

ومن هنا كان أمتنا يوصون كثيراً على البكاء على مصاب الحسين علیه السلام، منها ما قاله الإمام الصادق علیه السلام لفضيل: تجلسون وتحذرون؟ قال: نعم جعلت فداك! قال: إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحسي أمرنا.

يا فضيل! من ذَكَرَنا أو ذَكِرَنا عنده فخرج من عينه مثلُ جناح الذباب، غفر الله له ذنبه ولو كانت أكثر من زيد البحر.

ولا يصح ان يستكثر أحد عظم التواب على البكاء على الإمام الحسين عليه السلام فقد وردت أعمال كثيرة وفعلها قليل يكون ثوابها عظيم جدا منها ما روي عن النبي عليهما السلام انه قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢٨).

وعنه عليهما السلام أيضاً: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مائَةٌ مَرَّةٌ حَطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرُ مِنْ زَيْدَ الْبَحْرِ»^(٢٩).

حضرنا الله مع رسوله المصطفى الأمين وآلـهـ الكرامـ المـيـامـينـ.

الهوامش:

(١) سعد بن عبادة رئيس الأنصار في حينه، وهو رجل غيور شديد العيرة، قال فيه الرسول: «أتعجبون من غيرته وأني لأغير منه..»، له ستة من الأولاد كلهم نصروا الرسول عليهما السلام.

(٢) صحيح مسلم ٦٣٦ كتاب الجنائز، باب ٦.

(٣) صحيح مسلم ١٨٠٨ كتاب الفضائل، باب رحمته بالصبيان والعياش، ح ٢ ، وسنن أبي داود ١٩٣ كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، وسنن ابن ماجة ٥٠٧ كتاب الجنائز، باب ٥٣ ح ١٥٨٩، والبخاري ١٥٨ كتاب الجنائز، باب قول النبي عليهما السلام: "إِنَّمَا يَنْهَا مَحْزُونُونَ".

(٤) سنن ابن ماجة ٤٧٣ كتاب الجنائز، باب ما جاء في النظر إلى الميت.

(٥) مسنـدـ أـحـمدـ ٤٠ـ ،ـ وـ تـارـيخـ الطـبـريـ ٥٣٢ـ :ـ ٢ـ .ـ

(٦) صحيح البخاري ٢٠٤ كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب خالد، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٥٥، شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٧٣.

(٧) مسنـدـ أـحـمدـ ٤٠ـ ،ـ وـ تـارـيخـ الطـبـريـ ٥٣٢ـ :ـ ٢ـ .ـ

(٨) صحيح مسلم ٦٧١ كتاب الجنائز، باب ٣٦ ح ١٠٨، ومسند أـحمدـ ٤٤١ـ :ـ ٢ـ .ـ

(٩) المغني لابن قدامة ٤١٠: ٢.

(١٠) صحيح مسلم ٦٣٩ كتاب الجنائز، باب الميت يعذب بكاء أهله عليه.

- (١١) صحيح مسلم : ٢ ح ٦٣٩ .
- (١٢) صحيح مسلم : ٢ ح ٦٣٩ .
- (١٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ٩ ح ٢٢ و ٢٣ .
- (١٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ٩ ح ٢٥ .
- (١٥) صحيح مسلم بشرح النووي : ٦ ح ٢٢٨ .
- (١٦) الكافي ٣ باب الصبر والجوع والاسترجاع ح ١ : ٢٢٣ .
- (١٧) من لا يحضره الفقيه : ٤ ح ٣٧٦ .
- (١٨) نفس المصدر ٤: باب ذكر جملة من مناهي النبي ﷺ ص ٥ .
- (١٩) الكافي ٥: ١١٧ .
- (٢٠) مستدرک الصحيحين ٣ : ١٧٦، کنز العمال ١٢: ح ٣٤٣٠٠ ص ١٢٣ .
- (٢١) مسند أحمد ١: ٨٥، مسند أبي يعلى ١: ح ٣٦٢ ص ٢٩٨ .
- (٢٢) مجمع الزوائد ٩: ١٨٧ .
- (٢٣) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨٩ - ١٩٠ .
- (٢٤) النشيج: صوت معه توجع وبكاء.
- (٢٥) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨٨ .
- (٢٦) سنن الترمذی ج ٥ ص ٣٢٣ ح ٢٨٦٠ والغريب قوله: "هذا حديث غريب". المستدرک للنیسابوری ج ٤ ص ١٩ فی رؤیة ام سلمة النبی بعد شهادة الحسین.
- (٢٧) منتخب مسند عبد بن حميد ص ٤٤٣ ح ١٥٣٣ .
- (٢٨) سنن الترمذی ج ٤ ص ١٣٣ .
- (٢٩) نفس المصدر ج ٥ ص ١٧٥ .



الثورة الحسينية مبادئ وقيم

أشيخ عزيز حسن الخزان

المقدمة

الهدف الأساس من الثورة الحسينية الحالدة هو نفسه هدف الأنبياء والرسل ﷺ، وهو الدعوة إلى الله تعالى وإلى عبادته، وترك عبادة الآلهة المصنوعة سواء كانت حجارة أم أناساً من البشر، فكما لا تجوز عبادة الأصنام الحجرية، كذلك لا تجوز عبادة الأصنام البشرية.

وقد أطلق الإمام الحسين ع شعار ثورته ونهضته، وهو شعار الإصلاح؛ فقال ع - في وصيته لأخيه محمد ابن الحنفية -: «وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظلماً، وإنما خرجمت لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب ع فمن قبلي بقبول الحق فالله أولى بالحق،

ومن ردّ على هذا أصبر حتى يقضي الله بي في وبين القوم بالحقّ، وهو خير الحاكمين»^(١)، وهو نفس الشعار الذي جاء على لسان نبي الله شعيب عليه السلام: «إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِرْصَادَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»^(٢). والمقصود به هو إصلاح النفس والمجتمع، في الفكر والعقيدة والسلوك والأخلاق، إصلاح كلّ ما هو فاسد، ولا يكون ذلك إلا بتطبيق نهج النبي عليه السلام ودينه المقدس، وسيرة الأمير عليه السلام، وتحكيم الشرع والدين في جميع مفاصل الحياة. فالإصلاح بهذا المعنى يجب أن يكون هدفاً لكلّ من ينتسب إلى الحسين عليه السلام، ويريد السير على نهجه المبارك.

الغاية لا تبرر الوسيلة:

ولا بدّ من أن نعرف أنّ الأسلوب المتّبع للوصول إلى الهدف المقدس قد أولاه الشرع اهتماماً كبيراً بقدر ذلك الهدف، وحيث إنّنا نتكلّم عن ثورة، يعني مواجهة بين طرفين كلّ طرف ي يريد التغلب على الآخر، فإنه قد تغيب على الكثير تلك المبادئ والقيم التي يجب أن يتحلى بها حتى في هذه المعركة بين الحقّ والباطل. فهناك طرف يحمل هدفاً دنيوياً ودنيوياً وهو الوصول إلى السلطة والجاه والحكم، فلا يهمّه كيف يصل إلى تحقيق هذا الهدف، بل المهمّ لديه هو حصول الهدف ولو بتترك كلّ القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية؛ فهو مستعدّ أن يصبح حيواناً مفترساً لأجل تحقيق هدفه.

بينما الطرف الآخر صاحب الهدف النبيل والكبير لا يناسب هدفه إلا الطريق النظيف؛ لأنّ الهدف أصلاً إنّما يسعى إليه لتشييّط تلك القيم والمبادئ، فالطريق الفاقد لتلك القيم والمبادئ ينافق هدفه من الأساس.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة التي خطّبها بعد أسبوع من رحيل المصطفى عليه السلام: «هيّهات لولا التقى لكنت أدهى العرب»^(٣)، وقال عليه السلام أيضاً: «والله

ما معاوية بادهى مني ولكنه يغدر ويغجر، ولو لا كراهة الغدر لكت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة، والله ما أستغفل بالمكيدة، ولا أستغمر بالشديدة»^(٤).

فهنا يكن للأمير عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ من خلال الغدر أن يتغلب ظاهرياً على معاوية، ويكون حينئذ لا فرق بينه وبين معاوية، لكن حاشا للأمير عَلَيْهِ ذلك فإنه إمام المتدينين والغدر خلاف التقوى، وإنما الغدر يناسب الأهداف الخبيثة التي يسعى إليها معاوية ابن آكلة الأكباد، وأماماً للأمير عَلَيْهِ الطاهر المظہر، فلا يناسب أهدافه التي يحملها إلا الطريق الطاهر النظيف.

الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ على مبادئ جده وأبيه عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ:

والثورة الخالدة التي قادها الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ إنما انطلقت لإرجاع تلك القيم والمبادئ التي كانت على عهد النبي ﷺ والأمير عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ «وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ»، بخلاف منهج يزيد بن معاوية الذي كان يسير بسيرة أبيه معاوية وجده أبي سفيان والحزب الشيطاني المعادي للدين الحنيف؛ حيث يقول عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ في ذلك الموقف الدني:

جزع الخزرج من وقع الأسل	ليت أشياخي ببدر شهدوا
ولقالوا يا يزيد لا تشن	لا تستهلو واستطروا فرحاً
نزل الويل عليهم أم رحل	ما أبالي بعد فعلي بهم
من بني أحمد ما كان فعل	لست من خنده إن لم انتقم
وعدلناه ببدر فاعتدل	قد قتلنا القرم من أبنائهم
فأنبعث الشيخ في قصد سيل	فبذاك الشيخ أوصاني به
خبر جاء ولا وحي نزل ^(٥)	لعبت هاشم بالملك فلا

فقارن بين الهدفين والأسلوبين، ترى الفرق ما بين السماء والأرض، ومن

هو ان الدنيا أن نقارن بين الطهر المطهر وبين الخبيث، ولكن ماذا نفعل والأسلوبان والطريقان والهدفان لا زالا باقيين في زماننا؛ لأنّه في الحقيقة صراع بين الحقّ والباطل، وبين الإسلام والكفر.

مبادئ وقيم الثورة الحسينية

كما قلنا لقد احتوت الثورة المباركة على قيم ومبادئ هي في الحقيقة قِيم الإسلام ومبادئه، فلنحاول استخراج بعض تلك القيم والمبادئ لتكون لنا منهاجاً في الحياة:

الوفاء بالعهد ولو مع الظالم:

من الفوارق الأساسية بين من يحمل المشروع الإسلامي وبين أعداء الإسلام هو الوفاء بالعهد ونقضه، فأهل الباطل لا يفون بأيّ عهد، وموالיהם بني إسرائيل ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٦).

ومثال ذلك في الثورة الحسينية، عندما أمر يزيد لـعليه السلام الوليد والي المدينة أن يأخذ البيعة من الناس عامة ومن الحسين عليه السلام وابن الزبير وابن عمر وغيرهم خاصة، فلما حضروا عند الوليد، "بدرهم بالكلام عبد الله بن الزبير فخافه أن يحييوا بما لا يريد فقال: "إنك وليتنا فوصلت أرحاماً وأحسنت السيرة فينا وقد علمت أن معاوية أراد منا البيعة لـعليه السلام فأبینا ولسنا (نأمن) أن يكون في قلبه علينا ومتى بلغه أنا لم نبايع إلا في ظلمة ليل وتغلق علينا باباً لم ينتفع هو بذلك، ولكن تصبح وتدعوا الناس وتأمرهم ببيعة يزيد ونكون أول من يبايع"، قال (الراوي): وأنا انظر إلى مروان وقد أسر إلى الوليد أن اضرب رقباهم، ثم قال جهراً: لا تقبل عذرهم، واضرب رقباهم، فغضب الحسين وقال: «ويلي عليك يا بن الزرقاء! أنت تأمر بضرب عنقي، كذبت ولوّمت، نحن أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ويزيد فاسق شارب الخمر وقاتل النفس ومثلي لا يبايع لثله، ولكن نصبح وتصبحون، وتنظر وتنظرون أينما أحق بالخلافة

والبيعة»، فقال الوليد: انصرف يا أبا عبد الله مصاحبًا على اسم الله وعونه حتى تغدو عليٌّ^(٧).

والبيعة عهد والإمام كان بقدوره أن يبایع الوليد ثم ينکثها، ولكنه ليس فقط لم يبایع، بل لم يعط وعداً بأنّه سيبایع في الغد، بل صرّح عليه: «ومثلي لا يبایع لمثله»، بخلاف ابن الزبير -وهو محظوظ للسلطة- قال: «ولكن تصبح وتدعوا الناس وتأمرهم بيبيعة يزيد و تكون أول من يبایع»، مع أنه يعلم بأنه لن يبایع.

وفي رواية أخرى في البحار: «صار الحسين عليهما السلام إلى الوليد بن عتبة فوجده عنده مروان بن الحكم فنعته إليه الوليد معاوية، فاسترجع الحسين، ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له، فقال الحسين عليهما السلام: «إني لا أراك تقنع بيبيعي ليزيد سراً حتى أبایعه جهراً فيعرف ذلك الناس»، فقال له الوليد: أجل، فقال الحسين: «فتصبّح وترى رأيك في ذلك»^(٨)، وهنا أيضاً لم يعط عهداً بالبيعة بل قال نرى في الصباح.

البدء بالحرب:

الإسلام لا يحب سفك الدماء، ولكنّه يحثّ أبناءه على بذل دمائهم لحفظ الدين والمبادئ، ويحاول الإسلام استنفاد كلّ الطرق الأخرى التي يتحقق بها المهدى، وأمّا الحرب والدم فهو العلاج الأخير الاضطراري، وما يشهد لذلك بعض المواقف من إمامنا الحسين عليهما السلام، مثلًا في صبح عاشوراء أمر الإمام الحسين عليهما السلام أصحابه "فأوقدوا في حطبٍ كان وراءهم لأنَّ لا يأتيهم العدو من ورائهم فقال شمر: يا حسين تعجلت النار في الدنيا!!! (قال الحسين: من هذا؟ قالوا: شمر بن ذي الجوشن. فقال الحسين: «أنت تقول هذا يا بن راعية المعزى، أنت والله أولى بها صلبياً»)، فقال مسلم بن عوسجة: ألا أرميه بسهم؟ قال: لا، إني أكره أن أبدأهم"^(٩). هذا الكره للبدء بالقتال ليس مجرد حالة شخصية للإمام عليهما السلام بل لها منطلقها

القيمي والمبدائي، فالإمام عَلَيْهِ السَّلَام يبيّن قِيم الإسلام الحب للسلام ونبذ الحرب وسفك الدماء، مع أنه يحق له عَلَيْهِ السَّلَام أن يبدأ الحرب لأنّه محاصر حصاراً ظالماً من فئة فاسدة من غير مبرر شرعي ولا أخلاقي.

بذل الجهد في النصيحة وحضور الهدف:

من الطبيعي جداً أن نرى الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام حريضاً على هداية الناس حتى أعداءه وفي أحلك الظروف، كيف لا وهو يسير بسيرة من يقول عنه القرآن الكريم: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(١٠). والإنسان بطبيعته قد ينسى كل شيء حتى الأهداف النبيلة التي يحملها إذا كان في معركة مع العدو، وكان القتال على الأبواب، ولكن عندما نأتي إلى إمامنا الحسين عَلَيْهِ السَّلَام وهو في كربلاء، والأعداء محظوظون به وبأهل بيته، نراه عَلَيْهِ السَّلَام همه الأكبر أن يرجع هؤلاء عن غيّهم، وكم خطبة خطبها يُرى فيها المحرض الشديد على هداية أعدائه، مثلاً ينقل ابن الأثير في الكامل أنه: "لما رأى أصحاب عمر النار تلتهب في القصب نادى شمر الحسين: تعجلت النار في الدنيا قبل القيمة! فعرفه الحسين فقال: «أنت أولى بها صليبا!» ثم ركب الحسين راحلته، وتقدم إلى الناس، ونادى بصوت عال يسمعه كل الناس فقال: «أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما يجب لكم علي، وحتى اعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلكم عذري وصدقتم قولي وأنصفتموني كتم بذلك أسعدي، ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ﴿فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾^(١١)، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ﴾^(١٢)... أما بعد، فانسربوني فانظروا من أنا، ثم راجعوا أنفسكم فعاتبواها وانظروا هل يصلح ويحل لكم قتي وانتهاك حرمتى، ألسنت ابن بنت نيسك وابن وصيه وابن عمه، وأولى المؤمنين بالله والمصدق لرسوله؟...»^(١٣).

فهدف الإمام عَلَيْهِ السَّلَام من خروجه على حكم الطاغية يزيد لعنة هو إصلاح الأمة، ولذلك يسعى عَلَيْهِ السَّلَام ويبذل كلًّا ما في وسعه لبيان الطريق الصحيح المنجي لأولئك المغرورين والمخدوعين بالدنيا، ولم يغب عنه عَلَيْهِ السَّلَام هذا الهدف وهو على أبواب الحرب والقتال.

وهكذا كانت نفسيات أنصار الإمام عَلَيْهِ السَّلَام، فإنَّ لكثير منهم خطباً خطبوها يوم عاشوراء من باب النصيحة والهدایة، اختار واحدة منها لنؤكد على أهمية النصيحة للعدو وحضور الهدف العظيم في كلِّ الظروف الصعبة، وهي للشهيد العظيم زهير بن القين خَيْرُكُمْ فَإِنَّهُ خَطَبَ قَائِلاً:

”يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار، إنَّ حَقًا على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن أخوة، وعلى دين واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة مثَا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمّة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامٌ ليُنظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كله، ليس ملآن أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرقعنكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقراءكم، أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهاني بن عروة وأشياهه، قال: فسبوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه أو نبعث به وب أصحابه إلى الأمير عبيد الله سلماً، فقال لهم: عباد الله وإن ولد فاطمة رضوان الله عليها أحق بالولد والنصر من ابن سميه، فإن لم تتصرّوهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم، قال: فرمى شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال: اسكت الله نامتك، أبرمتنا بكثرة كلامك، فقال له زهير: يا بن البوّال على عقبيه ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة، والله ما أظنّك تحكم من كتاب الله آيتين فأبشر بالخزي يوم القيمة

والعذاب الأليم، فقال له شمر: إِنَّ اللَّهَ قاتلُكَ وصَاحبُكَ عَنْ سَاعَةٍ، قَالَ: أَفْبَالْمُوتْ تَخْوِفُنِي؟ فَوَاللَّهِ لِلْمَوْتِ مَعَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْخَلْدِ مَعَكُمْ، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ رَافِعًا صَوْتَهُ فَقَالَ: عِبَادُ اللَّهِ لَا يَغْرِيكُمْ مِنْ دِينِكُمْ هَذَا الْجَلْفُ الْخَافِي وَأَشْبَاهُهُ، فَوَاللَّهِ لَا تَنالْ شَفَاعَةً مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمًا أَرَاقُوا دَمَاءَ ذُرِيْتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَقُتِلُوا مِنْ نَصْرِهِمْ وَذَبَّ عَنْ حَرِيمِهِمْ، قَالَ: فَنَادَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ لَكَ: «أَقْبَلَ فَلَعْرِي لَئِنْ كَانَ مُؤْمِنًا أَلَّا فَرَعُونَ نَصَحَّ لِقَوْمِهِ وَأَبْلَغَ فِي الدُّعَاءِ لَقَدْ نَصَحَّ لِهُؤُلَاءِ وَأَبْلَغَ لَوْ نَفْعَ النَّصْحِ وَالْإِبْلَاغِ»^(١٤).

فانظر إلى حرص زهير وبذله للنصيحة، وهكذا ينبغي أن يكون الهدف حاضراً عند كل مؤمن وفي كل الظروف، وأن لا ينسى الهدف الأساس فيضيع.

الجانب الإنساني في كربلاء:

لنفس السبب المتقدم - وهو أنّ الهدف الأساس لحركة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الإصلاح والمداية - نرى أنّ المبادئ الإنسانية حاضرة في تعامل الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أعدائه الذين لا يستحقون الرحمة والرأفة، وعند مراجعة الأحكام الشرعية المرتبطة بالحرب والقتال سنرى هذه المبادئ موجودة في التعامل مع الأسير والفارّ والجرحى، والتعامل مع النساء والأطفال وكبار السن، وغيرها.

ومثال ذلك في الثورة الحسينية المقدّسة تعامل الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ مع جيش الحُرُّ بن يزيد الرياحي الذي كان هدفه إجبار الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ على المثول أمام ابن زياد رَعْتَ اللهُ، فينقل الشيخ المقيد عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه: "جاءَ الْقَوْمُ زَهَاءً أَلْفَ فَارِسٍ مَعَ الْحُرُّ بْنَ يَزِيدَ التَّمِيمِيِّ حَتَّى وَقَفَ هُوَ وَخَيْلُهُ مُقَابِلَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِفَتِيَانَهُ: «اسْقُوا الْقَوْمَ وَأَصْحَابَهُ مَعْتَمِّونَ مُتَقَلِّدِو أَسِيافِهِمْ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِفَتِيَانَهُ: «اسْقُوا الْقَوْمَ وَأَرْوُوهُمْ مِنَ الْمَاءِ، وَرَشِّفُوا الْخَيْلَ تَرْشِيفًا»، فَفَعَلُوا وَأَقْبَلُوا يَلْقَوْنَ الْقَصَاصَ وَالْطَّسَاسَ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ يَدْنُونَهَا مِنَ الْفَرْسِ، فَإِذَا عَبَّ فِيهَا ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا عَزَّلَتْ عَنْهُ

وسقوا آخر، حتى سقوها كلّها. فقال علي بن الطuan المحاري: كنت مع الحرس يومئذ فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين عليهما السلام ما بي وبفرسي من العطش قال: «أنخ الرواية»، والرواية عندي السقاء، ثم قال: «يا بن أخي أنخ العمل»، فأنخته، فقال: «اشرب»، فجعلت كلّما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين عليهما السلام: «اخث السقاء» أي اعطفه، فلم أدر كيف أفعل، فقام فخنته فشربت وسقيت فرسي ^(١٥).

وهنا الإمام علي عليهما السلام لم ينتظر من القوم طلب الماء، بل ب مجرد أن رآهم على تلك الحالة - وهو عليهما السلام يعلم نيتهم السيئة في الجيء - طلب من فتيانه أن يسقوا الرجال مع فرسانهم، هذه هي مدرسة الإسلام، وشبّيه هذه الحادثة حصلت لأمير المؤمنين عليهما السلام في صفين من جيش معاوية، حيث كان جيش معاوية مستوليا على الماء فمنعوا جيش الإمام علي عليهما السلام من الشرب، وعندما صار الماء تحت تصرف جيش علي عليهما السلام أراد أصحابه منع جيش معاوية من الشرب لكي يكون الرد بالمثل، ولكنّ الأمير علي عليهما السلام نهاهم عن ذلك.

الصراحة والوضوح (إن المصير هو القتل):

يصعب على القائد أن يصريح أتباعه إذا كان المصير المنتظر مصيرًا غير مرغوب به، فلا أحد يرغب في الموت والقتل خصوصاً لأهل ذلك الزمان الذين باعوا الدين بالدنيا، والإمام علي عليهما السلام سعى لتوضيح هدفه المقدس حتى يلقي الحاجة على الناس، وهو يريد منهم اللحاق به والانضمام إلى معسكره ضدّ يزيد، ولكن في نفس الوقت كانت المعركة -حسب علم الإمام علي عليهما السلام- تتطلب أنصاراً من نوع خاص وأي شخص متعدد أو صاحب هدف دنيوي فإنه قد يضر بالثورة وأهدافها العظمى، لذلك من اليوم الأول الذي قرر فيه الإمام علي عليهما السلام المسير إلى كربلاء وهو في وسط تجمّع إسلامي كبير وهو موسم الحج بين الناس بشكل

واضح وصريح لا يحتمل اللبس: «خطّ الموت على ولد آدم خطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولئني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصروع أنا لاقيه، كأنني بأوصالي تقطعها عسلان الفلووات، بين النواويس وكربلا، فيملاًن مني أكراشا جوفا، وأجربة سغبا، لا محيس عن يوم خطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلاته، فيوفينا أجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وتجزّ لهم وعده، من كان فينا باذلاً مهجهته، موطنًا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنّي راحل مصبحا إنشاء الله»^(١٦).

ولا نتعجب من الناس الهمج الذين كانوا يسمعون هذا الخطاب من سيد شباب أهل الجنة عليهما السلام لا يلتحقوا به، وهم يعلمون جيداً أنّ إخباره عليهما عين الصدق والحقيقة، فكم شخص لحق بالحسين عليهما السلام؟ والمفترض أنّ عدد الناس كبير جداً حيث موسم الحج!! فليس أهل الكوفة فقط خذلوا إمامهم، بل كلّ الدنيا خذلته عدا ثلة قليلة من المؤمنين.

القيادة والانقياد:

من الأمور المهمة جداً التي عكستها واقعة كربلاء وما صاحبها من موقف هو حالة التسلیم المطلق من قبل أصحاب الإمام عليهما السلام، ولو فتشنا في مواقف الأصحاب فلن نجد لهم يقتربون شيئاً على الإمام عليهما السلام فضلاً عن المعارضة والاستنكار، بعكس مجموعة من المؤمنين الحبيبين للإمام عليهما السلام حيث اقترحوا عليه أن لا يذهب إلى الكوفة كابن الحنفية أو ابن عباس.

ومن الأمور الدالة على ذلك مثلاً هي استئذانهم يوم عاشوراء للمبارزة، حيث لم يبرز أحد منهم إلا بعد استئذان الإمام عليهما السلام مع أنّهم يعيشون حالة حرب، ولكتّهم (رضوان الله عليهم) كانوا يعتبرون أنفسهم ملكاً لسيدهم ومولاهم الحسين عليهما السلام فلا تجوز أيّ حركة إلا بإذنه.

وَمَا نُقِلَ فِي ذَلِكَ مَثَلًا: اسْئَدَانَ بَرِيرٍ كَمَا يَرْوِيه الصَّدُوقُ فِي أَمَالِيِهِ أَنَّهُ: "بَلَغَ
الْعَطْشَ مِنَ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ شَيْعَتِهِ يَقَالُ لَهُ: بَرِيرٍ
بْنُ خَضِيرِ الْهَمْدَانِ... فَقَالَ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَتَأْذَنُ لِي فَأُخْرِجُ إِلَيْهِمْ، فَأَكْلَمُهُمْ.
فَأَذَنَ لَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشِرَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِيَّلَهُ بَعْثَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحَقِّ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا، وَهَذَا مَاءُ الْفَرَاتِ تَقْعُدُ فِيهِ خَنَازِيرُ
الْسَّوَادِ وَكَلَابُهَا، وَقَدْ حَيَلَ بَيْنِهِ وَبَيْنِ أَبْنَهِ فَقَالُوا: يَا بَرِيرٍ، قَدْ أَكْثَرْتَ الْكَلَامَ
فَاكْفُفْ، فَوَاللَّهِ لِي عَطْشُ الْحَسِينِ كَمَا عَطْشَ مِنْ كَانَ قَبْلَهُ"^(١٧).

فَنَرِى هُنَا بَرِيرًا (رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ) يَسْتَأْذِنُ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى لَمَوْعِظَةِ الْقَوْمِ
وَنَصْحَّهُمْ!! وَهَكُذا بَقِيَّةُ الْأَصْحَابِ لَمْ قَرَأْ وَاقْعَةَ كَرْبَلَاءَ وَتَعَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْ موَافِقَتِهِ
هَذِهِ الصَّفَوَةِ، وَهَذَا مَا تَحْتَاجُهُ الْأَمَّةُ الْيَوْمَ فِي التَّعَالِمِ مَعَ قَادِهَا وَعَلَمَائِهَا إِذَا مَا
أَرَادَتِ الْفَلَاحَ وَالْتَّجَاحَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَفِي مَوْقِفٍ آخِرٍ لِأَبِي الْفَضْلِ الْعَبَاسِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِيثُ قَالَ لَهُ أَخُوهُ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ -
حِينَما جَاءَ جَمَاعَةً مِنْ جِيشِ ابْنِ سَعْدٍ: «يَا أَخِي أَتَاكَ الْقَوْمُ»، فَنَهَضَ ثُمَّ قَالَ: «يَا
عَبَاسُ، ارْكَبْ - بِنَفْسِي أَنْتَ يَا أَخِي - حَتَّى تَلَاقَاهُمْ وَتَقُولُ لَهُمْ: مَا لَكُمْ وَمَا بَدَا لَكُمْ؟
وَتَسْأَلُهُمْ عَمَّا جَاءَ بِهِمْ». فَأَتَاهُمُ الْعَبَاسُ فِي نَحْوِ مَعْشِرِيْنَ فَارْسَا، مِنْهُمْ زَهِيرُ بْنُ
الْقَيْنِ وَحَبِيبُ بْنُ مَظَاهِرٍ، فَقَالَ لَهُمُ الْعَبَاسُ: مَا بَدَا لَكُمْ وَمَا تَرِيدُونَ؟ قَالُوا: جَاءَ
أَمْرُ الْأَمِيرِ أَنْ نُعَرِّضَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْزَلُوا عَلَى حَكْمِهِ أَوْ نَنْاجِزُكُمْ، قَالَ: فَلَا تَعْجَلُوا
حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَأَعْرِضَ عَلَيْهِ مَا ذُكِرَ تَمْ، فَوَقَفُوا وَقَالُوا: لَقَهُ فَأَعْلَمُهُ،
ثُمَّ قَلَّا بِمَا يَقُولُ لَكُمْ"^(١٨).

نَرِى هُنَا الْعَبَاسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَغْمَ عَظَمَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالْجَوَابِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَقَالُ
لِلْقَوْمِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: أَرْجِعُ وَأَنْظُرُ مَا يَقُولُهُ الْإِمَامُ الْحَسِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

العلاقة الحميمة بينه عليهما السلام وبين أصحابه (رضوان الله عليهم):

لا يكمن أن نتصور عمق العلاقة التي كانت بين الإمام عليهما السلام وبين أصحابه، فهي ليست مجرد علاقة تابع ومتبع، ولم تنطلق هذه العلاقة من مجرد المسؤولية الشرعية بوجوب نصرة الإمام عليهما السلام، بل هي أعمق وأعمق من ذلك. وللتقرير بذلك نضرب مثلاً بعلاقة المؤمن بالصلوة، فهناك من يصلى لأن الصلاة تكليف واجب متوجه إليه ولا سبيل إلا الامتثال، بينما المؤمن الحقيقي يعشّق الصلاة لأنها لقاء مع المحبوب، كذلك كان أصحابُ الحسين عليهما السلام حيث كانوا ينطلقون من باب العشق. والأمثلة في كربلاء كثيرة بعد أصحابه عليهما السلام وأكثر.

في كتاب العوالم أن عبد الله وعبد الرحمن الغفاريان جاءا إلى الإمام الحسين عليهما السلام، فقالا: يا أبا عبد الله السلام عليك، إنه جئنا لنقتل بين يديك، وندفع عنك، فقال: «مرحباً بكم كما ادنو مني»، فدنوا منه وهما يبكيان، فقال: «يا أبني أخي ما يبكيكم؟ فوالله إني لأرجو أن تكونوا بعد ساعة قريري العين»، فقالا: جعلنا الله فداك والله ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك، نراك قد أححيط بك ولا نقدر على أن ننفعك، فقال عليهما السلام: «جزاكم الله يا أبني أخي بوجودكم من ذلك ومواساتكم إياي بأنفسكم أحسن جزاء المتقين». ثم استقدموا وقالا: السلام عليك يا بن رسول الله، فقال: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته» فقاتلا حتى قتلا^(١٩).

ففي هذه القصة القصيرة إشارات مهمة لكل من يريد الجهاد في شتى الميادين، حيث إن المطلق يجب أن يكون هو عشق المقصوم عليهما السلام وأن الحزن على القائد مقدم على الحزن على النفس، وفي المقابل نرى الإمام عليهما السلام يتبادل أتباعه نفس المشاعر؛ فيبدي لهم حبه لهم، وحرصه على مستقبلهم الأخروي.

وفي موقف آخر "خرج مسلم بن عوجة فبالغ في الجهاد، وصبر على الجلاد، حتى سقط وبه رمق فرق له الحسين، وقال: «رحمك الله يا مسلم، فَمِنْهُمْ

مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا يَدْلُوا تَبْدِيلًا ﴿٤﴾ عَزٌّ عَلَيْهِ مَصْرُعُكُمْ يَا مُسْلِمٌ،
أَبْشِرُ بِالجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ قُولًا ضَعِيفًا: بِشَرْكِ اللَّهِ بِخَيْرٍ، فَقَالَ حَبِيبٌ: لَوْلَا أَنِّي فِي الْأَثْرِ
لأَحْبَبْتُ أَنْ تَوْصِي إِلَيْيَّ بِمَا يَهْمُكُمْ، فَقَالَ: أَوْصِيكُ بِهَذَا، يَعْنِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ" (٢٠).

وجاء في كتاب إِبْصَارُ الْعَيْنِ في أَنْصَارِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "كان واضحاً غلاماً ترکياً
شجاعاً قارئاً، وكان للحرث السلماني. فجاء مع جنادة ابن الحرث للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ
كما ذكره صاحب المدائق الوردية، والذي أظنّ أنّه واضحًا هذا هو الذي ذكر
أهل المقاتل: أنه بربع يوم العاشر إلى الأعداء فجعل يقاتلهم راجلاً بسيفه وهو
يقول:

البحر من ضربى وطعني يصطلي
إذا حسامي في يبني ينجلى والجو من عثير نتعى يتلي
قالوا: ولما قتل استغاث، فانقض عليه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ واعتنقه وهو يجود بنفسه
فقال: من مثلني وابن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ واضح خده على خدي، ثم فاضت
نفسه خليعه". (٢١).

الغيرة:

عن الرسول الأعظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَيْرًا، وَأَنَا أَغْيِرُ مِنْهُ، وَجَدَعَ اللَّهُ
أَنْفَ مَنْ لَا يَغَارُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ» (٢٢). وعن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ لِلْمُؤْمِنِ
فَلِيغَرُ، وَمَنْ لَا يَغَارُ فَإِنَّهُ مُنْكُوسُ الْقَلْبِ» (٢٣).

بعقلي هذين الحديثين وغيرهما تكون الغيرة من القيم الإسلامية والإيمانية
المهمة التي يجب أن يراجع فيها المؤمن نفسه، وقد اسخدم أعداء الدين التعدي
على الأعراض سلاحاً في مواجهة المؤمنين الغيورين، وهذا ما نراه في زماننا عند
كلّ نظام ظالم متواحش فاقد للقيم، وهذا كان هو نهج بنو أمية لعَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وفي المقابل
نرى الشهامة والغيرة الحسينية في أحلك الظروف، منها على سبيل المثال في يوم

عاشوراء عندما أقحم الإمام الحسين عليه السلام فرسه على الفرات، "فلما أولغ الفرس برأسه ليشرب قال عليه السلام: «أنت عطشان وأنا عطشان، والله لا ذقت الماء حتى تشرب»، فلما سمع الفرس كلام الحسين عليه السلام رأسه ولم يشرب كأنه فهم الكلام، فقال الحسين عليه السلام: «فأنا أشرب»، فمدّ الحسين عليه السلام يده فغرف من الماء، فقال فارس: يا أبا عبد الله تتلذذ بشرب الماء وقد هتك حرمك؟ فنفض الماء من يده، وحمل على القوم، فكشفهم فإذا الخيمة سالمة^(٢٤).

هل كان الإمام عليه السلام يجهل أنّ الأمر مكيدة؟ بالطبع لا، ولكن أراد عليه السلام أن يظهر للناس مدى غيرته على حرميه، وإلا لو شرب الماء وتجاهل قول ذلك الفارس لقيق بأنّ الإمام عليه السلام لا غيرة له.

وفي موقف آخر أقسى من هذا الموقف عندما كان الحسين عليه السلام وسط المعركة في حال يرثى لها، فأرادوا التعرض لنسائه، "فصاح بهم: «ويمحكم يا شيعة آل أبي سفيان! إن لم يكن لكم دين، وكتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرازاً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كتمت أعراباً»، فناداه شمر فقال: ما تقول يا بن فاطمة؟ قال: «أقول: أنا الذي أقاتلكم، وتقاتلوني، والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عتائكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً»، فقال شمر: لك هذا، ثم صاح شمر: إليكم عن حرم الرجل، فاقصدوه في نفسه فلعمري فهو كفو كريم، قال: فقصده القوم وهو في ذلك يتطلب شربة من ماء، فكلّما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه بأجمعهم حتى أحلوه عنه^(٢٥).

العبادة:

إذا كانت العبادة هي الهدف من خلق الإنسان، وكان الهدف الأساس لبعث الأنبياء والأوصياء عليهما السلام - كما تقدم - هو الدعوة لعبادة الله وحده، فلا يمكن حينئذ أن يغفل النبي أو الإمام عن هذا الهدف الكبير في أيٍّ مفصل من مفاصل

الدعوة والحركة، وهناك من الناس من يتغافل عن هذا الهدف المقدس بحجّة أنّ هناك أهدافاً أهمّ في ظروف معينة، كما نراه عند بعض السياسيين أو المشتغلين في الجانب الاجتماعي، ولكن هذه الحجج والدعوى مهما كانت فإنّها تدلّ إمّا على الجهل وقلة الوعي بالأهداف الإسلامية أو على ابتعاد أصحابها عن الدين والتدّين.

ولو راجعنا سيرة الأنبياء والأئمة عليهما السلام جميعاً فسوف نجدهم أعلى الناس عبادة وانقطاعاً إلى الله تعالى، وسنجد هذه العبارة تتكرر "أعبد أهل زمانه"، وهذه أيضاً كانت سيرة العلماء الربانيين كالسيد روح الله الموسوي الخميني(رضوان الله تعالى عليه).

وأمّا التعلّل بعدم وجود الوقت وكثرة الأشغال المهمّة، فجوابه أنّ مسؤوليات الأنبياء والأئمة عليهما السلام وكذلك العلماء أكثر بمرات عديدة.

وقد وردنا في هذه المسألة هم المعصومون عليهم السلام ومنهم إمامنا الحسين عليهما السلام وأصحابه، حيث يجدر بنا التأمل في حالم قبل كربلاء وفي كربلاء خصوصاً في ليلة عاشوراء، حيث إنّه لما أراد ابن سعد البدء بالقتال يوم التاسع فأرسل الإمام عليهما السلام أخيه العباس عليهما السلام وقال له: "ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى الغدوة وتدفعهم عن العشية، لعلنا نصلّي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد أحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، والدعاء والاستغفار".^(٢٦)

وقد ورد أنه "لما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليل كلّه يصلّون ويستغفرون ويدعون ويتصرّعون".^(٢٧) وهذا يعني أنّهم لم يناموا تلك الليلة لأنّهم كانوا مشتغلين بالعبادة حباً لله تعالى.

وفي روایة أخرى "بات الحسين وأصحابه تلك الليلة، ولم يناموا لأنّهم كانوا مشتغلين بين راكع وساجد، وقائم وقاعد، فعبر إليهم في تلك الليلة من عسکر عمر بن سعد

اثنان وثلاثون رجلاً^(٢٨). وهذا يعني أن الاثنين والثلاثين رجلاً تأثروا بعبادة معسرك الحسين عليهما السلام فاتحقوها به.

ولا ننسى أن الإمام علي عليهما السلام ظهر عاشوراء وسط السهام والنبل، وقد سقط بعض الشهداء دفاعاً عن صلاة الحسين عليهما السلام، وهذا يدعونا للتأمل جيداً في أولوياتنا عندما نتحرّك في شتى الميادين، خصوصاً أنّنا ندعّي أنّنا أتباع مدرسة كربلاً.

فقد ورد أن أبي ثامة الصيداوي قال للحسين عليهما السلام: يا أبو عبد الله نفسى لنفسك الفداء هؤلاء اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك وأحبّ أن ألقى الله ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة، فرفع الحسين رأسه إلى السماء وقال: «ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين، نعم هذا أول وقتها» ثم قال: «سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلّي»، فقال الحسين بن غير: إنها لا تقبل، فقال حبيب بن مظاهر: لا تقبل الصلاة زعمت من ابن رسول الله وتقبل منك يا ختار، فحمل عليه حسين بن غير وحمل عليه حبيب فضرب وجه فرسه بالسيف فشبّ به الفرس ووقع عنه الحسين، فاحتلوشه أصحابه فاستنقذوه، فقال الحسين عليهما السلام لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله: «تقديماً أمامي حتى أصلّي الظهر» فتقدّما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتى صلّى بهم صلاة الظهر^(٢٩).

وهكذا كان أصحاب الإمام علي عليهما السلام في كربلا، وهو الذي يقول عنهم: «اللهم إني لا أعرف أهل بيتي ولا أزكي ولا أطهّر من أهل بيتي، ولا أصحابي هم خير من أصحابي»^(٣٠).

هذه مجموعة مختارة من القيم والمبادئ في الثورة الحسينية المقدّسة ذكرناها باختصار، وهناك كثير من هذه القيم والمبادئ لم نذكرها، ويمكن للإنسان أن يفحص ويتأمل في هذه الثورة فإنه سيجد كثيراً من الكنوز والمبادئ المهمة،

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين.
 السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى
 أصحاب الحسين.

الهوامش:

- (١) البحار، ج ٤٤، ص ٣٢٩.
- (٢) هود: ٨٨.
- (٣) الكافي، ج ٨، ص ٢٤.
- (٤) نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٨٠.
- (٥) روضة الوعاظين، ص ١٩١.
- (٦) البقرة: ١٠٠.
- (٧) مثير الأحزان لابن ثما، ص ١٤.
- (٨) البحار، ج ٤٤، ص ٣٢٤.
- (٩) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام لابن الدمشقي، ج ٢، ص ٢٨٤-٢٨٥.
- (١٠) فاطر: ٨.
- (١١) يونس: ٧١.
- (١٢) الأعراف: ١٩٦.
- (١٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٤، ص ٦١.
- (١٤) مقتل الحسين لأبي مخنف، ص ١٢٠.
- (١٥) الإرشاد للشيخ المفيد عليه السلام، ج ٢، ص ٧٨.
- (١٦) البحار، ج ٤٤، ص ٣٦٦-٣٦٧.
- (١٧) أمالى الشیخ الصدق، ص ٢٢٢، وفي روضة الوعاظين، ص ١٨٥، المستأذن هو يزيد بن الحصين الهمداني.
- (١٨) الإرشاد، ج ٢، ص ٩٠.
- (١٩) العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للشيخ عبد الله البحرياني، ص ٢٧٣.

(٢٠) مثير الأحزان لابن نا الحلبي، ج ٤٧.

(٢١) أبصار العين في أنصار الحسين علیه السلام للسماوي، ص ١٤٥.

(٢٢) الكافي، ج ٥، ص ٥٣٦.

(٢٣) الوسائل، ج ٢٠، ص ٢٣٨.

(٢٤) البحار، ج ٤٥، ص ٥١.

(٢٥) البحار، ج ٤٥، ص ٥١.

(٢٦) الإرشاد، ج ٢، ص ٩١.

(٢٧) مقتل الإمام الحسين علیه السلام، لأبي منف، ص ١١٢.

(٢٨) البحار، ج ٤٤، ص ٣٩٤.

(٢٩) البحار، ج ٤٥، ص ٢١.

(٣٠) أمالى الصدوق، ص ٢٢٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الذلة في الملائكة الفقهية

اشيخ علي أحمد الكندي باودي

هو تساؤل في غاية الأهمية يحدد منهج مسیر الإنسان المؤمن في التعاطي مع هذا النوع من القضايا، القضايا المرتبطة بعاء وجهه وكرامته وعزته. لكنها كرامة من نوع آخر غير تلك الكرامة الزائفة في عهد الجاهلية حيث كانوا يتباھون بأحسابهم وأنسابهم وانتمائهم لهذه العشيرة أو تلك القبيلة، فما عاد معيار الشرف هو الانتماء إلى هذه القبيلة أو تلك، وهو وإن كان عزّة إلا أنها عزّة ظاهرية لا تستند إلى كرامة ذاتية لهذا المعتر بعشيرته وقومه... وحينما بزغ فجر الرسالة الحمدية تبدلت كثير من معايير التفاخر والتعالي، وجاءهم النهي من قبل الله جل جلاله عن هذا النوع من التفاخر: ﴿الْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾^(۱)، ليكون المعيار حينها عمل الإنسان ودرجة إيمانه

وتقواه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُم﴾^(٢).

لقد وهب الإسلام أتباعه كرامة وعزّة بديلة عن تلك العزة الجاهلية، كرامة لها منشئها الواقعي، تستند إلى مصدر العزّة والكرامة الواقعية وهو العزيز المتعال بِعَنْ تَقْوَاهُ، ذلك العزيز الذي ليس في محضره مهانة، ولا في جواره نكرات؛ وذاك ما نقرؤه في المناجاة الشعبانية: «إِلَهِي إِنَّ مَنْ تَعْرَفَ بِكَ غَيْرَ مَجْهُولٌ»^(٣)، بل كل من ولح حضرته اكتسى أنوار الحلال، وتحلى بألوان العز، وخلع ما سوى الكرامة.

مع سيد الكرامة أبي الأحرار

حينما أحاط العسكر الظالم بجفید رسول الله ﷺ في أرض كربلاء، وقف الحسين عليه السلام شامخاً كالجبل الأشم مستقبل الموت كريم النفس عزيز الجناب، زأر فيهم كالأسد المغضب حتى أذعنوا إليه وأنصتوا إلى ما يريد، فخطب فيهم خطبته المعروفة، وقال فيما قال: «ألا وان الدعي بن الدعي قد رکز بين اثنين بين السلة والذلة وهيئات منا الذلة يأنى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وظهرت وأنوف حمية، ونقوس أية من أن تؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرام ألا وإنني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر»، ثم وصل هذا الكلام بشعر فروة بن مسيك المرادي:

فإن نهرم فهزامون قدما	وإن نغلب وغير مغلبينا
وما إن طبنا جبن ولكن	منايانا ودولة آخرينا
إذا ما الموت رفع عن أنس	كلاكله أناخ باخرينا
فأفني ذلكم سروات قوم	كما أفني القرون الأولينا
فلو خلد الملوك إذا خلدنـا	ولو بقي الكرام إذا بقينـا

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

الإنسان كريم عند الله تعالى:

على مائدة هذا الكلام الصارم والقاطع لأوهام الإذلال نتعلم من الحسين الشهيد عليه السلام معاني الإباء والأنفة، وهي ذات السياق الطبيعي لتكرمة الله تعالى في آدم بشكل عام وللمؤمنين بشكل خاص، ولقد قال الله تعالى في محكم كتابه الجيد: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقِنَا تَفْضِيلًا﴾^(٤).

إن الإنسان كإنسان مكرم عند الله تعالى، فهو مخلوق ذو كمالات متعددة: من أصل وجوده وخلقه على يد خير الخالقين، فلهذا كان مرآة لذلك الجمال ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَرَكُمْ فَأَخْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٥)، ثم كرمته بالعقل والعلم والخلق والفطرة والقلب، وأعطاه من كل ما سأل وبغض النظر عن كونه مؤمناً مطيناً أو متمرداً ﴿كُلًاً ثُمَّ هَوَلَاءَ وَهَوَلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(٦) فالعطاء التكويني وتسخير كل هذه الطبيعة وال الخليقة في خدمة الإنسان بعزل عن دينه وانتماهه وتقواه، فلذلك كان الظالمون الكفارون - جمع كفار - محلاً لعطاء الله وجوده: ﴿وَآتَاكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(٧) من كل هذه الإشارات نجد أن الإنسان هو المخلوق المدلل لدى هذا الخالق، فيما منعه ترده ولا عصيانه من أن يطلب ما يشاء في هذه الدنيا ضمن القواعد التكوينية التي لا تحرم الكفار، وهذا الطلب المحاب، وتسخير النعم في المضادة والمعصية والتمرد هذا هو أعلى درجات الدلال والتكرمة في هذه النشأة، وإلا فليس من حق الكافر العاصي الظالم إلا أن يقصى أو يعذب على سوء أدبه مع ربه.

الكرامة تاج المؤمنين:

أما إذا جئنا إلى المؤمن بهذا الوصف فإننا نجد مكرماً فوق تكراة بني البشر، بل نرى تعاليم الدين تحرّم عليه المذلة، وهذا ما نروم البحث فيه، فهل يحق لـإنسان مثلاً أن يتصرف كيفما شاء في ماء وجهه؟ ويبذله كيفما أراد؟ أو أنه لا يملك من نفسه هذا الحق؟

الذي تذكره النصوص الدينية هو أن الذلة محرمة على المؤمنين؛ فتكون إثنا وعشرين عاصيًّا يعاقب عليها. ربما تقول: وكيف يجتمع الإعزاز والتكرير من جانب مع العقاب من جانب آخر؟ أقول: لنمثل لذلك بمثال عرفي لا يدركه جيداً إلا العاشقون: ألا ترى المحب حينما يتولّع بحبيبه ربما حاسبه على كل صغيرة وكبيرة خشية عليه، وربما أوقعه في الضيق بنحو أو بأخر كعقاب يتوقى به ما يحذرها! كذلك تحرّم الذلة على المؤمن فإن الله لا يرضى له إلا العزة. ومن يدرك هذا المعنى؟ هذا المعنى تجده واضحًا كالشمس في كلمات سيد الشهداء وأبي الأحرار وأبي الضييم عليهما السلام، أليس هو القائل: «موت في عزة خير من حياة في ذلة»؟

نماذج العزة في روایات المؤمن:

هناك مجموعة كبيرة من الروايات تتحدث عن كرامة المؤمن وعزّته؛ وأنها من عزّة الله العزيز تبارك اسمه، وقد اختلفت شؤون ومواضع هذه الروايات، فمنها ما يتكلّم عن عنوان الذلة وتحريجه على المؤمن، ومنها ما يتحدث عن بعض شؤون المؤمن كآداب السفر والصحبة، إلى بقية الشؤون المختلفة التي يتبيّن في ثناياها عدم رضا الشارع المقدّس بتوهين المؤمن، وإليك جملة من هذه الروايات:

- عن الأمير عليهما السلام أنه قال: «لا تصحن في سفرك من لا يرى لك من الفضل عليه كما ترى له عليك»^(٨).

- وعن الباقي عليه السلام أنه قال: «إذا صحت فاصحب نحوك، ولا تصحن من يكفيك، فإن ذلك مذلة للمؤمن»^(٩) وهذه الرواية واضحة في الحث على أن يكون رفيق السفر من نفس المستوى المادي بحيث لا يكون متفضلاً على هذا الإنسان المؤمن حينما ينفق عليه.

- الرواية الثالثة تنقل حواراً بين شهاب بن عبد ربه وبين الإمام الصادق عليه السلام، يقول: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قد عرفت حالي وسعة يدي وتوسيعي على إخواني، فأصحاب النفر منهم في طريق مكة فأتوسع عليهم، قال: «لا تفعل يا شهاب، إن بسطت وبسطوا أجحافت بهم، وإن أمسكوا أذلتهم فاصحب نظرك»^(١٠).

- وروي عن أبي بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يخرج الرجل مع قوم ميسير وهو أقلهم شيئاً فيخرج القوم النفقة ولا يقدر هو أن يخرج مثل ما أخرجوه، فقال: «ما أحب أن يذل نفسه، ليخرج مع من هو مثله»^(١١).

كتب الله على أوليائه العزة:

وهنا روایات خاصة حول مسألة العزة والذلة، يتبع من خلالها المنع الصريح عن القبول بالذلة والاستكانة، فما الحياة مع الذلة إلا موت عمودي كما يعبرون، يقول السيد سليمان الحلبي:

وإياك أن تشرى الحياة بذلة هي الموت والموت المرير وجود
وغير فقيد من يموت بعزّة وكل فتى بالذلة عاش فقيد
لذاك نضا ثوب الحياة ابن فاطمة وخاض عباب الموت وهو فريد

نقف مع كلماتهم النورانية عليه السلام وهي خير الكلام، ونقتصر على نقل بعض الروايات: محمد بن أحمد، عن عبد الله بن الصلت، عن يونس، عن سماعة، عن

أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوْضٌ إِلَى الْمُؤْمِنِ أَمْرُهُ كُلُّهَا وَلَمْ يَفُوضْ إِلَيْهِ أَنْ يَذْلِّ نَفْسَهُ أَلَمْ يَرَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هَنَا : ﴿وَلِلَّهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَالْمُؤْمِنُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ عَزِيزًا وَلَا يَكُونَ ذَلِيلًا»^(١٢).

وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَم أنه قال : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوْضٌ إِلَى الْمُؤْمِنِ أَمْرُهُ كُلُّهَا وَلَمْ يَفُوضْ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِيلًا أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿وَلِلَّهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فَالْمُؤْمِنُ يَكُونَ عَزِيزًا وَلَا يَكُونَ ذَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَعْزَمُ مِنَ الْجَبَلِ إِنَّ الْجَبَلَ يَسْتَقْلُ مِنْهُ بِالْمَعَاوِلِ وَالْمُؤْمِنُ لَا يَسْتَقْلُ مِنْ دِينِهِ شَيْءًا»^(١٣).

من هذه الروايات وأمثالها نجد الفقهاء يتعاطون مع مسألة العزة لدى المؤمن بنحو خاص، فكانت هذه المسألة حاضرة في فتاواهم ولها بصمتها الواضحة، يقول ابن سعيد الحلي في (الجامع للشراح): "ويكره أن يشهد مخالف خوفاً من إحضاره عند من لا يقبل شهادته، والمؤمن لا يذلّ نفسه"^(١٤)، يعني أن القاضي ربما لا يعترف بشهادته ويعتبره فاسقاً لأنّه ينتمي إلى مذهب أهل البيت عَلَيْهِ الْكَلَم فلذلك كان احتمال ردّ شهادته مذلة إليه. وفي ذيل بعض الروايات: «فَالْمُؤْمِنُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَزِيزًا وَلَا يَكُونَ ذَلِيلًا، يَعْزَّ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ»^(١٥)

إن مسألة العزة والذلة بحسب المعيار الحسيني هي مسألة حياة أو موت، يقول أبو الأحرار عَلَيْهِ الْكَلَم فيما حكى عنه:

الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

وقد سارت مدرسة أهل البيت عَلَيْهِ الْكَلَم على هذا الفهم وبرزت قضية العزة في فتاواهم، كما برزت في أدبياتهم وحالاتهم الوجданية، ولا زلنا مع الروايات في هذا الشأن وألسنتها متقاربة، هناك رواية عن الإمام أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ الْكَلَم أيضاً تقول: «إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى فَوْضٌ إِلَى الْمُؤْمِنِ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا إِذْلَالُ نَفْسِهِ»^(١٦).

وقال عَلَيْهِ الْكَلَم أيضاً فيما روى: «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذْلِّ نَفْسَهُ، قَلْتَ: مَا يَذْلِّ

نفسه؟ قال: يدخل فيما يتغنى به»^(١٧)، وفي بعض الروايات بتعبير: «يتعرض لما لا يطيق»^(١٨).

الذوق الإمامي في فهم المسألة:

إذا كنا نجد لدى بعض الناس مرونة ومطاطية في مسألة العزة والمذلة فإننا لا نجد هذه الحالة لدى أهل الإيمان، فهم سائرون على معيار واضح وهو معيار الكرامة؛ فلذلك فهم يمانعون من التلوك والتقلب وإراقة ماء الوجه بغية تحقيق بعض المطامع الدنيوية، ربما كان أهل الجاهلية أيضاً يمتلكون هذه الحالة في أعرافهم ولكنها لا تكون منضبطة الحدود إلا ضمن التعاليم الإسلامية، فالجاهليون وغيرهم لا يخرجون عن حدّي الإفراط والتفريط، فلما أن يرثي كرامته على عتبات الدنيا، وإما أن يتعزز في غير موضع التعزز، وقد بين الدين الحنيف لسالكي سبيله طريق الاعتزاز والكرامة، وأرشدهم إلى الأخذ بسبيل التواضع وخفض الجناح والتنزلل لبعض الناس ما دام ذلك في طريق الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فإن من تواضع لوالديه متذللاً كما في قول الله تعالى: **﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلُّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبُّ ارْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيَنِي صَغِيرًا﴾**^(١٩) لا يعدّ لدى العرف ذليل، ولا ينظر إليه على أنه قد وصم نفسه بالعار، بل يرون ذلك من عظمة الإنسان أن يحنو على الضعيف ويتواضع لوالديه، ويجل أهل الكرامة والفضل، وكل ذلك واقع في صراط التنزلل لله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والتنزلل إليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هو عين الاعتزاز وسبب الكرامة.

نجد مسألة العزة وإباء المذلة حاضرة في فتاوى الفقهاء الأعلام، نذكر منها على سبيل المثال:

- استفتاء في كتاب (صراط النجاة) حول أخذ المال مقابل التصويت يقول في ضمن جوابه: "... هذا إذا لم يكن في أخذ المال وهذا له، وإنما يجوز فإن المؤمن لا يذلّ نفسه، والله العالم".^(٢٠)

- وفي كتاب «فقه المغتربين»: «لا يجوز للمسلم أن يذلّ نفسه أمام أي إنسان، سواءً أكان مسلماً أم كافراً، فإذا كان العمل الذي يقوم به المسلم مذلاً لنفسه أمام غير المسلم فلا يجوز ممارسة ذلك العمل المذلّ»^(٢١).

تساؤل وإشكال: قد يقول قائل بأن هناك بعض الحالات التي نراها لدى أئمة أهل البيت عليهما السلام، بل حتى عند رسول الله عليهما السلام يتبيّن من خلالها أنهم رضوا بالذلّ وقبلوا به في بعض الحالات؛ مثلاً كان الرسول عليهما السلام يتهم بأنه ساحر وكاذب وكان يرمي بالأوساخ والحجارة، وكذلك الأئمة عليهما السلام لم يتخلوا عن هذا الطريق مع أنهم كانوا يتعرضون لهذه الأمور المهينة وكانوا يتهمون بالكذب والسحر والشعوذة، فلماذا نفترض دائماً أن المؤمن عزيز، بل الصحيح هو أن نقول كما يقول المثل العالمي المتداول: (الذلة في وقتها شجاعة) وهذه هي العقلانية بعيداً عن المزايدات!

جواب الإشكال: يمكن التفريق بين نحوين من الذلة والمهانة:

النحو الأول: ما كان لإرادة الإنسان مدخلية في تحققه، بحيث ينسب هذا الفعل إلى نفس الإنسان وأنه صار شريكاً في توهين نفسه. ولا شك في أن هذا النحو من الأفعال مندرج تحت عمومات النهي عن المذلة، فإن للإنسان أن يتتجنب هذا الأمر وذلك بإرادته و اختياره، ولا أقل من كونه شريكاً في هذه الأفعال، لذلك يتوجب عليه أن لا يتسبب إلى إذلال نفسه ولو بالشراكة.

النحو الثاني: ما لم يكن لإرادة الإنسان مدخلية في تحققه، فهو إنما يرجو فعل الصالحات والطاعات ولكن هذا الطريق - طريق الخير - لا يخلو من المتربيصين المسيئين، فهو إنما يفعل الصالح من العمل متوكلاً على الحذر ومتجنباً لمسibات الذلة قدر الإمكان، ومع هذا لا يسلم من أذى الآخرين. فهذا النحو الثاني لو عرضناه على العرف وجعلنا للناس أن تقيمه فلا شك في أنه لن يندرج في إذلال المؤمن

نفسه، كيف؟ وهو يتوكى المذر ويتتجنب المهانة.

من خلال هذا التفريق بين الأفعال نرى أن أفعال الأئمة عليهما السلام وسلوك رسول الله عليهما السلام كان موقعاً لمقتضى التحرير والمنع، فهم لم يجنبوا هذه التعاليم التي أمروا بهما من كون الإنسان عزيزاً وأن صراطه الذي فرضه الله تعالى هو صراط الكرامة.

وقد ورد عن النبي الأعظم محمد عليهما السلام أنه قال: «ومن أقر بالذلّ طائعاً فليس منا أهل البيت»^(٢٢)، ومن هذا الحديث يمكن لنا أن نستشف هذا التفريق بين النحوين السالفين في كلامنا، وفي رواية أن رجلاً شكا إلى الصادق عليهما السلام جاره، فقال عليهما السلام: «اصبر عليه»، فقال: ينسبني الناس إلى الذل! فقال عليهما السلام: «إنما الذليل من ظلم»^(٢٣).

وهنا قد يطرأ على الذهن هذا التساؤل: قول الإمام عليهما السلام: «إنما الذليل من ظلم» كأنه جاء بمعيار جديد للذلة، معيار آخر غير ما نعرفه، وهذا ما يوسع دائرة الإشكال، إذ قد يتسبب الإنسان إلى إذلال نفسه، وقد افترضنا هذا الأمر حراماً ومنهياً عنه، وال الحال أن هذا الذليل مظلوم، لأن من قام بإذلاله هو الظالم، وعلى هذا المعيار الجديد الذي ذكره الإمام عليهما السلام لا يكون هذا الإنسان الذليل قد ارتكب حراماً لأنه مظلوم! فلا يكون ذليلاً وإنما الذليل من ظلم!!

والجواب على ذلك: في هذه الصورة التي فرضها السائل فإن كلاً من المذل والمذلُ ظالم، فلا مانع من أن يكونا معاً ذليلين، والقرآن الكريم يبين لنا أن من صور الظلم هو أن يظلم الإنسان نفسه: ﴿ثُمَّ أُورْثَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادَنَا فِيهِمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٢٤)، فمن يتسبب لنفسه بالمذلة هو ظالم أيضاً، فلذلك فهو ذليل كما فهمه العرف من إلقائه بيده للمذلة.

وإن خير الكلام هو كلام خير الناس، يقول الحسين الشهيد عليهما السلام: «لا والله لا

كيف يكون الإنسان عزيزاً؟

أعطيكم بيدي إعطاء النليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد»^(٢٥)، ومن هذه المدرسة تدفقت
ينابيع الكرامة، ونهل هنا كل طلاب الإباء والمعزة، وقد قال الشاعر في ذلك:

دُنْيَا الْذَّلِيلَةِ نَفْسَهُ مَوْتٌ
إِيَّاكَ مِنْ مَرْعَى الْهُوَانِ فَلَسْتَ تَقْطُفُ مِنْهُ وَرْدًا

قد تتعدد الطرائق في محاولة التعرف على منابع العزة والكرامة، ومحتصر
كلامنا في هذا الطريق مع الأخذ بكل السبل الظاهرة إلى ذلك؛ أن أكرم طريق
إلى الإعزاز والوجاهة هو الاعتزاز بأهل العزة والانتساب إليهم، وقد ورد في
زيارة عاشوراء: «اللهم اجعلني عندك وجيها بالحسين عليه السلام في الدنيا والآخرة»
جعلنا الله من الوجهاء لديه بالحسين الوجيه وجده وأبيه وأمه وأخيه والتسعه
المعصومين بنيه في الدنيا والآخرة. والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

- (١) التكاثر: ٢-١.
- (٢) الحجرات: ١٣.
- (٣) المناجاة الشعبانية.
- (٤) الإسراء: ٧٠.
- (٥) التغابن: ٣.
- (٦) الإسراء: ٢٠.
- (٧) إبراهيم: ٣٤.
- (٨) الكافي: ٤: ٢٨٦، ح.٥.
- (٩) ن. م، ح.٦.
- (١٠) ن. م: ٢٨٧، ح.٧.

.٨) ن.م، ح.

(١٢) الكافي: ٥: ٦٤، ح: ٦.

(١٣) الكافي: ٥: ٦٣، ح: ١.

(١٤) الجامع للشراح: ٥٣٦.

(١٥) الكافي: ٥: ٦٣، ح: ٢.

.٩) ن.م، ح.

(١٧) ن.م: ٦٤، ٥.

.١٨) ن.م، ح: ٤.

(١٩) الإسراء: ٢٤

(٢٠) صراط النجاة (تعليق الميرزا التبريزي) - السيد الخوئي: ٥: ٣٩٢

(٢١) فقه المغتربين، السيد السيستاني: ١٧٧، م: ٢٣٩.

(٢٢) بحار الأنوار، العلامة مجلسي: ٧٤: ١٦٢، ح: ١٨١.

(٢٣) بحار الأنوار، العلامة مجلسي: ٧٥: ٢٠٥، ح: ٤٦.

.٣٢) فاطر: ٣٢

(٢٥) بحار الأنوار، العلامة مجلسي: ٧: ٤٥





المنة الإلهية

الشيخ عبد الله عبد النبي ضيف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ تَعَالَى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرِكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

مقدمة

سنترعرّض في هذا البحث إلى أوصاف العصر الجاهلي، ومعنى المنة، وأنواع المنن التي أنعم الله بها على المؤمنين، وإلى المقصود من "أنفسهم" في الآية الكريمة.

والبحث هو عبارة عن البحث في بعض الكتب التفسيرية، ففي بعضها اكتفيت بنقل رأي واحد، وفي بعضها الآخر ذكر أكثر من رأي.

تمهيد

لا بد لنا من أن نتعرف على المجتمع الذي بُعث فيه النبي محمد ﷺ لنعرف التغيير الكبير الذي أحدثته هذه البعثة بحيث اعتبرها الله سبحانه وتعالى منه على هذه الأمة، ونذكر بعض الصفات التي كان يتصرف بها ذلك المجتمع المتصل ببعثة النبي محمد ﷺ منقطةً.

وصف الله تعالى شأنه ذلك المجتمع بـ"الجاهلي" وعبر عنه بكلمة "الجاهلية" وقد ذكر هذه الكلمة في القرآن الكريم أربع مرات وكانت كلها في موارد ذم لبعض التصرفات التي يقوم بها من نزلت فيهم الآيات وينسب تصرفاتهم إلى الجاهلية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١).

- ومن صفات المجتمع الجاهلي وأد البنات وما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾^(٢) والمؤودة هي البنت التي تدفن حية وكانت العرب تئد البنات خوفاً من لحوق العار بهن من أجلهن.

- وقتل الأولاد بسبب الخوف من عدم تأمين الغذاء والماء. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾^(٣)، فيبين الله جل جلاله أنه هو الرازق للناس وبرز الخطأ الذي يرتكبونه من قتل الأطفال من خشية المجموع والفاقة.

- ومن الصفات الذميمة في المجتمع الجاهلي وهي أكل مال اليتيم وما يذكره القرآن في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتَيْمَ﴾^(٤)، وعدم إكرامه حرمانه من تراث أبيه -كما كانوا يحرمون صغار الأولاد من

الإرث - وتركه صفر الكف بلغ به الجهد ما بلغ كما تؤيده الآية التالية
 ﴿وَتَأْكُلُونَ التِّرَاثَ﴾^(٥).

- وكان من صفاتهم أيضاً عبادة الأصنام وقوله تعالى في هذا المورد:
 ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الالاتَّ وَالْعَزَّى وَمَنَاةَ التَّلَاثَةِ الْأُخْرَى﴾^(٦) واللات والعزى ومناة
 أصنام ثلاث كانت معبدة لعرب الجاهلية^(٧).

- وغيرها من صفات ذلك المجتمع الجاهلي من الأمية والإغارات على الآخرين لنهب الغذاء والأموال وغيرها كثير ليس محل بحثه هنا.

- وفي وصف فاطمة الزهراء عليها السلام ذاك المجتمع الجاهلي في خطبتها التي ألقتها في مسجد النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه على من كان حاضراً مطالبةً بحقها إلى أن قالت "وكتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبضة العجلان، وموطئ الأقدام وتشربون الطرق وتقتاتون القد أذلة خاسدين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه"^(٨).

ومن خلال هذا التمهيد تعرفنا بعض الشيء على المجتمع الجاهلي ومدى تخلفه العلمي والأخلاقي.

معنى المنة:

المنة كما عرّفها الراغب في مفرداته أنها النعمة الثقيلة^(٩).

وذكر بأن المنة على قسمين:

- 1- أن يكون المن بالفعل، فيقال: مَنْ فلان على فلان: إذا اثقله بالنعمة.
 ومثالها في القرآن الكريم ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا﴾^(١٠) أي
 نعطيهم من النعمة ما يشق لهم^(١١).

وذكر الراغب في ذلك "وذلك على الحقيقة - المن بالفعل - لا يكون إلا لله تعالى".
٢- أن تكون المن بالقول، ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾^(١٣) وهو مستقبح إلا
عند كفران النعمة^(١٤).

ووردت آيات كثيرة تذكر كلمة المن في القرآن الكريم فنتعرف على معانيها:
- ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾^(١٤).

هذه الحادثة وقعت لأصحاب التيه فيخاطبهم الله جل ثناؤه، ففي تلك الصحراء كتم حيارى، ولم يكن عندكم شيء من الطعام المناسب، فأدرككم لطف الله، ورزقكم من الطعام الطيب الذيذ ما كنتم بأمس الحاجة إليه.

وقلنا: إنه ليس من بعيد أن يكون "المن" نوعاً من العسل الطبيعي كان موجوداً في الجبال المجاورة لتلك الصحراء، أو نوعاً من السكريات المولدة للطاقة من نباتات خاصة كانت تنمو في أطراف تلك الصحراء، والسلوى نوع من الطيور المحللة اللحم شبيه بالحمام.

وأورد المفسرون معانٍ متعددة لكلمة المن^(١٥).

- ﴿هَذَا عَطَاوْنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِعَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١٦).

النعمة التي أنعمها الله سبحانه وتعالى على نبيه سليمان هي إعطاؤه الصالحيات الواسعة والكاملة في توزيع العطايا والنعم على من يريده، ومنها عنّ يزيد حسب ما تقتضيه المصلحة^(١٧).

- قوله: ﴿فَإِمَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء﴾^(١٨).

أي: فأسر وهم، ويترفع عليه أنكم إما تمنون عليهم مثناً بعد الأسر فتطلقونهم أو تسترقونهم وإما تدفعونهم فداءً بالمال أو بن لكم عندهم من الأسرار^(١٩).

ونلاحظ من خلال الآية الأولى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ أنه يذكر مصاديق للمنة الثقيلة إذ كانوا في التيه التي كانت صحراء قاحلة وبعد أن تابوا

واستغفروا الله وبعد أربعين سنة من الله عليهم بنوع خاص من الغمام في تلك الصحراء تطلّلهم - تظهر أهمية الغمام لأهل البادية لتقييمهم من وهج الشمس الحارقة - وبالمُن الذي عَبَر عنه صاحب تفسير الأمثل بأنه ليس بعيد أن يكون من العسل الطبيعي كان موجوداً في الجبال المجاورة لتلك الصحراء، فتكون هذه الآية تذكر بعض المصاديق للمنة الإلهية هؤلاء القوم.

ونلاحظ في الآية الثانية **﴿هذا عطاوْنَا فَامْنُ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابِ﴾** أن سليمان عليه السلام طلب من الله جل ثناؤه أن يعطيه ملكاً لا ينبغي لأحد من قبله وأن الله تبارك وتعالى استجاب لنبيه وكان لحكم سليمان عليه السلام بعض الخصائص التي خصه الله بها وكانت هذه الخصائص بثابة المنة على سليمان عليه السلام وكانت من هذه الخصائص أنه يوزع عطاء الله بغير حساب.

وغيرها من الآيات التي ذكرت المنة التي من قبل الله فنرى الجامع هو الثقل في الإنعام.

ما هو معيار النعمة الثقيلة؟

بحسب ما ذكر الراغب في مفرداته أن المنة هي النعمة الثقيلة، ومعنى النعمة الثقيلة في اللغة هي ما أنعم به من رزق ومال وغيره^(٢٠) وهذه النعمة التي أنزلها الله على هذه الأقوام كانت فيها نحو زيادة في الإنعام بحيث كانت هذه النعمة الثقيلة، ومميزة عن باقي النعم بما هي المنة التي هي بعثة النبي محمد عليه السلام وهو الذي خلق الكون لأجله.

والله سبحانه وتعالى قد أنعم على الأقوام السالفة الذكر بالنعمة الثقيلة بحيث نزل الله المن والسلوى على أصحاب التيه بعد أربعين عاماً من الأكل الواحد، وهذه النعمة أيضاً أحدثت تغييراً في حياة هؤلاء القوم فعندما استغفروا الله وتابوا فعندما قبل الله توبتهم وأنزل الله عليهم من منه، والله سبحانه وتعالى ذكر التغيير

من جهة في هذه الآية ولعله هو الأبرز إذ إن هذه النعمة الثقيلة كانت بعد تيه أربعين عاماً.

وذكر الله تبارك وتعالى في آية المن أن الله قد أحدث تغييراً كبيراً في قوم النبي محمد ﷺ ببعثته الغراء.

ما هي الأجواء المحيطة بالآية وسبب نزولها؟

من خلال الآيات السابقة للآية التي نتكلّم عنها تذكرة بعض حوادث معركة أحد وكيفية الهزيمة الظاهرية التي حدثت للمسلمين في تلك المعركة وكانت الآيات تعطي أسباب الهزيمة وما ذكره أصحاب التفاسير في هذا المقام:

- ما ذكره صاحب الأمثل في ذلك: هو في الحقيقة إجابة قوية على التساؤل الذي خالج بعض الأذهان من حديثي العهد بالإسلام بعد "معركة أحد" وهو: لماذا لحق بنا ما لحق، ولماذا أص比نا بما أصبتنا به؟ فيجيبهم القرآن الكريم بقوله: ﴿لَقَدْ مَنَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي إذا كنتم قد تحملتم كل هذه الخسائر، وأصبتتم بكل هذه المصائب، فإن عليكم أن لا تنسوا أن الله قد أنعم عليكم بأكبر نعمة، ألا وهي...، فمهما تحملتم في سبيل الحفاظ على هذه النعمة العظمى والموهبة الكبرى، ومهما كلفكم ذلك من ثمن، فهو ضئيل إلى جانبها، ومحير بالنسبة إليها^(٢١).

- وما ذكره صاحب تفسير في ظلال القرآن: "إنها تجيء ابتداءً تعقباً على الفنائين والطمع فيها والغلو، والانشغال بهذا الأمر الصغير، الذي كان الإن شغال به هو السبب المباشر الذي قلب الموقف في المعركة، وبدل النصر هزيمةً، وفشل بالمسلمين الأفاعيل، فالإشارة إلى حقيقة الرسالة الكبيرة، والمآل العظيمة المتمثلة فيها، لمسة عميقة من لمسات التربية القرآنية الفريدة. تبدو في ظلها غنائم الأرض كلها، وأسلاب الأرض كلها، وأعراض الأرض كلها، شيئاً تافهاً زهيداً، لا يذكر ولا يقدر، شيئاً تخجل

النفس المؤمنة أن تذكره، بل تستحي أن تفكر فيه فضلاً عن أن تشغل به! وهي تجيء في سياق الحديث عن الهزيمة والقرح والألم والخسارة التي أصابت الجماعة المسلمة في المعركة.

فالإشارة إلى تلك الحقيقة الكبيرة، وما تمثله من منة عظيمة، لستة عميقة من لمسات التربية القرآنية العجيبة، تصرف في ظلّها الآلام والخسائر، وتصرف إلى جنبها الجراح والتضحيات. على حين تعظم المنة، ويتجلى العطاء الذي يرجح كل شيء في حياة الأمة المسلمة على الإطلاق^(٢٢).

فما هي النعم التي أنعم الله بها على هذه الأمة ببعثة النبي الأكرم ﷺ؟
 تذكر هذه الآية المباركة بعض المصاديق بل أبرز المصاديق التي أنعم الله بها على قوم النبي محمد ﷺ إذ إنه بعث فيهم رسول الله ﷺ يتلووا عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة، وسنذكر هذه النعم بشيء من التفصيل تباعاً.

ما هي المنة – النعمة الثقيلة – التي أنعم الله بها على المؤمنين؟
 من خلال الآية – المبدوء بها – نعرف أن المنة والنعمة الثقيلة هي الوجود المقدس للنبي بين ظهاري الناس وبالخصوص المسلمين وبالأخص المؤمنين وببعثته الغراء كانت النعمة الثقيلة لهم بحيث كان هذا النبي الكريم ﷺ هو المنة وهو النعمة التي يجب أن يعرفوها وهو الجوهرة التي بين أيديهم التي يجب أن يحافظوا عليها.

هل توجد نعم أخرى غير نعمة البعثة المباركة أم لا؟
 من خلال تكملة الآية فهي تتكلم حول ظاهر الأمر نعم أخرى: **﴿يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ أَيَّاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾** وهي بالترتيب:

١- يتلوا عليهم آياته. ٢- التزكية. ٣- تعليم الكتاب. ٤- تعليم الحكمة.

فكل واحدة من هذه النعم لها تأثيرها على تغيير المجتمع الجاهلي الذي كان كما تقول الآية الكريمة أنهم ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ واللام المتصلة بحرف الجر للتأكيد على أنهم كانوا منغمسين في الضلال وضائعين عن طريق الحق وطريق التكامل والرقي الروحي والمجتمعي ولا يخفى على أحد أن هذه النعم التي ذكرت في الآية الآنفة الذكر بأنها ترفع من مستوى أي مجتمع كان من خلال التزكية بالأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الرذائل ومن خلال التعليم الذي يسهم في رفع الحجب عن الناس وتبنيان الضلال والتفاهة التي كانوا فيها من عبادة الأوثان وغيرها من الأفعال والتصرفات التي تدل على أن فاعلها غير عاقل والذي وصفه الله بالضلال -المبين- الواضح.

ولكن السؤال هل هذه النعم كانت على نحو الاستقلال أم لا؟

- عبر عنها صاحب الأمثل بأنها مهمات:

إن الله سبحانه يقول واصفاً مهمات هذا النبي العظيم: ﴿يَتَلَوُا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكَّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي أنه عليهما السلام يقوم بثلاثة أمور في حقهم:
١- تلاوة آيات الله على مسامعهم، وإيقافهم على هذه الآيات والكلمات الإلهية.

٢- تعليمهم بمعنى إدخال هذه الحقائق في أعماق ضمائرهم وقلوبهم.

٣- تزكية نفوسهم، وتنمية قابلياتهم الخلقية، وموهبهم الإنسانية^(٢٣).

- عبر صاحب تفسير في ظلال القرآن بالآثار:

الإشارة إلى آثار هذه المننة في حياة الأمة المسلمة ﴿يَتَلَوُا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكَّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ * وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾....

وهي تشي بالنقلة من حال إلى حال، ومن وضع إلى وضع، ومن عهد إلى عهد. فتشعر الأمة المسلمة بما وراء هذه النقلة من قدرة الله الذي ي يريد بهذه الأمة أمراً ضخماً في تاريخ الأرض، وفي حياة البشر، والذي يعدها لهذا الأمر الضخم بإرسال الرسول ﷺ، فما ينبغي لأمة شأنها رفيع إلى هذا المستوى أن تشغل بالها بالغائم التي تبدو تافهة زهيدة في ظل هذا الهدف الضخم، وأن لا تخزع من التضحيات والآلام، التي تبدو هينة يسيرة في ظل هذه الغاية الكبيرة^(٢٤).

ما المقصود بـ «من أنفسهم» في الآية الكريمة؟

اختلف المفسرون في المقصود بـ «أنفسهم»، فطائفة من المفسرين ذكرت أنه من الآدميين وليس من الملائكة وطائفة أخرى أنه من نفس العرب لأنهم خبروا منه الأمانة والصدق.

وما ذكره الشيخ الطوسي في تفسير التبيان كالتالي:

”قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: من أنفسهم ليكون ذلك شرفاً لهم، فيكون ذلك داعياً لهم إلى الإيمان.

الثاني: من أنفسهم، لسهولة تعلم الحكمة عليهم، لأنه بسانهم.

الثالث: من أنفسهم، ليتيسر عليهم علم أحواله من الصدق والأمانة والعدة والطهارة^(٢٥).

ذكر صاحب تفسير الأمثل في هذا المورد: »من أنفسهم« أن إحدى مميزات

هذا النبي ﷺ هو أنه من نفس الجنس والنوع البشري، لا من جنس الملائكة وما شابهها، وذلك لكي يدرك كل احتياجات البشر بصورة دقيقة، ولا يكون غريباً عنها، غير عارف بها، وحتى يلمس آلام الإنسان وأماله، ومشكلاته ومصائبها، ومتطلبات الحياة ومسائلها، ثم يقوم بما يجب أن يقوم به من التربية والتوجيه على ضوء هذه المعرفة^(٢٦).

وما ذكره صاحب تفسير في ظلال القرآن: "إنها الملة العظمى أن يبعث الله فيهم رسولاً، وأن يكون هذا الرسول "من أنفسهم" إن العناية من الله الجليل، بإرسال رسول من عنده إلى بعض خلقه، هي الملة التي لا تتبق إلا من فيض الكرم الإلهي. الملة الخالصة التي لا يقابلها شيء من جانب البشر... وتتضاعف الملة بأن يكون هذا الرسول "من أنفسهم" لم يقل "منهم" فإن للتعبير القرآني "من أنفسهم" ظللاً عميقاً بالإيحاء والدلالة، إن الصلة بين المؤمنين والرسول هي صلة النفس بالنفس، لا صلة الفرد بالجنس.

فليست المسألة أنه واحد منهم وكفى. إنما هي أعمق من ذلك وأرقى، ثم إنهم بالإيمان يرتفعون إلى هذه الصلة بالرسول ﷺ، ويصلون إلى هذا الأفق من الكرامة على الله، فهو ملة على المؤمنين... الملة مضاعفة، ممثلة في إرسال الرسول، وفي وصل أنفسهم بنفس الرسول، وبنفس الرسول بأنفسهم على هذا النحو الحبيب.

ثم تتجلى هذه الملة العلوية في آثارها العملية في نفوسهم وحياتهم وتاريخهم

الإنساني".^(٢٧)

التلاوة ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِه﴾ وما المقصود منها؟

معناه يقرأ عليهم -النبي ﷺ- ما أنزله الله عزّ وجلّ عليه من آيات القرآن وما قاله صاحب تفسير في ظلال القرآن: "لو تأمل الإنسان هذه الملة وحدها لراعته وهزته حتى ما يتمالك أن ينصب قامته أمام الله، حتى وهو يقف أمامه لشكر والصلاه! ولو تأمل أن الله الجليل- سبحانه- يتكلم عليه، فيخاطبه بكلماته، يخاطبه ليحدثه عن ذاته الجليلة وصفاته وليعرّفه بحقيقة الألوهية وخصائصها، ثم يخاطبه ليحدثه عن شأنه هو- هو الإنسان- هو العبد الصغير الضئيل- وعن حياته، وعن خوالجه، وعن حركاته وسكناته. يخاطبه ليدعوه إلى ما يحبه، وليرشهه إلى ما يصلح قلبه وحاله، ويهتف به إلى جنة عرضها السماوات والأرض".^(٢٨)

التزكية ﴿وَبُزَّكِيهِمْ﴾:

ذكر الشیخ الطوسي بأن للتزکیة ثلاثة أوجه وهي:
أحدها: يشهد لهم بأنهم أزكياء في الدين، فيصيروا بهذه المنزلة الرفيعة في
الخلق.

الثاني: يدعوهم إلى ما يكونوا به زاكين سالكين سبيل المحتدين.

الثالث: قال الفراء يأخذ منهم الزكاة التي يطهرهم بها^(٢٩).

وذكر صاحب تفسير في ظلال القرآن: "هو أن المقصود من التزكية هو التنقية من رواسب الجاهلية والشرك، ومن بقايا العقائد الباطلة والأفكار الخرافية، والأخلاق الحيوانية القبيحة لأن الضمير الإنساني ما دام لم يظهر من الأدران والرواسب لم يمكن إعداده وتهيئته لتعليم الكتاب الإلهي"^(٣٠).

روايتان:

الرواية الأولى: ما ذكرناه في خطبة فاطمة الزهراء علیها السلام في مسجد النبي عليهما السلام والتي تقول فيها: «وكتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب ونهرة الطامع وقبضة العجلان، وموطئ الأقدام وتشربون الطرق وتقتاتون القد أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى محمد عليهما السلام»^(٣١).

الرواية الثانية: ما وصفه جعفر بن أبي طالب وهو يحدث نجاشي الحبشة في مواجهة رسول قريش إلى ملك الحبشة، ما قاله كالآتي: «أيها الملك! كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً مننا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه. فدعانا إلى الله وحده لنوحده ونبعده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وأبااؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحaram والدماء، ونهانا عن

الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحسنات، وأمرنا أن نعبد الله،
ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلوة والزكاة والصيام»^(٣٢).

التعليم ﴿وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

ما ذكره المفسرون في هذا الصدد أن الكتاب المقصود به هو القرآن فيعلمهم القرآن ويرشدهم للذى هو فيه خير للمسلمين.

ويذكرون بأن الرسول يعلمهم الحكمة أيضاً، وهي وضع الأشياء في مواضعها،
وقيل: إن المراد بها هنا الفقه، وهذا ما ذكره علماء التفسير في هذا المجال.

ومن خطبة لأمير المؤمنين علیه السلام يوضح كيف كان تعليم النبي عليه السلام ونشاطه
في ذلك حيث قال: «طبيب دوار بطبئه، قد أحکم مراهمه، وأحیى مواسمه، يضع ذلك
حيث الحاجة إليه من قلوب عمی، وآذان صم، وألسنة بكم، متبع بدوعاه مواضع الغفلة
ومواطن الحيرة، لم يستضیئا بأضواء الحكمة، ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة»^(٣٣).

مَنْ الْمُسْتَفِيدُ مِنِ الْمُنَّةِ الْإِلَهِيَّةِ؟

أما تخصيص المؤمنين بالذكر في هذه الآية في حين أن الهدف منبعثة
النبي عليه السلام هو هداية عموم البشر، فلأن المؤمنين هم الذين يستفيدون -بالتالي-
والمال - من هذه النعمة العظمى فهم الذين يستأثرُون بآثارها عملاً دون
غيرهم^(٣٤).

ذيل الآية ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفْيِ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

ضلال في التصور والاعتقاد، وضلال في مفاهيم الحياة، وضلال في الغاية
والاتجاه، وضلال في العادات والسلوك، وضلال في الأنظمة والأوضاع، وضلال في
المجتمع والأخلاق.

والعرب الذين كانوا يخاطبون بهذه الآية كانوا يذكرون -ولا شك - ماضي

المهدي والبعثة:

وأثناء كتابة هذه الوريقات جاء في ذهني أنَّ الإمام المهدي عَجَّلَ اللَّهُ فِي فرجه الشريف عندما يظهر ستنجلي حقيقة بعثة النبي الأكرم ﷺ من خالله وسيعرف قيمة هذه الملة بانتصار المولى ومن خلال رفع راية الإسلام جعلنا الله من جنوده ومن المنتظرين له حقاً.

الهوماش:

- (١) المائدة .٥٠.
- (٢) التكوير .٨.
- (٣) الإسراء .٣١.
- (٤) الفجر .١٧.
- (٥) الميزان ج ٢٠ ص ٢٨٣.
- (٦) النجم .٢٠.
- (٧) الميزان ج ١٩ ص ٣٨.
- (٨) الاحتجاج ص ١٣٦.
- (٩) الراغب.



- .٥) القصص .١٠)
- .٦) الراغب .١١)
- .٧) الحجرات .١٢)
- .٨) الراغب .١٣)
- .٩) البقرة .٥٧٥)
- .١٠) الأمثل ج ١ ص ٢٣٣)
- .١١) سورة ص ٣٩)
- .١٢) الأمثل ج ٤ ص ٥١٢)
- .١٣) سورة محمد .٤)
- .١٤) الميزان ج ١٨ ص ٢٢٥)
- .١٥) الوسيط .٩٣٥)
- .١٦) الأمثل ج ٢ ص ٧٦٥)
- .١٧) في ظلال القرآن ج ١ ص ٥٠٦)
- .١٨) الأمثل ج ٢ ص ٧٦٧)
- .١٩) في ظلال القرآن ج ١ ص ٥٠٦)
- .٢٠) التبيان ج ٣ ص ٣٩)
- .٢١) الأمثل ج ٢ ص ٧٦٥)
- .٢٢) في ظلال القرآن ج ١ ص ٥٠٧)
- .٢٣) في ظلال القرآن ج ١ ص ٥٠٧)
- .٢٤) التبيان ج ٣ ص ٣٩)
- .٢٥) الأمثل ج ٢ ص ٧٦٥)
- .٢٦) في ظلال القرآن ج ١ ص ٥٠٧)
- .٢٧) في ظلال القرآن ج ١ ص ٥٠٧)
- .٢٨) التبيان ج ٣ ص ٣٩)
- .٢٩) في ظلال القرآن .٣٠)
- .٣٠) الاحتجام .١٣٦)
- .٣١) الكاشف ج ٢ ص ١٩٨)
- .٣٢) من خطبة لأمير المؤمنين في الملحم .١٠٥)
- .٣٣) في ظلال القرآن ج ١ ص ٥٠٧)
- .٣٤) في ظلال القرآن ج ١ ص ٥١١)



العلاقات الدولية في القرآن الكريم

(القسم الثاني)^(١)

سماحة آية الله الشیخ میسی احمد قاسم (خطبہ)

المحاضرة الثالثة

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغوي الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآلـه الطيبين الطاهرين، واللعـن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

عنوان الجهاد وقد عبر عنـه بالحرب الابتدائية وكما يسمـيه البعض، ويعـبر عنـ هذا النوع منـ الجهـاد بالـدفـاع؛ لأنـه -في تـحلـيل ماـ إـنـا هـوـ فيـ واقـعـه دـفـاعـ، والـدـلـيل الإـجمـالي عـلـىـ الحـرـبـ الـابـتـدـائـيـةـ -وـأـعـنيـ

بالدليل الاجمالي هنا هو ما يدل على الحرب الابتدائية في مجملها بغض النظر عن التفصيل فيها-، الدليل يتأثر في أكثر من أمر ومن هذه الأمور هذه المجموعة من الآيات الكريمة:

- ١- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونُكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِي كُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾**^(٢) لا تضع الآية سببا آخر لهذا القتال غير الكفر، فهو العنوان الذي وضع عليه الحكم لوجود القتال، فيأتي بذلك أن الكفر سبب كاف للقتال في نظر الإسلام. أما كون القتال للذين يلعون فليس بلحاظ أن القتال محصور عليهم، وإنما لأنهم الأقرب خطرًا، والأكثر انكشافاً، إلى أمور أخرى تجعل تقديم مقاتلتهم قبل تقديم البعيد إلا إذا تميز البعيد بالضرورة أو بمميزات موضوعية أخرى بالمقاتلة تستوجب البدء بقتالهم.
- ٢- **﴿فَلَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**^(٣)، وسبيل الله هو دينه وإعلاء دينه، وعزّة دينه، والحفظ عليه ونشر دينه، وسبيل الله توحيده وعبادته، فالمقاتلة في هذا السبيل تكون واجبة بمقتضى الأمر في الآية.
- ٣- **﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**^(٤)، حتى لا يكون تخلف، وحتى لا يكون خروج في القتال عن سبيل الله وأحكام دينه، وأن تبقى النية عند المقاتلين هي التقرّب إلى الله بنصرته وإعزاز دينه.
- ٤- **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْلَمُوا الْجِزِيرَةَ عَنْ يَدِ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾**^(٥). هناك آيات جاءت في الكتاب الكريم تخصّ المشركين من غير أهل الكتاب، وهذه الآية موضوعها المشركون من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويلحق بهم المحسوس والصادمة. وهل لأهل الكتاب كلّهم أو بعضهم

حسب عطاء هذه الآية الكريمة؟ يختلف المفسرون؛ فمنهم من يرى أنها تخص طائفة من أهل الكتاب؛ وهم الذين لا يدينون دين الحق - دينهم -^(٦)، «وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ» و«مِنْ» هنا تبعضية، وهذا البعض هم الذين لا يدينون دين الحق، فيختلفون عن دينهم وعن غير ما يقتضيه دينهم من اتباع رسول الله الأعظم عليه السلام، وبعضهم يرى "من" ببيانية بمعنى أنَّ الذين لا يدينون دين الحق هم الذين أوتوا الكتاب؛ فيكون الأمر بالقتل شاملًا لكلَّ أهل الكتاب.

فالحرب تستمر مع أهل الكتاب «حَتَّى يُعْظَمُ الْجِزْيَةَ عَنْ يَدِ وَهُمْ صَاغِرُونَ»، ويمكن لهم أن يبقوا على دينهم في هذا الفرض ويدخلون في أهل الذمة، ولا تستمر الحرب معهم حتى يسلمو، وأماماً المشركون فالحرب القائمة معهم تستمر حتى يسلمو.

- الأهداف المتصورة للحرب في الإسلام:

والتركيز هنا على الحرب الابتدائية لأنَّ الحرب الدفاعية بالمعنى المصطلح المقابل للجهاد فأمره واضح جداً ولا خلاف فيه حتى بين العقلاة.

أهداف الحرب الابتدائية - يمكن أن نضع - عدة فروض:

الفرض الأول: أن يستهدف الإسلام المكاسب المادية، والتتوسيع الجغرافي، وبسط السيطرة باستغلال ثروات الآخر وفرض الهيمنة على الآخر، وإذلال الآخر، وتوسيع موارد الدولة الإسلامية.

الفرض الثاني: أن تكون الحرب تعطشاً للدم كما يحدث في الساحة الإسلامية الآن - تقريباً في بعض صور ما يحدث -.

الفرض الثالث: أن يكون الهدف هو الإكراه في الدين، وفرض حالة الإيذان على شعوب العالم.

الفرض الرابع: إنتهاء قوّة الكفر ودعوته، ومقاومته، وإنتهاء تعطيله لحالة الإيمان والتوحيد الذي يريد إقامة القسط، وغاية الحياة، وإنتهاء حالة العبودية للمخلوقين، وتبقى للخالق الواحد الأحد دون سواه، وهذا يدخل تحت عنوان إعلاء كلمة الله.

نعرض هذه الأهداف المتصوّرة على هذه المجموعة من الآيات الكريمة، فنجد أنّ هدف التعطش للدم ممحوظ وأنّ الإسلام يرى أنّ من قتل نفساً واحدةً فكائماً قتل الناس جميعاً وهذا بغير حقٍّ - مشدداً على حرمة الدم، وحرمة الدّم من أشد المرمات في الإسلام وفيها الاحتياط، وحيث تقوم شبهةُ في جنائية يتوقف الحد بالقتل.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ اتَّهَوْا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾⁽⁷⁾ ما هي تلك الفتنة؟ وتنفسر بأنّها الشرك، ومع الشرك الإضلal والصدّ عن دين الله، وتخريب طريق الناس بالأخذ بالهداية. والآية الكريمة تتّول ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾، فالقتال يستمر حتى يكون الدين الله وهو طاعة الله وحده، وإن كانت هناك طاعة ثانية فهي تبعية وليس طاعة بالأصل.

﴿فَإِنِ اتَّهَوْا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فهل انتهائهم هو انتهاء حربهم على الإسلام؟ حسب السياق معناه أنّهم انتهوا عن الفتنة، وإذا فسرت الفتنة بالشرك فمعناها أنّهم انتهوا عن الشرك، وبينتّهم عن أي دين ثانٍ، فالمطلوب حسب ظاهر الآية حتى يتفرّد دين الله بِعَزَّوَجَلَّ بالساحة البشرية⁽⁸⁾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٌ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفُرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَوْنَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوْا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمْتَهِنُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩﴾.

لا بدّ من الانتهاء من الصدّ عن دين الله ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾، القتل بشع وعظيم ومنكر وكبير جداً، لكن الفتنة بإخراج الناس من دين الله، وبإضلال الناس عن دين الله بالشرك فهو أكبر من القتل.

والكفر لا يريحه أن يكون في الأرض دينان، والكفر لا يطمئنّ بأن يكون للإسلام وجود في الأرض، ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾، وهذا هو سبب الأمر بالقتال.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَوْكَرَهُ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٠﴾، هل المطلوب الحجّة للدين الإسلامي فقط؟ أم المطلوب الظهور في تسهيل الأمور، وقيادة الحركة الإنسانية على وجه الأرض؟ **﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾** أي بالطاعة، وهذا المنهج الصحيح **﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَوْكَرَهُ الْمُشْرِكُونَ﴾** فالمشركون يضرّهم بأن يقوم إسلام على وجه الأرض، وأيات القتال ليظهر الإسلام على الدين كلّه.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرِيَّةِ الظَّالِمُونَ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتَلُوا أُولَئِكَ الشَّيْطَانُ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ﴿١١﴾ جبهتان في الأرض؛ جبهة تقاتل في سبيل الطاغوت وهي جبهة الكفار، وجبهة الذين آمنوا تقاتل في سبيل الله، ومأمور بالقتال لإنقاذ المستضعفين من فتنة الشرك من رجال ونساء وولدان، **﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرِيَّةِ الظَّالِمُونَ أَهْلُهَا﴾**، وإنقاذهم من كلّ أنواع الظلم، وأكبر أنواع الظلم هو فرض الشرك ترويجه، والصدّ عن سبيل الله تعالى.

﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١٢) فالحرب المقدسة في الإسلام هي الحرب في سبيل الله، فالقتلى لا يُعدون أمواتاً بل هم أحياء في سبيل الله تبارك وتعالى، وهذه هي الحرب المقدسة في الإسلام، وهذه ليست حرباً لأيّ هدف آخر.

﴿أَنْفِرُوا خَفَافًا وَتَقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١٣) أكثر آيات الحرب مقيدة أن تكون في سبيل الله، وبعضها تكون مذيلة بالأمر بالتفوي.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّاغِتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوَّكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِيْنَ﴾^(١٤)، والحق هو الإسلام وهو آخر دين ارتضاه، ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِيْنَ﴾، والمطلوب في النهاية أن ينقطع أمر الكافرين في الأرض والكفر.

﴿يُحَقَّ الْحَقَّ وَيُبَطِّلَ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُوْنَ﴾^(١٥)، المطلوب حرب تحقق الحق وتبطل الباطل، وهذا الإنماء الذي يريد الله تعالى هو إنماء وجود الكافرين. ومن كلّ هذا يتبيّن هل أنّ الهدف من القتال هو المكاسب المادية والتوسّع الجغرافي وبسط السيطرة؟

فتجيّب الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِ فَمَنْ أَنْهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَيْرًا﴾^(١٦)، والآية الكريمة تعالج مسألة حادث خارجي وهو أنّ المسلمين طلبوا أن يبقوا على الأسرى لمكاسب مادية، والأسير يكون في الخدمة ومكاسبه لي ويكون تحت تصرفه، وكان يعرف بأنه من أدوات التاجر ومن مصادر الدخل، ومعروف أنّ الرقيق ساهموا بشكل كبير في بناء الأرض التي يتواجهون فيها؛

ولذلك كان يطمع بأن يبقى الأسير ولا يقتل ويكسبه المحارب المسلم ويستفيد منه نتاجاً مادياً.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنَّدَ اللَّهِ مَغَانِيمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنُתُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١٧)، فكان البعض يحاربون من أجل حربه وأسره، ولكن الآية الكريمة تقول لهم ليس الأمر كذلك! فإن كان مؤمناً ويعرف بالشهادتين فيجب أن يقبل منه إيمانه وقد ألقى السلام، فلا يقتل.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يُنْجِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١٨)، بمعنى أن يبالغ في القتل حتى تحقيق النصر للإسلام وينتهي الكفر.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١٩)، فالإثخان في الأرض ليس تشفيأً، وليس سفكاؤ للدماء، وليس لأغراض دنيوية، وإنما الهدف هو رضا الله.

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخْذَتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢٠)، وهذا الميل لأن يكون أكثر الأسرى من الطرف الآخر، بغض النظر عن النتائج الموضوعية التي تترتب على عدم استئصال حالة الكفر وعدم إنهاكه حتى لا يقوم مرة ثانية ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخْذَتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فهذا فيه تهديد من الإسلام، فالمطلوب هو أن يتحقق الهدف الإسلامي بظهور الإسلام وإعلاء كلمة الله، وإن طلب الإثخان في الأرض.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ حَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرَنَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٢١) حبّ الظهور والسيطرة والهيمنة وكلّ هذا لا يرضي الإسلام أن يكون هدفاً من أهداف الإسلام ولا مشاركاً للهدف.

بالنسبة للهدف أن تكون الحرب من أجل الإكراه بالدين، فالإسلام لا يوافق على هذا الهدف، والإكراه في الدين غير ممكن، والآية الكريمة واضحة جداً: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيَؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعَرْوَةِ الْوُتْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْمٌ﴾^(٢٢)، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، إما أن تكون قضية خبرية تتحدث عن واقع الأمر عن أن الإكراه في الدين غير ممكن؛ لأن الدين يقوم على العلم والاعتقاد والإذعان من النفس برضى وقناعة بالفكرة والقضية، واضح جداً أن السيف والقتل يمكن أن يهزمني خارجاً، ولكن لا يستطيع أن يغير قناعة كاملة ورؤيه واضحة وجليه عندي، أو أن يرفع شك الكافر، ولا تخلق يقينا واطمئنانا وإيمانا بالقضية، وهذا السبيل لو شرعه الإسلام فلن يكون كل شيء في مكانه. وهذا الإخبار بأن هذا الأمر غير ممكن معناه أنه لا يشرع، أو معناه أن الإسلام ينفي التشريع للإكراه في الإسلام. ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ﴾^(٢٣)، فالآية الكريمة تقول أن الإيمان لا يخلقه الإكراه، وآية كريمة أخرى تقول إن الإيمان لا يرفعه الإكراه، قلب مطمئن بالإيمان فهو مؤمن ومتوفّر على الإيمان، فالإكراه لم يرفعه، وحقيقة الإيمان باقية، فالإيمان لا يتأثر سلباً بأن يرتفع ولا إيجاباً بأن يوجد بمجرد الإكراه، فوسيلة الإكراه فاشلة في هذا الباب.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢٤) الذي يستطيع أن يخلق حالة الإيمان في القلوب خلقا جبراها هو الله تعالى، وهو سبحانه يشاء أن تكون القلوب قادرة على أن تكون مؤمنة أو منكرة للإيمان والكفر بها، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ فرسول الله عليه وآله ليس بيده ولا بالألة الحربية التي عنده أن تخلق حالة الإيمان في القلوب وليس له ذلك، فالأمر الذي لا

نقط متممة:

يريده الله بأن يدخل حالة الإيمان بالجبر والإكراه فكذلك لا يريده لرسول.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتُكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢٥)، فهناك إيمان وهناك إسلام، فالآلية الكريمة فرققت بين الإيمان والإسلام، واعترفت للأعراب الذين أعلنوا الشهادتين بأنهم مسلمون، ونفت عنهم أنهم مؤمنون، فهنا دعوى كاذبة أن يقولوا آمنا، والصدق في لسانهم أنهم أسلموا الإسلام المقابل للإيمان، على أنّ الإسلام قد يأتي بمعنى الإيمان، ولكن حيث يتقابلان يكون الإسلام غير الإيمان، وهو الإعلان والقبول الظاهري للإسلام هو إسلام، وبما أنزله الله عزوجل على رسوله عليه السلام هو إسلام، وأمّا الإيمان فهو قضية مستقرة في القلب، ويحتضنها القلب ويعيشها.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتُكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢٦)، نعرف أنّ الإسلام قبل من الأعراب قوله: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله)، وقبوهم الظاهري للإسلام بحيث رتب عليهم آثار الإسلام في هذه الحياة الدنيا.

خلص الكلام إلى أنّ الهدف المنسجم مع دلالات الآيات الكريمة من بين الأهداف الأربع المذكورة هو الهدف الرابع المذكور آنفًا وهو "إنهاء قوة الكفر ودعوته، ومقاومته، وإنهاء تعطيله لحالة الإيمان والتوحيد الذي يريد إقامة القسط، وغاية الحياة، وإنهاء حالة العبودية للمخلوقين، وتبقى للخالق الواحد الأحد دون سواه".

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدُوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢٧)، فالفتنة هي الشرك، وكون الدين كله لله والدين بمعنى الإيمان الحق الذي يعيش القلب ويستقر فيه، وهو الدين الواقعي الذي تعشه القلوب، وتكون العبادة في الأرض وفي الخارج لله تعالى، ويكون الأمر والنهي له، والحكم حكمه، وأن يقود الحركة في الأرض دينه، في السياسية والاجتماع وبقية مجالات الحياة، وهذا الدين - دين القلوب - لا تتحققه الحرب، وإنما هدف الحرب تحقق الوجود الظاهري للدين، وأن يكون القائم هو الكيان الديني.

- القتل على الإيمان يفتئن المؤمنين، فمن آمن قتل، فهنا تكون فتنة بلا أدنى شك، وهو صد عن سبيل الله، وهذا يقطع سبيل الإيمان الظاهري.

- منع وصول الخطاب الديني الصحيح فتنة وإضلal، فقيام دولة كافرة تمنع وصول خطاب الرسالة الحمدية إلى شعبها؛ بأن تحكم الكفر وعبادة غير الله عزوجل وتنزع سدواً وحواجز عن وصول الخطاب الديني الرئيس وهو توحيد الله عزوجل - توحيده في العبادة والأخذ بيده.

- إفساد الفطرة يعتبر فتنة وإضلالاً، فالفطرة هي مرتكز الدين والطريق إلى وجود الدين في القلوب، وفي الخارج هو بقاء الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

- قيام دولة كافرة وكل الأوضاع القائمة فيها مترشحات من عقيدة الكفر - إذا صح التعبير عنها بعقيدة -، فالأوضاع القائمة على الأرض في تلك الدولة الكافرة هي منسجمة ومتّسقة ومتّسحة عن قضية الكفر بالله تعالى، فهذا لا يبقي الفطرة على وضعها، بل يدخل على الفطرة الخس والتشويه والضلال والانحراف، وهذا فيه صد عن سبيل الله، وهذا من خلال الآيات محارب، وهذا قطع لدين التوحيد، والمطلوب أن يكون له وجوده في الأرض، ويكون هو الظاهر في الأرض، وأن يكون هو الوجود السائد في الأرض. فالأوضاع العملية والبناء

الاجتماعي والاقتصادي مبنية على أساس الكفر والاهتراء الخلقي الذي يرعاه الكيان الكافر هو فتنه وإضلal.

- إنكار ألوهية الربّ الخالق وجوده والشّرك به والترويج لذلك مكابرة للحقّ الذي يريد الإسلام أن يظهره، والتأسيس لكلّ ألوان الانحراف والفساد وفصل الحياة عن خطّها الصحيح، وغايتها التي كانت من أجلها.

- قد يرد على بعض النفوس التشكيك في العقيدة وتنبأها الشبهة فيها^(٢٨)، فكيف يتعامل معها الإسلام؟ فكما مرّ أنّ إظهار وإعلان الكفر والدعوة له، وإقامة أوضاع عملية كافرة تغري بالكفر وتصدّ عن ذكر الله عزّ وجلّ، وتطرد الناس عن طريق الله عزّوجلّ، فالإسلام يقف في وجه كلّ هذا، ويمكن أن تعلن قوة ظاهرية عن كفه وإنهاه.

لكن هذا الشك لا ترفعه القوّة الخارجية، وقد يعلو على الإنسان قهراً، لنقص ذهني أو ترويج شبهة، أو عقدة نفسية لديه، أو موقف مسيء من عالم دين كبير فيخلق لديه ردة فعل في نفسه مما يجعله يشك، أو أصابته بمرض نفسي يجعله على طريق الانحراف النفسي، أو غير ذلك، فإن كانت المقدمات من عندي وأنا من سعى لها وقامت على مقدمات اختيارية، لأن تكون عندي سلوكيات قذرة ووسخة فسببت لي هذا الشك، وخلقت في نفسي هذه الحالة من الاضطراب النفسي، فاضعفت نفسي عن تحمل الإيمان، فبدأ الشك في أصل العقيدة تبريراً لسلوكي المنحرف فأنا أتحمّله بالحفاظ على أصل الإيمان، فعليّ تحمله.

ولكن مرة يفاجئني الشك، وقد يكون ذهني قاصرأً، فهنا الإسلام يعطيك حقّ البحث والمناقشة والاستيضاح والطرح العلمي والطرح الصريح لشبهاتك بقصد توصلك إلى الحقّ، ولكن لا يعطيك حقّ الدعوة للشرك، ولا يعطيك الحقّ أن تتخذ من شكّك منطلقاً لتشكيك الآخرين في العقيدة، وهذا لا يضعك على



طريق هدم عقيدة الإيمان عند الآخرين، ولا يبيح لك أن تقيم كياناً يقود الحياة. كالذى يمتلك قدرات سياسية هائلة، أو عنده قدرات مالية جداً، أو عنده علاقات واسعة ودخله الشك في الإسلام، فصار يقيم دولة كافرة يقود بها حركة الحياة في الناس، فهذا يقف، ولا يسمح له، بل عليه أن يطلب العلم وأن يسعى لرفع الشبهة، وأن يطرح كل أسئلته ليتلقي أجوبة توصله إلى قناعة علمية.

- إقرار الكفر هو خلاف الرحمة الإلهية، فاللدين يأتي ويقول أنه يقرّ الكفر في الأرض ويبثح للناس أن يكروا، فالله عَزَّ ذِلْكَ أقدر القلوب على الكفر والإيمان، وهذه هي الإرادة التكوينية. وأمّا على مستوى الإرادة التشريعية الله خيرك بأن تكفر أو تؤمن! هذا خلاف الرحمة الإلهية، أمّا التخيير التكويني فهو من أجل أن يكون قاعدة للتکلیف، واستحقاق الشواب والعقاب؛ فإقدار القلوب على أن تکفر أو تؤمن فهو ضروري حتى يصحّ الجزاء بالثواب والعقاب، وحتى يكون هناك تکلیف، وإلا إن كنت مجبوراً على الكفر أو الإيمان فعلام التکلیف؟! فلا يكون تکلیف مع الجبر ولا يوجد تحمل للمسؤولية.

فإقرار الكفر من ناحية تشريعية، فإن أراد أحد أن يؤمن فهو مباح له، وإن أراد الكفر فهو مباح له فهو مرخص، فهذا خلاف الهدف الديني، وخلاف الرحمة الإلهية، فما الفائدة من إيجاد تكاليف وبعد ذلك يقول لي أنت مخير من ناحية تشريعية فهذا تناقض وتهافت، وهو أمر وينقضه الترخيص، فواضح جداً أن الإلزام يتنافي مع الترخيص. فإن كنت ملزماً بترك الكفر فهل تكون مرخصاً بترك الكفر؟ فهل تكون مرخصاً بين الكفر والإيمان؟ وإذا كنت ملزماً بالإيمان فهل أرخص بين الإيمان والكفر؟ فنزول الدين من أجل أن يلزم الناس بالإيمان، فهنا تناقض.

والقول بأنّ إقرار الكفر هو خلاف الرحمة الالهية لأنّه لا إنسانية ولا أوضاع مستقيمة على الأرض ولا جنة، ووجود عذاب شديد وسقوط إنساني ذريع جداً وفوضى، وخروج على الحق بالكامل حين يحكم الكفر ويُطرد الإيمان، وحين يُعبدُ غير الله ويُكفرُ بالله^{عَزَّوَجَلَّ}، فالرحمة التشريعية والتقوينة حين يتعلق العباد بالله^{عَزَّوَجَلَّ}، فمن أين الهدى؟ ومن أين الوجود؟ ومن أين الحياة؟ ومن أين نستضيء الطريق؟ إذا قال لنا الله^{عَزَّوَجَلَّ} أنتم مرخصون في أن تأخذوا طريقاً غير طريق الإيمان، فهل هذا رحمة؟ بل الرحمة أن يناديانا ليل نهار^{عَزَّوَجَلَّ} من خلال رسالته وأياته أن تعالوا وتوبوا وارتبتوا بالله^{عَزَّوَجَلَّ}، فالرحمة هنا «اللهُ وَكِلُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ»^(٢٩)، فرحمة الله في الإخراج من الظلمات إلى النور، والأخذ بطريق الإيمان والتسليم لله، وعبادته، وليس أن خرجك للكفر والكافر ومن النور إلى الظلمات.

وإن رخصني تشريعاً فليس عليّ عقاب في الأخذ بالإيمان أو الأخذ بالكفر، ولا إقامة حدّ ولا أي أثر دنيوي، فتجد أنّ هنا تهافتاً شديداً أن يؤدي الكفر أداء الإيمان، فمساواتنا بين الكفر والإيمان في التشريع فلا بدّ من المساواة بينهما في التكوين، فلا بد من أن يكون أثر الكفر هو نفس أثر الإيمان، فإذاما أثراهما معاً سقوط الإنسان وخسارته، أو يكون أثراهما معاً ربح الإنسان ونجاحه حتى يتساوايا في الحكم. وإن إذا كان أحدهما يقتل والآخر ينجي فهل يتساوايان في الحكم؟ لا.

وإذا كان الله^{عَزَّوَجَلَّ} لا يعطيني الخيار التشريعي في حقّ نفسي بأن اختار لها الجنة أو النار، بل أعطاني الخيار التكويني، وعلىّ أن لا أسلك طريقاً غير طريق الجنة، وينهاني كلّ النهي أن أسلك طريق النار، أليس هذا هو التكليف؟ والله لم يعطني الحقّ في نفسي، فهل يعطيني الحقّ في نفسك، وفي حقّ المجتمع الإنساني بأن

أخذ به إلى طريق النار وهو الكفر؟ لا يمكن على الإطلاق أن يقول لي الإسلام
أني أنهك أن تختار إلى نفسك طريق النار، ثم يقول لي أبيح لك أن تختار لعبادي
الآخرين طريق النار، وتجرّهم إليها من خلال إقامة كيان كافر، وإظهار الكفر،
والدعوة إلى الكفر، وبنشر الكفر والتسهيل له، ومحاربة الإيمان والصدّ عنه.

والحمد لله رب العالمين

المحاضرة الرابعة

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغوي الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم،
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآل
الطيبين الطاهرين وللعنة الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

الجهاد بين زمن الحضور والغيبة

هناك آراء في هذا الأمر، فأصل وجوبه لا شك فيه بين فقهاء الإمامية، فالقدر
المنيق من هذا الأمر وهو الجهاد الابتدائي -بغض النظر عن كونه في زمان الغيبة
أو الحضور أو بحضور الإمام- يكون بأمر الإمام أو نائبه، والإمام يسميه باسمه
وشخصه، فيقول له أمرتك على شيء الفلاني فينصبه لخوض حرب كمالك
الأشتراط، ومالك الأشتراك إنما يحكم لأنّه أمر من الإمام علیه السلام بوظيفة أو أكثر من
وظائف الإمام وهو تحت إشراف الإمام ويبقى خاضعاً باستمرار لأمر
الإمام علیه السلام.

وأما النائب العام هو ما جاء من تنصيب الفقيه المستجمع لشروط الفتوى من
إفشاء المؤمنين في شؤون دينهم ومن وظائف أخرى في إطار من الأطر التي قد
يتافق على بعضها وقد يختلف على البعض الآخر، فلم يسمى الإمام علیه السلام السيد
الخوئي نائباً ولم يسمى السيد الإمام نائباً وإنما وضع شروطاً ومواصفات، وهذا هو
التعيين العام، ويسمون بنواب عامين.

فالقدر المتقين عند الفقهاء كُلّهم هو أنَّ الجهاد الابتدائي هو بأمر الإمام أو نائبه الخاص، وأنَّه يجب على المسلمين الاستجابة له.

وأمّا المسألة على مستوى الإطار الإسلامي العام بعذابه المختلف، فيقول السيد الخوئي في كتابه "الجهاد": فلا خلاف بين المسلمين قاطبة -بعض النظر عن التفاصيل.-

والجهاد الابتدائي استدلّ عليه من الكتاب الكريم والروايات التي أخذ منها هذا الأمر، والكتاب الكريم مرّة يعبر عن المشركين بأهل الكتاب، ومرة بالشركين وهم المنكرون لله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أو ما يسمون بالوثنيين.

الجهاد الابتدائي الواجب ضدّ المشركين له غاية، وينتهي عند أمر واحد، وهو التسلیم للإسلام، فما لم يسلّم المشركون للإسلام فلا تتوقف، ولا تتوقف بدفع الجزية، وإنما الهدنة أمر آخر.

والجهاد الابتدائي كما يكون ضدّ المشركين يكون ضدّ أهل الكتاب من يهود ونصارى وصابئة، وهنا الحرب تقف بالتسليم للإسلام أو بدفع الجزية.

الجهاد في أصله هو محل إجماع الإمامية بل محل إجماع المسلمين كما يذكر السيد الخوئي رحمة الله وأجلز ثوابه وأعلى مقامه.

الجهاد الابتدائي في زمن الغيبة مختلف فيه بين الوجوب والحرمة، والمشهور فيه هو الحرمة بين الفقهاء، فلا يجوز إلا في زمن حضور الإمام وأمره أو أمر نائبه الخاص كما سلف، وهناك البعض من يقولون بالوجوب منهم السيد الخوئي -أعلى الله مقامه- (وقد استنتجو من عدد من الأقوال للفقهاء بالقول بالجواز وليس بالحرمة أو الوجوب).

والوجوب عند السيد الخوئي في زمن الغيبة وهو أنَّ الجهاد الابتدائي إنما يأتي من باب الحسبة، وأنَّه ليس من الأمور التي يفرط فيها المسلمون، ويضرّ

بالإسلام تعطيله، ولكن كيف نصل إلى جهاد من ناحية عملية على أساس الحسبة؟

يقول إذا شخصَ أهلُ الخبرة أن في الجهاد مصلحة إسلامية مع أمن الهزيمة، بحيث قدرٌ خبراء ومتخصصون في هذا المجال أن الظرف مناسب جداً لانتصار المسلمين وتحقق الهدف من الجهاد الابتدائي، فالمعطيات في الواقع العملي بأن احتمال هزيمة المسلمين وأن يخسروا المعركة احتمال ضئيل جداً، وأنه من صالح الإسلام ولا يلحق الإسلام ولا المسلمين ضرر من خوض هذه الحرب الابتدائية، فما هو دور الفقيه الجامع لشروط الفتوى في هذا الظرف؟.

إذا ترك أمر الجهاد لأكثر من طرف ولأناس غير فقهاء، وأمر الحسبة يكون بيد الفقيه، وإن لم يوجد فقيه فهو لغير الفقيه، أو أن هناك فقيهاً ولا يمكن الوصول إليه فلا يتغطرل أمر المسجد أو أمر حفظ مال اليتيم أو الإنفاق عليه، وهما مثالان من الأمور التي تدخل في الأمور الحسبية.

السيد الخوئي يختار أن يكون الأمر متروكاً للفقيه وتشخيص أهل الخبرة، بأنّ الحرب ليس فيها أذىً للإسلام والمسلمين، حتى لا يسود الهرج والمرج والفووضى بين المسلمين، ولكى لا يكون ذلك فالامر يصدر من الفقيه.

وأما البعض الآخر يرى أنّ وجوب الحرب الابتدائية متروكٌ للفقيه الجامع للشرائط إذا شخصَ الأمرَ بنفسه، أو سمع رأي أهل الخبرة، فهنا يصدر أمره بالجهاد الابتدائي.

يتوجه عدد من الكتابات إلى أنّ الحرب الابتدائية في الإسلام هو الرد على اعتداء المشركين، وسبق القول أنّ الهدف من الحرب الابتدائية في الإسلام ليس ذلك.

الجهاد وأحكامه وأدابه

- فهدف الحرب الابتدائية عند الطرف الآخر هو إنهاء القدرة على المقاومة

والقوة.

- أن لا يكون للكفر حالة ظهور وعزّة يمتلكها على الأرض.

- الدعوة إلى الإسلام قبل القتال **«أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ.....»** ، فهذا الأسلوب ومقومات هذا الأسلوب لا بدّ أن يتقدم الحرب الابتدائية، فلا بدّ من المحاولة من إقناع الطرف الآخر بالإسلام، وإن كان عنده رأي فليطيره وليناقش وإن أصرّ فلتكون الحرب.

- عدم جواز الفرار، إذا كان عدد المشركين ضعف المسلمين وصار الجيش أقل، فلا يجوز الفرار من القتال إلا متهرّفاً لقتال أو متحيّزاً لفئة، فلا يجوز الفرار للنجاة بالنفس.

- حرمة رمي السمّ في المياه أو الأرض، وهناك رأيان أحدهما الحرمة والآخر الكراهة.

- حرمة قطع الأشجار إلا مع الضرر.

- حرمة قتل النساء والصبيان والمحاجن حتى مع التذرّع بهم، إلا إذا توقف النصر على ذلك، وهذا حكم الاضطرار.

- لا يجوز التمثيل بهم.

- قتل الغدر حرام.

- عدم جواز قتل الشيخ الفاني، إلا إذا كان من أهل الرأي.

- ولا يجوز قتل البشر ولا الحيوانات وحرق الأشجار.

هناك فوارق في النظرة الأساسية للعلاقات الدولية في الإسلام بين وجهة نظر الإسلام والنظرة المادية، وهذا الأساس قائم على النظر إلى الكون وهل له سيد؟

فرأى الإسلام أن الكون له سيد ومالك وآمر وناه، ويرى أن الإنسان يجب عليه أن يأتمر بأمر الله وينتهي بنهيءه، فالإسلام يرى أن يد المسلم لا تنطلق إلا بأمر الله، وأماماً النظرة المادية المؤمن بها يرى أن يده مطلقة لأنه يرى.

فكم هو الفرق الشاسع بين هذه النظرة وبين تلك النظرة، فالنظرية الاجيابية تقيد يد الإنسان وتمنعها منعاً باتاً للاتجاه إلى الشر.

الكون عند المشرك غير هادف، والكون عند المؤمن هادف، والمشرك لا يرى أنّ بعد الحياة هدف، وكلّ أهدافه من هذه الحياة نفسها من أجل الحياة، وأماماً المسلم فإنه يرى أنّ الهدف من الحياة هو من أجل ما بعد هذه الحياة، وعدم التحرّك في أمر كبير أو صغير إلا بما يرضي الله.

إرادتي فوقها إرادة، وعليها أن تتأدب وتتوقف عمّا تقلّيه النفس ويشتكيه الهوى، وما يصل إليه اجتهادي بعيداً عن الإسلام، وأماماً المشرك فيرى أنّ إرادته حرّة، وليس فوق مشيئته مشيئه.

حقيقة الإنسان ما هي؟ وما الذي يحدد علاقات الإنسان؟ هل استبيح الظلم أم لا؟ هل أنشر الفساد أم لا؟

إذا آمنتُ بالإسلام فأنا مقيد به، وحقيقة الإنسان في الإسلام ما هي؟ هل هو قبضة طين ونفحة روح؟

أين كرامة الإنسان؟ فذاك يرى الحقيقة أن الإنسان قرد وليس من مشكل أن تقتل وتهين قرداً وأنت حر وهذا قرد، ولكن تعامله أيّ معاملة؟ فمن أيّ جانب تهتمّ به؟ من الجانب المادي والجسدي ولا تحسب أي حساب للجانب الروحي، فالقرد ليس عنده روح إنسانية.

الإنسان الذي تراه النظرة المادية بأنه قرد فهذا يشبع ويكسى حينما يكون له اهتمام وبيوبي، ولكن جانبه الروحي وتعلقه للسمو والارتباط الحقيقي بالله

عز وجل واقتباس صفات من صفات الله عز وجل والتقرب إليه وهذا الشوق للكمال والذي يشده الله عز وجل فهذا غير محسوب، لأنهم يرون أن حقيقته جسد ومادة وقبضة طين.

فحينما أنظر إلى الكافر بغض النظر عن كفره وأنظر إليه كإنسان قبل أن يكون كافراً فانظر إليه أنه جنحة من مادة وجنبة من روح، وإذا كانت العناية بالكافر من ناحية جسدية وعندي حساب الكافر من ناحية جسدية وحرمة جسده فأنا عندي حساب أكبر بحرمة إنسانيته ونفخة الروح فيه، وإذا عزّ علىَّ أن يقتل الكفار ظلماً من حكامهم عزّ علىَّ أكثر من ذلك أن يُضلّلوا روحياً وأن يُصرفوا عن الله وأن يُصدّدوا عن ذكر الله سبحانه وتعالى وتقطع علاقتهم بالله سبحانه وتعالى من حكامهم.

فأنت إن أردت أن تحارب من أجل سلام المجتمع الكافر من ناحية مادية وجسدية ومن أكل وشرب فعليك أن تحارب قبل ذلك لسلبيهم هدایتهم الفطرية وتوجههم وقدرتهم ولو بالإضلال على توجهم لله سبحانه وتعالى لأن في هذا هدر للإنسانية، وهدر للجانب الأعز والجانب الأكرم وهو الجانب الروحي فيه تضييع.

الإنسان كريم في النظرة الإيمانية على أساس ما يتمتع به من نفخة روحية أسجدت الملائكة له بأمر الله سبحانه وتعالى.

الإنسان الخاوي من الروح الذي هو عبارة عن مادة فقط، والمادة مثل الأرض ندوتها، ونستغلها قاتم الاستغلال، ونتخذها وسيلة لقضاء حاجاتنا فقط، فإذا كنت مادة فقط فشأني مثل شأن الجماد، وإن كنت ساكون أكثر سيكون شأني شأن الحيوان كوني أمتلك عواطف فمن الممكن أن تخسب عواطفك لعواطفي.

فمجتمع الإيان والقيادة الإيمانية الحقيقة يحكمها الرسالية، وأما القيادة الكافرة

التي تطلق من قيادة الكفر وكل وجودها من أجل الشهوة، وليس هناك أيّ معنى لوجودي بلا شهوات وبلا لذائذ في هذه الدنيا، وليس لدى شيء وراء هذه الحياة، فعلي أن أعبّ ما استطعت أن أعبّ من شهوات هذه الدنيا، وأن أجمع من لذائذها ما أجمّع.

الرسالية والشهوانية، منطلقان لطريقين مختلفين، ولسلوكيين مختلفين متباينتين، فالأساس عند القيادة الإيانية وقيادة المعموم هو الأساس الخلقي، وأما القيادة الكافرة كأبي جهل وصناديد قريش الذين واجهوا رسول الله ﷺ، الأساس عندهم هو الأساس المنفي والمصلحة المادية.

العلاقات الدولية المنشأ فيها عند جبهة الكفر هو منشأ رعاية المنفعة، فإن كانت المنفعة المادية تقتضي إيقاف حرب لوقف الحرب، وإن كانت المنفعة المادية تقتضي شن حرب أو استمرار حرب.

أما في القيادة الإيانية فتوقف حرب أو استمرار حرب أو شن حرب فالأساس فيها هو المنطلق الخلقي، فالأخلاق الحقيقة هنا وهي تتلقي من الفطرة والدين، بما الذي تقتضي مصلحة الأخلاق ومصلحة الإنسانية وما تقتضي المبدئية؟ هل تستمر الحرب أم تتوقف أو تشن حرب أو لا تشن حرب؟

هدف الحرب عند الحضارة المادية التي تحكم في المنظمات الدولية الكبرى، مما جاء في ميثاق الأمم المتحدة "أن الحرب أو التهديد بالحرب أمر يهم جميع الدول الأعضاء في عصبة الأمم" فأي بلد تشن حرب أو هددت بحرب فهذا الأمر يهم جميع الدول في عصبة الأمم.

وفي إعلان الأمم المتحدة "جميع الأعضاء ملزمون في علاقتهم الدولية بالامتناع عن التهديد بالقوة أو اللجوء إليها، واستخدامها ضد أي سيادة أي دولة أو استقلالها السياسي أو استخدام أي سلوك أو طريقة تتنافى ومقاصد سائر

الشعوب الأخرى" فملخص الكلام أن حرب تشنها دولة على دولة أخرى لإسقاط سيادة تلك الدولة أو إلغاء استقلالها السياسي، أو أي حرب تؤثر على الشعوب الأخرى بحيث تهز أمنها أو تتعدى عليها أو تضعفها فهو غير مقبول وعصبة الأمم وال العلاقات الدولية لا تقبل هذا الأمر ويهتم كل الدول ولا يختص بالدولة نفسها وهذا أمر من نوع في القانون الدولي، وجاء استثناء على هذه المادة وهو الدفاع.

أمر آخر وهو حفظ السلام والأمن العالمي. فوجود حرب داخلية في بلد معين أو لم تكن حرب داخلية، ولكن حاكم هذا البلد لديه سلاح كيمياوي أو ذري أو نووي والقرائن تدل على أنه ربما يستخدمه على مستوى العالم وهو يهدد السلم العالمي، فهذه المادة من القانون الدولي تبيح الحرب ضده.

نجد ما صدر من مجلس الأمن من قرار سنة ١٩٩١م للتدخل المباشر في العراق استناداً إلى مسؤولية مجلس الأمن في حفظ الأمن والسلام العالمي.

وصدر قرار أيضاً سنة ١٩٩٢م وهو يسمح لقوى الأمر الأمريكية بالتدخل في الصومال بسبب تهديد النظام الصومالي آنذاك للسلام والأمن العالميين.

طرح أخيراً على مستوىً دوليًّا ما يسمى بالتدخل للأغراض الإنسانية، فهذا يختلف عن تهديد السلام والأمن العالميين، فهذا الوضع الحاكم في بلد معين كما قد يطبق عندهم على سوريا بأن هذا الوضع فيه عدم اعتراف ب الإنسانية الإنسان، فإذا استمر هذا الأمر وهو السحق بالسلاح الكيمياوي للشعبية، فهو لم يدخل في حرب مع أحد ولم يهدد السلام العالمي، ولكن غرض الإنسانية أن لا يتنافى مع الإنسانية استعمال السلاح الفتاك بصورة شاملة تهلك الجرم والبريء.

ولكن لا يوجد نص في القانون الدولي يستثنى هذه الحالة من حرمة الحرب ضد بلد معين، فالبندان الموجودان هما الدفاع وحفظ الأمن والسلام العالميين، أما

الحالة الثالثة لا يوجد بها نص في القانون الدولي ولذلك وإن كان هذا المنطلق لكنهم يدخلون تحت حفظ السلام والأمن العالمي لعدم وجود نص في مواليف عمل الدول بالوجه الأول.

وهنا سؤال: فالإسلام يرى شن الحرب الابتدائية لحفظ أمن الشعوب من ناحية مادية ولأمن الشعوب من ناحية روحية معنوية، وأن إضلال شعب وأمة وأخذها لزاوية الكفر يخالف الأغراض الإنسانية، والوقوف بها عن السير إلى غايتها الكبرى وهو غاية كمال الإنسان باتصاله وعبادته لله عز وجل، وعن غاية نيله السعادة الأخروية، وأن يخرج من هذه الحياة ملكاً لا أن يخرج حيواناً منحطًا، فقطع هذه الغاية والوقوف في طريق الإنسان بالإضلال وانتفاخ قوة الكفر وهيمنته الظاهرة وامتلاكه من القدرة وانتشار بريقه المادي في الأرض، فهذا الذي يضل أمّة في الأرض أو الإنسانية ويعطل سيرها إلى غايتها ويفصلها عن بارئها سبحانه وتعالى، وعما فيه شرفها وكرامتها وسعادتها، أليس فيه منافاة للأغراض الإنسانية أو لا؟

الكافر يقول: إن منافاة الغرض الإنساني أن يستخدم السلاح الكيمياوي فيقضي على حياة الناس المادية، ففيه تصفيه جسدية لغير المحارب، فلماذا هذا الفرق؟

أما الثاني فيفضل وينتشر الكفر وأن يتبدّل الكفر وأن يدبر كل البشر عن الله عز وجل وأن يخرجوا من هذه الحياة أحطّ من مستوى الحيوان فلا ينافي الأغراض الإنسانية؛ لأنّه في الأصل لا يرى للروح قيمة. فعرفنا الفرق من أين في النظر!! وأن لا يرى صحة الحرب الابتدائية وحرب غير المهاجم وحرب غير المهدد، فلماذا يرى عدم صحة هذه الحرب إذا كانت من أجل حفظ الغاية الكبرى من هذه الحياة؟ وبقاء صلة الناس بالله عز وجل قوية، وأن الناس لا يعبدون

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

- (١) هذا القسم هو عبارة عن محاضرتين ألقاها سماحته في جمعية التوعية الإسلامية في البحرين بتاريخ ١١ شوال ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٠١٣-٠٨-١٩ و ٢٣ ذو القعدة ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٩-٠٩-٢٠١٣.
- (٢) سورة التوبة: ١٢٣.
- (٣) سورة النساء: ٧٤.
- (٤) سورة البقرة: ٢٤٤.
- (٥) سورة التوبة: ٢٩.
- (٦) لأنّ دينهم دين حق.
- (٧) سورة البقرة: ١٩٣.
- (٨) أي نوع من التفرد ذاك موضوع آخر.
- (٩) سورة البقرة: ٢١٧.
- (١٠) سورة الصاف: ٩.

الطواحيت وإنما يعبدون الله سبحانه وتعالى، فهو يرى عدم صحة هذه الحرب لأنّه في الأصل لا يرى الله ولا وجوداً له، ولا يرى لك قيمة من ناحية الروح، فإذا أراد أن يحترمك ويعرف عليك ويرعى مصلحتك، فمصب نظرته البدن لا غير.

أما الإسلام الذي يرى جانب الروح أكبر من جانب البدن، وأن غاية الحياة أكبر من الحياة وما الحياة إلا وسيلة لها، ويرى أن قيمة الإنسان في كمال جانبه الروحي وليس في تبذّخه المادي، ألا يعطي هذا الأولوية لجانب الروح أم لا؟

وكما يجيز لنفسه أن يشن الحرب الابتدائية لحفظ جانب البدن، ألا يجيز لنفسه أن يشن حرباً ابتدائية لحفظ جانب الروح أم لا؟ فحسب هذه النظرة فالإسلام يجيز ذلك.

- (١١) سورة النساء: ٧٥-٧٦.
(١٢) سورة آل عمران: ١٦٩.
(١٣) سورة التوبة: ٤١.
(١٤) سورة الأنفال: ٧.
(١٥) سورة الأنفال: ٨.
(١٦) سورة النساء: ٩٤.
(١٧) سورة النساء: ٩٤.
(١٨) سورة الأنفال: ٦٧.
(١٩) سورة الأنفال: ٦٧.
(٢٠) سورة الأنفال: ٦٨.
(٢١) سورة الأنفال: ٤٧.
(٢٢) سورة البقرة: ٢٥٦.
(٢٣) سورة النحل، ١٠٦.
(٢٤) سورة يومن: ٩٩.
(٢٥) سورة الحجرات: ١٤.
(٢٦) سورة الحجرات: ١٤.
(٢٧) سورة البقرة: ١٩٣.
(٢٨) فهل يستطيع الإنسان أن ينفعها عن نفسه؟ لا يستطيع، فقد تنتابه شبهة فيها، وقد يعيش حالة من القلق وحالة من الاضطراب.
(٢٩) سورة البقرة: ٢٥٧.



فاطمة الزهراء صلوات الله علیها موجودة في أرض قم

(القسم الأول)

الشيخ محمد صالح مهدى السمك

المقدمة

باسمه تعالى، لا يمكن لأي فرد حينما يريد أن يستفيد من فيض جود إنسان، أو يريد أن يجعله الواسطة له والشفيع من أجل الوصول إلى الغاية المرجوة، إلا بعد أن يعرف من يكون ذلك الشخص، وماذا يحمل من مكانة وقدرات ومقامات، لكي يتمكّن من احترام مقامه أولاً، ثم الدخول إليه من الجانب الذي يمكن أن يستجلب منه رضاه، وقبول منه ومتبعاه.

وقد أردت من هذه الكتابة أن أبين إحدى خصائص وفضائل ومقامات كريمة أهل البيت عليهم السلام -التي نحظى بشرف مجاورتها، ونقتداد

على مائدة جودها بدون انقطاع، فهي الظل الظليل والعشن^١ الذي تهوي إليه أفندة العاشقين للعلم والهدایة فتشملهم بعنایاتها الشاملة، وألطافها المنتشرة فتدفعهم بنور الولاية - ألا وهو مقام شباحتها بجدها سيدة الوجود فاطمة الزهراء عليها السلام وبيان بعض صور العلاقة بينهما، فإن هناك خصائص فريدة بين هاتين السيدتين العظيمتين ومشتركتين وأسرار قد اكتسبتها سيدة قم من أمها سيدة نساء العالمين عليها السلام ومن الصعب على قاصر قليل الجهد اكتشافها والغور في سبار معرفتها، إلا أنني أحاول بقدر ما توصلت إليه بعد بحث متواضع سريع أن أكتب بعض المشتركات الموجودة بينهما، فإن السيدة الموصومة حازت واستجمعت العديد من كمالات الزهراء عليها السلام والتي من أهمها عصمتها التي وإن كانت بمستوى دون العصمة الكاملة وكمالاتها دون كمال أمها الزهراء عليها السلام - سيدة الوجود - إلا أن ذلك في حد ذاته ينبي عن خصوصية و شأن رفيع لها لم تخزه الكثيرات من قرينهن، بل كان من شرفها العالي أن خُصّت ببعض الأوصمة التي لم تجعل لأحد دونها، كخصيصة تجلّى قبر أمها الزهراء عليها السلام في قبرها، كما هو منقول ومشهور على لسان أحد الفقهاء - والذي سيأتي بيانه -: "...جعل الله قبر السيدة فاطمة الموصومة عليها السلام موضعًا يتجلّى فيه قبر الصديقة الزهراء عليها السلام، وإن ما قدر لقبر الصديقة الزهراء عليها السلام من الجلال والعظمة والشأن - لو كان معلومًا ظاهراً - جعله الله تعالى لقبر السيدة الموصومة" ^(١).

ولا عجب في ذلك فإن البنت مرآة أمها، وهي شبيهة الزهراء وابنته من طرف ابنيها معاً الحسن والحسين، هذا الأمر الذي أكده الإمام الرضا عليه السلام في زيارتها عليها السلام حين قال: «...السلام عليك يا بنت الحسن والحسين...»، فالمعلوم أن الموصومة عليها السلام تنحدر من سلالة الحسين عليه السلام، إلا أنه يظهر معنى كونها بنت الحسن بالرجوع إلى نسب الإمام الباقر عليه السلام من جهة أمّه عليها السلام، وهي فاطمة بنت

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فتكون هذه جدة للإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، وبذلك تكون السيدة المعصومة عليها السلام بنتاً للإمام الحسن عليه السلام أيضاً من طرف الأم. وهو ما يوضح لنا النزد اليسير من مقاماتها، ومن الجهل أن نتصورها - السيدة المعصومة عليها السلام - بما هي امرأة عادية ابنة للإمام كما هو حال أولاد الأئمة وهم كثيرون وهي إحداهن، وأن لا نبدي لها ذلك الاحترام لشأنها ونصر في زيارتها، الأمر الذي يكشف عن الحرمان، وسلب التوفيق، والتقصير في معرفة مقامات الأولياء والصالحين والصالحات من أهل البيت عليهما السلام.

أم يقل الإمام المعصوم في حقها: «فإن لك شأنًا من الشأن؟»؟ أم يقل عليه السلام في صحيحة السندي: «من زارها فله الجنة؟»؟ فضلاً عن الكثير مما ورد عنها... وإن كون هذه العظيمة امرأة لا يقعد بها ذلك عن بلوغ أرفع الدرجات، و يجعلها من فضليات البشر، فشأنها في الفضل وال منزلة لا يدانيه أكثر الرجال، وهي من التاليات للمعصومين من أهل البيت عليهما السلام في الشأن وال منزلة عند الله تعالى وعنده الأئمة عليهما السلام.

أسأل الله أن يبصر قلوبنا لمعرفة الوسائل وطرق الوصول إليه، ويعفو عن زللنا وتقصيرنا، وأسأل الله العفو والمغفرة عن أي زلة أو فهم خاطئ واشتباه صدر مني في سطور هذه الكتابة، فإنه المبشر المسدد للصواب وهو على كل شيء قدير.

الشباهة الأولى: البيت الرفيع

امتازت السيدتان العظيمتان بكونهما قد ترعرعتا في ما اتصل بمنبع واحد، في بيت واحد، وأيّ بيت كان ذلك الذي هو من أسمى البيوت التي رفع الله قدرها وأعلى ذكرها، وأشار بها في كتابه ومدحها.

لقد أجاب بذلك رسول الله عليه السلام لما سُئل بعد قراءة الآية: «**فِي بُيُوتٍ أَذِنَّ**

اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ...»، أي البيوت هذه؟ فقال عليه وآله وسنه: هي بيوت الأنبياء، فقام رجل فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ - وكان يقصد بيت علي وفاطمة علیهم السلام - فأجابه الرسول عليه وآله وسنه: نعم من أفضلاها^(٢).

وفي حديث الإمام الباقر علیهم السلام في قوله عز وجل: «**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ...»** قال: «هي بيوت الأنبياء علیهم السلام وبيت علي علیهم السلام منها»^(٣).

وجاء في كلام الإمام موسى بن جعفر عن أبيه علیهم السلام في الآية المتقدمة، قوله علیهم السلام: «هي بيوت آل محمد علیهم السلام، بيت علي وفاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفر علیهم السلام»^(٤).

نعم، فإن تلك البيوت التي وصفت بالرفة والعزّة والعظمة، والشرف والكرامة، والتي نزل فيها القرآن الكريم، وهبطت فيها الملائكة هي بيوت محمد علیهم السلام وآل محمد علیهم السلام الطاهرين المكرمين، وفي تلك البقعة التي نشأت فيها فاطمة الزهراء علیهم السلام وفاضت أنفاسها الطاهرة عليها في المدينة المنورة ولدت فيها السيدة فاطمة المعصومة علیهم السلام ونشأت وترعرعت في أوساطها، وتلقت علومها وفقها فيها من قبل أساطينها، وأخذت الأخلاق والأداب من أركانها من أبيها الإمام موسى ابن جعفر علیهم السلام ومن شقيقها وخليصها الإمام الرضا علیهم السلام، حتى صارت من أفضل نساء زمانها.

ويؤيد ذلك كله بل يدل عليه ما ورد عن المعصوم في زيارة السيدة فاطمة المعصومة علیهم السلام من تأكيد إلى نسبة السيدة المعصومة إلى بيت النبوة أولاً مبتدئاً فيه بآدم عندما يقول: «السلام على آدم صفوة الله، السلام على نوحنبي الله... الخ» وصولاً في ذلك إلى بيت الإمامة بيت فاطمة وعلى فيخاطبها الإمام الرضا علیهم السلام ليعلّمنا كيف نزورها ويبين نسبتها لتلك البيوت وللزهراء علیهم السلام قائلًا: «السلام عليك يا بنت رسول الله، السلام عليك يا بنت فاطمة وخدجية، السلام عليك يا بنت

أمير المؤمنين، السلام عليك يا بنت الحسن والحسين، السلام عليك يا بنت ولي الله، السلام عليك يا أخت ولي الله، السلام عليك يا عمة ولي الله، السلام عليك يا بنت موسى بن جعفر، ورحمة الله وبركاته»^(٥).

الشباهة الثانية: الإخبار قبل الولادة

إن أخبار المعصومين عليهم السلام بقدوم شخصية محمودة لهذا العالم الدنيوي يبيّن لنا اهتمامهم بذلك الأمر، وتعظيمهم لها والتبشير بقدومها هو مما يزيد في خصائص تلك الشخصية ويرفعها الأمر الذي لم يحصل إلا للقلة القليلة من البشر، فكما كانت الأخبار متعددة في الإخبار عن قدوم السيدة الزهراء عليها السلام للدنيا فقد امتازت حفيتها السيدة المعصومة عليها السلام بذلك دون الكثير من أولاد وبنات المعصومين عليهم السلام.

فقد جاء في الأخبار أن جبرئيل بشر النبي عليه السلام بولادة الزهراء عليها السلام قبل انعقاد نطفتها في أثناء عروجه للعالم العلوي، فجاء في رواية التفاحة عن النبي عليه السلام لما فلقها فرأى فيها نوراً أدهله: «قال جبرئيل: يا محمد! ما لك لا تأكل؟ كلها ولا تخف فإن ذلك النور للمنصورة في السماء وهي في الأرض فاطمة، قلت: حسيبي جبرئيل ولم سميت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: سميت في الأرض فاطمة لأنها فطمته شيعتها من النار وفطم أعداؤها عن حبها وهي في السماء المنصورة وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَئذٍ يُفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرٍ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٦) يعني نصر فاطمة حسيبيها»^(٧).

ومنها تبشير النبي عليه السلام خديجة عليها السلام بقدوم الزهراء عليها السلام حيث روي عن المفضل ابن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عليه السلام قال لخديجة عليها السلام في ولادة الزهراء عليها السلام: «...يا خديجة! هذا جبرئيل يخبرني - أو قال: يبشرني - أنها أنتي وأنها النسلة الطاهرة الميمونة، وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلها، وسيجعل من نسلها

أنّه ويجعلهم خلفائه في أرضه بعد انقضاء وحيه...»^(٨) إلى آخر ما ورد.

وأما ما بشر به المعموم عليهما الناس في قدوم السيدة المعمومة عليها والذى كان قبل ولادتها بأكثر من نصف قرن تقريراً ليعد رتبة وشائناً من شؤونها الخاصة المرموقة، وما هو إلا إخبار من جبرائيل من الله وصل إليه المعموم من أسرار خزانات الإمامة، فقد روى عن الإمام الصادق عليهما ضمن حديث قال: «إن لنا حرماً وهو بلدة قم، وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمى: فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنة، يقول راوي الحديث: وكان هذا الكلام من الإمام الصادق عليهما قبل أن يولد الإمام الكاظم عليهما»^(٩).

وروى عن الإمام الصادق عليهما أيضاً في ضمن حديث آخر أنه قال: «ألا إن الله حرماً وهو مكة، ألا إن لرسول الله حرماً وهو المدينة، ألا إن لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة، ألا إن حرمي وحرم ولدي بعدي قم، ألا إن للجنة ثمانية أبواب ثلاثة منها إلى قم، تقبض فيها امرأة من ولدي اسمها: فاطمة بنت موسى، وتدخل بشفاعتها شيعتي الجنة بأجمعهم»^(١٠).

الشباهة الثالثة: خصوصية الاسم

لقد خص الله تعالى ابنة حبيبه باسم كان من أفضل الأسماء وأشرفها علواً ومنزلة والذي كان انتخابه إلهياً، لما للاسم من أهمية في تكوين الإنسان وتأثيره على روحه، ففي المروي عن ابن المسيب عن أبيه: «أن أباه جاء إلى النبي عليهما وآله، فقال: ما اسمك؟ قال: حَزَنَ. قال عليهما وآله: أنت سهل. قال: لا غير اسمًا سماه أبي. قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فيينا بعد»^(١١).

وفي الرواية عن الرسول عليهما وآله: «لا يدخل الفقر بيته في اسم: محمد، أو أحمد، أو علي، أو الحسن، أو الحسين، أو جعفر، أو طالب، أو عبدالله، أو فاطمة من النساء»^(١٢).

واسم فاطمة في اللغة: من فطم العود فطماً: قطعه، وفطم الصبي يفطمها فطماً

فهو فطيم: فصله من الرضاع، وغلام فطيم ومفطوم وفطمته أمّه، تفطمته: فصلته من رضاعها، وتسمى المرأة فاطمة وفطاماً وفطيمة^(١٣). وعن علة ذلك الاسم روي عن ابن عباس أنه قال رسول الله ﷺ: «ابنتي فاطمة، حوراء آدمية، لم تخض ولم تطمت، وإنما سماها فاطمة لأن الله فطمها ومحببها من النار»^(١٤)، أي منعها ومنع شيعتها من النار.

وكم لهذا الاسم من شأن وخصوصية عند الأئمة علیهم السلام وشيعتهم، وكم كان الأئمة علیهم السلام يولون لهذا الاسم أهمية فائقة، لا نجد لها فيسائر الأسماء عندهم. يقول السكوني: «دخلت على أبي عبد الله-جعفر الصادق- عليهما السلام وأنا مغموم مكروب، فقال لي: يا سكوني ما غمك؟ قلت: ولدت لي ابنة، فقال: يا سكوني على الأرض ثقلها، وعلى الله رزقها، تعيش في غير أجلك، وتأكل من غير رزقك، فسرى والله عني»^(١٥)، فقال: ما سميتها؟ قلت: فاطمة، قال عليهما السلام: آه، آه، ثم وضع يده على جبهته... ثم قال:- أما إذا سميتها فاطمة فلا تسبها، ولا تلعنها، ولا تضربها»^(١٦).

إن لهذا الاسم قدسيّة في نفوس أهل البيت علیهم السلام، ولذا ذكر بعض الباحثين أن جميع الأئمة علیهم السلام كانت لهم بنات بهذا الاسم، حتى أن أمير المؤمنين علیه السلام الذي كان اسم أمّه فاطمة واسم زوجته فاطمة، كان له بنت اسمها فاطمة، فيا ترى ما هو الوجه في ذلك؟ إن شيعة أهل البيت علیهم السلام يدركون تماماً خصوصية هذا الاهتمام وأبعاده ومغزاه، فإن المسميات بفاطمة من النساء كثير، إلا أنه ما إن يطلق هذا الاسم ويتناهي إلى الأسماع حتى تتبادر الأذهان إلى فاطمة بضعة النبي علیه السلام التي كانت واسطة العقد وملتقى النورين ومنشأ السلالة النبوية الشريفة والذرية الطاهرة، وتذكر ذلك يرجع النفوس إلى ما جرى على فاطمة علیها السلام من الخطوب والماسي، ويحيي مصائبها وذلك ما يرمي إليه

المعصومون عليهما السلام^(١٧).

ومن خصائص السيدة فاطمة المعصومة، هو شبهة اسمها باسم جدتها الزهراء النوراني، و اختيار السماء لها اسمًا كريًا وهو (فاطمة) و ارتضاؤه لها وهو الاسم الذي انتخب لجدتها سيدة نساء العالمين، فالمعصومة فاطمة زمانها إن صح التعبير، وهو ما يدل على علو مقامها، ورفعه شأنها، وتميزها من بين بعض أخواتها: بـنات الإمام الكاظم عليهما السلام البالغ عددهن قرابة العشرين بنتاً (على رواية) أو أقل من ذلك باسم فاطمة، فهي أكبر الفواطم الأربع من بـنات موسى بن جعفر عليهما السلام، وأولى من حازت ذلك الاسم.

ولعل لـسائل يـسأل: كيف يكون الله هو الذي اختار للـسيدة المعصومة عليهما السلام فاطمة، مع أن خـبر السماء لا يصل إلى الأرض إلا عن طريق الوحي وبـواسطة جـبرائيل الذي انقطعت أخـباره بعد استشهاد الرسـول عليهما السلام؟ والـجواب: هو أن الوـحي قد نـزل على النبي الخـاتم عليهما السلام بما نـزل، وهـبط عليهـ جـبرائيل بما هـبط، ومن جـملة ما هـبط به و نـزل عليهـ هو اسم فاطمة المعصومة بـنت الإمام موسـى بن جـعـفر عليهما السلام، وقد أودـع النبي عليهما السلام كل علمـه و خـزانـة أسرارـ الوـحي وـبـها فيهـ اسم السـيدة إلىـ وـصـيهـ أمـير المؤـمنـين عليهما السلام، وأـودـع أمـير المؤـمنـين عليهما السلام ذلك إلىـ الإمام الحـسن المجـتبـي عليهما السلام وهـكـذا حتـى وـصلـت تلكـ الخـزـائنـ وـالـعـلـومـ إلىـ الإمام مـوسـى بن جـعـفر عليهما السلام فـسـمـاـهاـ بـهـ مـاـ ولـدتـ عليهـ لهـ^(١٨)، فـكانـ اسمـ فـاطـمـةـ قدـ أـهـدـاهـ هـاـ الـبـارـيـ وـمـنـحـهـ إـيـاهـ، وـفيـ ذـلـكـ أـسـرـارـ وـحـكـمـ.

الـشـبـاهـةـ الـرـابـعـةـ: الـأـلـقـابـ

امتـازـتـ السـيـدةـ المـعـصـومـةـ بـعـدـةـ أـلـقـابـ عـالـيـةـ الشـائـرـ تـظـهـرـ مـكـانـتـهاـ وـعلـوـ شـانـهاـ وـتـبـيـنـ خـصـائـصـهاـ الـتـيـ شـاهـتـ فـيـهاـ جـدـتهاـ الزـهـراءـ عليهـ وـورـثـتـ مـنـهاـ طـبـاعـهاـ، فـإـنـ مـعـظـمـ تـلـكـ الـأـلـقـابـ مـاـ هـيـ إـلـاـ أـلـقـابـ جـدـتهاـ فـيـ الأـصـلـ، وـقدـ ذـكـرـ الـعـلـامـ الـمـتـبعـ

أ- الصَّدِيقَةُ:

الصَّدِيقَةُ: لقب شريف عظيم مدح الله تبارك وتعالى به مريم عليها السلام في القرآن الجيد فقال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرِيمٍ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلُانِ الْطَّعَامَ اتَّظَرُ كَيْفَ تُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَتَى يُؤْفَكُونَ﴾^(٢٠)، ولقب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فاطمة الطاهرة بـ"الصَّدِيقَةُ الكَبِيرَى" فقال عليه السلام: «وَهِيَ الصَّدِيقَةُ الْكَبِيرَى وَعَلَى مَعْرِفَتِهَا دَارَتِ الْقَرْوَنُ الْأُولَى»^(٢١) وهذا مما ميّزها على مريم. والصَّدِيقَ على وزن فعيل من أبنية المبالغة كما يقال: وهو كثير الصدق، والصدق نقىض الكذب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانًا صِدْقٍ فِي الْأَخْرِيَنَ﴾^(٢٢) خصائص السيدة المعصومة عليها السلام فوزها بلقب الصَّدِيقَةُ الذي جاء التصرّح به في الزيارة الثالثة التي تزار بها وقد جئت الزيارة في كتاب زبدة التصانيف^(٢٤). فهي الصَّدِيقَةُ في أقوالها وأفعالها وجهادها وعبادتها وتضحياتها.

ب- الْمَحْدُثَةُ:

من خصائص السيدة المعصومة عليها السلام هي كونها محدثة - بشدّة الدال

الشيخ علي أكبر مهدي پور^(١٩) أن لفاطمة المعصومة عليها السلام عدة أسماء وألقاب غير الألقاب المشهورة لها - الفاطمة والمعصومة وكرية أهل البيت عليهم السلام - وردت في عدة من المصادر، وهذه الألقاب هي: ١- الطاهرة، ٢- الحميد، ٣- البرة، ٤- الرشيدة، ٥- التقية، ٦- النقية، ٧- الرضية، ٨- المرضية، ٩- السيدة، ١٠- أخت الرضا، ١١- الصديقة، ١٢- سيدة نساء العالمين.

وسواء ثبتت تلك الألقاب أم لم تثبت فإن من الواضح انطباق ما تضمنته هذه الألقاب من معان ودلائل على هذه السيدة الجليلة إذا قارنا ذلك بما نزل في شأنها من فضل ومكانة عالية. وسوف نتعرض هنا إلى بعض تلك الألقاب بشكل موجز لنبيان وجه الشبه منها بجدتها الزهراء عليها السلام:

وكسرها - عالمة، وراوية معتبرة للحديث، وحديثها من حيث تقسيم الحديث في علم الدرایة والرجال إلى الصحيح والموثق، والضعيف والحسن - يمتاز بالدرجة الأولى من الصحة وفي أعلى مراتبها، ولذلك اعتمد عليها العامة والخاصة، ورووها في كتبهم الحديبية.

والراوي الصادق جليل عند الله وعند أوليائه، عظيم النفع للعباد والبلاد، كما أن رواية الحديث بالأمانة والصدق هو شرف كبير ومقام رفيع لا يناله إلا ذو حظ عظيم، وجاه عريض.

ومما نالها شرفاً أنها تنقل وتروي أحاديث جدتها الزهراء عليها السلام، وأوصلتها لأجيال الشيعة عبر الفواثم العلويات من بنات الزهراء، وفي ما يلي بعض النماذج على ذلك:

حديث الغدير: جاء في كتاب (الغدير) للعلامة الأميني تحت عنوان: (احتجاج الصديقة فاطمة عليها السلام) حديث مسلسل عن كتاب (أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام) للمقرئ الشافعي، وقد جاء فيه:

١- حدثتنا (فاطمة-أي المعصومة-) وزينب وأم كلثوم بنت موسى بن جعفر عليه السلام.

٢- قلن: حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

٣- قالت حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي عليه السلام.

٤- قالت: حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين عليه السلام.

٥- قالت: حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي عليه السلام.

٦- عن أم كلثوم بنت فاطمة بنت النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه.

٧- عن فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قالت: «أنسيتم قول رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يوم

غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ وقوله صلوات الله عليه وآله وسلامه: أنت مني بمنزلة هارون من

موسى»^(٢٥).

ويسمى هذا الحديث مسلسلاً، لأن كل واحدة من الفواثم تروي عن فاطمة أخرى، وكل واحدة منهن ابنة آخر تروي عن عمتها.

حديث شهادة المحبين: وجاء في موسوعة عوالم العلوم للشيخ المتبحر عبد الله نور الدين البحرياني (المدفون بأصفهان) حديث مسلسل في بيان بعض فضائل مودة أهل البيت عليهم السلام ومحبتهم، ومما جاء فيه:

عن فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام عن فاطمة بنت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن فاطمة بنت البارقي محمد بن علي عليهما السلام، عن فاطمة بنت السجاد علي بن الحسين عليهما السلام، عن فاطمة بنت أبي عبد الله الحسين عليهما السلام، عن زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام، عن فاطمة بنت رسول الله عليه وآله وسلام قالت: «قال رسول الله عليه وآله وسلام: ألا من مات على حب آل محمد مات شهيداً»^(٢٦).

نعم هي المحدثة والناقلة لحديث جدتها الزهراء سلام الله عليها، فتكون الاثنين محدثتان^(٢٧) ناقلتين لحديث الرسول عليه وآله وسلام وما أعظم ذلك من منزلة.

ج- سيدة نساء العالمين:

واختصت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام بتأهلها لحمل الوسام العظيم وللقب الكريم لقب سيدة نساء العالمين وذلك بحسب ما جاء في زيارتها فيزيارة الثالثة التي تزار بها بناء على ثبوتها وصحّتها، وقد ذكرها المولى حيدر الخوانساري في زبدة التصانيف^(٢٨) مما ينبي عن عظيم منزلتها.

فلقد حملت هذا اللقب العظيم السيدة مريم قبلها، وكانت سيدة نساء عالمها، وحملته هي ولعله لكونها سيدة نساء عالمها وزمانها فلم يكن في زمانها أفضل منها من النساء وهي كبرى أخواتها، وحملته جدتها الصديقة الكبرى والمعصومة العظمى السيدة الزهراء عليها السلام وكانت سيدة نساء العالمين عليها السلام من الأولين والآخرين

وأعظم نساء أهل العالم على الإطلاق ففي الحديث عن المفضل بن عمر قال: «قلت لأبي عبد الله - جعفر الصادق عليه السلام - أخبرني عن قول رسول الله عليه وآله في فاطمة عليه السلام: إنها سيدة نساء العالمين، أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال الإمام عليه السلام: ذاك لمريم عليه السلام كانت سيدة نساء عالمها، وفاطمة عليه السلام سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين» .^(٢٩)

د- التقية:

التقية: هو من أشرف ألقاب أم الأئمة الأطهار السيدة الزهراء عليها السلام، مشتق من وقى يقى وتقواه وتقية، والمعنى وقاية، قال الطبرسي رضي الله عنه: "المتقى من أطاع الله ولم يعصه، وشكر نعمته ولم يكفرها، وذكر الله ولم ينسه، وهو المروي عن الصادق عليه السلام" .^(٣٠) وذكر المفسرون وعلماء الأخلاق معان ومراتب للتقوى لا تنتهي بقى إلا بما قاله النبي عليه السلام: «اللهم اجعلنا من أهل التقوى والمغفرة»، وقد ذكرت تمام مراتب التقوى في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .^(٣١)

ومن اتصف بهذه الصفات فهو تقي إن كان رجلا، وتقية إن كانت امرأة، والمعنى واحد فيهما، ومنه يلاحظ القارئ المتأمل أن الزهراء لم تلقب بالتقية النقية لمجرد التلقيب والاستهان بها هذا اللقب، وإنما كانت هي كلمة التقوى، وليس في نساء العالمين امرأة مثلها في الخوف والخشية والطاعة والامتثال، وأهل الحق والأولاء يزورونها بهذه الصفة ويعرفون أنها حقيقة التقوى وقامها^(٣٢).

وامتازت السيدة المعصومة عليها السلام بكونها تقية ورعة، وهي التي وصلت إلى التقوى بسيرها على منهاج جدتها الزهراء عليها السلام سيدة التقوى، وهو الذي جاء في فقرة من فقرات زيارتها الثانية المروية بإسناد صحيح وفي كتب معتبرة حسب ادعاء العلامة الشيخ محمد علي بن حسن كاتوزيان في كتابه أنوار المشععين^(٣٣).

فكانت أخت الرضا عليها السلام هي التقية المتقدمة الورعة وسيدة المتقيات في زمانها، وهو ما جعلها ذات شأن من الشأن كما بين الإمام والذى لا يصل إليه فعلاً إلا المتقوون.

هـ- التقية:

النقية: من النقاء والنقاوة، أفضل ما انتقىت من الشيء، تقول: نقي الشيء ينقى نقاوة ونقأ فهو نقي: أي نظيف، وانتقاء الشيء أي اختياره. وكانت السيدة المعصومة هي النقية كما جاء في زيارتها الثانية التي تزار بها، فهي التي انتقاها الله من بين خلقه وفضّلها على نساء زمانها بعد أن فضل الله أمها الزهراء عليها السلام ونقّاها على كل النساء بدءاً وختماً، وكانت الأم سيدة نساء أهل العالم من أوّلهم إلى آخرهم، وكانت البنت سيدة نساء عالمها وزمانها التي عاشت فيه.

وـ الرضية المرضية:

وهي من ألقاب السيدة الزهراء عليها السلام المذكورة على لسان العلماء في بعض زياراتها^(٣٤)، والتي تنبئ عن رضا الله عنها ورضاه عنها، وهذا اللقب غاية في تمجيد فاطمة الصديقة الطاهرة عليها السلام، التي ظهرت فيها صفة الرضا ونزل في رضاها قوله: ﴿وَكَسُوفٌ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

ذكر في بعض كتب اللغة في تأويل قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا﴾ إن الله رضي عنهم أفعالهم ورضوا عنه ما أجازهم به وأرضاه أي أعطاهم ما يرضي به، وترضاهم أي طلب رضاهم.

ونالت ذلك الوسام سيدتنا المعصومة كما جاء ذكره فيزيارة الثانية التي تزار بها. فهي الرضية الخالصة من السخط والتي رضي الله عنها أفعالها، ورضيت عنه ما أجازها به، وهي التي أرضاه الله بها وهبها من محسن ومكارم، وهي التي ترضاه الله أي طلب رضاها في منحها مقام الشفاعة.

ز - السيدة:

السيدة من الألقاب المباركة للسيدة الصديقة الكبرى عائشة، وهو لقب جامع للمكارم والhammad الحميـدة والمعانـي العديدة. والـسيـد: يعني الـرب والـمالـك والـشـرـيف والـقـاضـي والـكـريـم، الـحـلـيم، الرـئـيس، الـمـقـدـم، الـمـطـاعـ في قـوـمهـ، الـصـابـرـ، الـمـتـحـمـلـ أـذـيـةـ الـقـوـمـ، وـهـوـ مـشـتـقـ مـنـ (ـسـادـ يـسـودـ سـيـادـةـ وـأـسـادـ وـسـيـاـيدـ مـنـ غـيرـ قـيـاسـ) وـوـصـفـ يـحـيـيـ عـائـشـةـ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣٥) أي مطاعاً ومقدماً على الناس، وروي عن الصادق عائشة: «الـسـيـدـ مـنـ كـانـ مـعـ الـحـقـ صـدـقاـ، وـبـاـيـنـ الـخـلـقـ وـصـفـاـ».

وكانت فاطمة عليها السلام مالكة، شريفة، فاضلة، كريمة، صابرة، حليمة، مطاعة، مقدسة، سيدة نساء الأولين والآخرين، وبهذه الصفات سادت وفاقت الجميع. ونالت شرف هذا الوسام المبارك بحق مرأتها في قم المقدسة السيدة المعصومة عليها السلام، والذي جاء في زيارتها الثانية التي تزار بها.

التصريح بذلك اللقب في حقها، مما ينبئ عن عظيم مكانتها العالمية، فهي التي
فاقت الكثير في العلم والمعرفة التي أوصلتها للعصمة، وهي السخية الكريمة (كرية
أهل البيت عليهما السلام) الملكة الرئيسة الشريفة الرفيعة، وهي التي أنفقت مالها في سبيل
زيارة شقيقها الرضا عليه السلام وعانت من أجل ذلك، وهي المقهورة من قبل المؤمنون
العباسي وعملائه، الملائكة بحلمها التي لم تتجاhe أعدائها بالمثل.

الطاهرة - ح

الظاهرة من الأسماء الجميلة التي تدل على معنى يصبو إليه كل مؤمن هو الطهارة الباطنية والظاهرية، حيث سميت به فاطمة عائشة كما صرّح بها العلماء، وقد دلت عدة روایات مهمة في هذا الباب على مقدار طهارتها عائشة هذا بالإضافة إلى الشواهد الأخرى التي أيدت هذه المسألة لها عائشة من طرق من أهل بيته

وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، بل هي المور الذي يدور عليه أهل البيت عليهم السلام، وأفضل دليل على طهارتها هو آية التطهير، فهي عليهم السلام مطهرة نقية مبرأة من كل الأرجاس الظاهرية والباطنية وإليك بعض الأحاديث والشواهد التي تدل على أنها طاهرة سواء الطهارة الظاهرة أو الباطنية.

فلقد ورد عن أبي جعفر - الإمام الباقر عليه السلام -، عن آبائه عليهم السلام، قال: «إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ بْنَتُ حَمْدَةَ عَلَيْهِ وَاللَّهُ تَعَالَى "الطَّاهِرَةُ" لطهارتها من كل دنس، وطهارتها من كل رث، وما رأَتْ قط يوماً حمراء ولا نفاساً»^(٣٦). وعن الصادق عليه السلام قال : «إِنَّ اللَّهَ حَرَمَ النِّسَاءَ عَلَيْهِ وَاللَّهُ تَعَالَى مَا دَامَتْ فَاطِمَةَ عَلَيْهِ حَيَةً، لَأَنَّهَا طَاهِرَةٌ لَا تُخِيْضُ»^(٣٧) ومع ملاحظة ما جاء في وصيتها عليها السلام قبل الوفاة وعدم لزوم تغسيلها، يتضح جلياً بأنها كانت طاهرة ميمونة في حياتها وبعد مماتها، ولم يحدث الموت فيها رجاسة ولا دناسة. والسيدة المعصومة عليها السلام بسم روحها وصفاء سريرتها وشدة حصنها وتقوتها نالت هذا اللقب متأسية بأمها الزهراء سلام الله عليها وذلك كما جاء في فصول زيارتها الثانية التي تزار بها.

الشباهة الخامسة: التشابه الخلقي

عقدت نطفة الزهراء من تفاحة أكلها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه من تفاح الجنة لما عُرِجَ به إلى السماء، فكانت بصورة خلقية وخلقية في غاية الجمال، وعليه كان التشابه الخلقي والجمال والهيبة بائناً ومذكوراً في بعض أبناءها من بني هاشم.

فكانـت الزهراء عليها السلام مثلاً - تشبه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في الصفة والشكل والحياة، جاء عن أنس بن مالك، قال: «قلت لأمي: صفي لي فاطمة عليها السلام». فقالت: كانت أشبه الناس برسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود يتغفر ^(٣٩) لها، كأنها القمر ليلة القدر، وكأنها شمس قرنت ^(٤٠) «عماماً»^(٤١).

وروي عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا

شَاءَ رَبُّكَ» إِنَّهُ قَالَ: «صُورَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي ظَهَرِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى صُورَةِ مُحَمَّدٍ، فَكَانَ عَلَيْ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَشْبَهُ النَّاسَ بِرَسُولِ اللَّهِ، وَكَانَ الْحُسَينُ بْنُ عَلَيْ أَشْبَهُ النَّاسَ بِفَاطِمَةَ، وَكَتَ أَنَا أَشْبَهُ النَّاسَ بِخَدِيجَةَ الْكَبِيرِ».^(٤٢)

وَذَكَرَ أَنَّ عَلَيَّاً الْأَكْبَرَ بْنَ الْحُسَينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشْبَهَ النَّاسَ بِصُورَةِ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْقَائِمِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشْبَهُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ، يَقُولُ الْإِمامُ الْعَسْكَرِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ابْنِهِ: «...الْخَلْفُ مِنْ بَعْدِي، أَشْبَهُ النَّاسَ بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلْقًا وَخُلْقًا...».^(٤٣)

وَيُذَكَّرُ الْبَعْضُ بِأَنَّ السَّيْدَةَ الْمَعْصُومَةَ شَابَهَتِ الزَّهْرَاءَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ فِي الْخَلْقِ وَحْدَهُ، بَلْ فِي الْخَلْقِ وَالْحَيَاةِ أَيْضًا، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْغَرِيبِ الْمُسْتَبْدُدُ بِاحْتِمَالِهِ، فَإِنَّ الْكَثِيرَ مِنْ أَبْنَاءِ هَذِهِ السَّلَالَةِ كَانَ التَّشَابِهُ الْخَلْقِيُّ مُوجُودًا عَلَى مَحْيَاهُمْ، وَلَكُونُ السَّيْدَةَ الْمَعْصُومَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنْتَسِبُ لِجَدِّهَا مِنْ طَرِفِ ابْنِيهَا مَعًا كَمَا تَقْدِيمُ، فَإِنْ قِيلَ إِنَّهُ يُوجَدُ بَعْدُ نَسْبِيًّا بَيْنَ الزَّهْرَاءِ وَالْمَعْصُومَةِ بِتَعْدُدِ الْوَسَائِطِ فَهُنَّاكَ بَعْضُ الْهَوَاشِمِ هُمْ بَعِيدُوا الْوَسَائِطَ ذَكَرُوا بِشَبَابِهِمْ بِالرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَثَلًاً كَالْإِمَامِ الْحَجَّةِ وَإِسْحَاقَ بْنَ الْصَادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْرِهِ، إِضَافَةً إِلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْيَوْمَ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ.

وَمَا قَالَهُ آيَةُ اللَّهِ الْعَظِيمِ السَّيِّدِ شَهَابِ الدِّينِ الْمَرْعُوشِيِّ قَيْدًا مُتَحَدِّثًا عَنْ بَعْضِ خَوَاطِرِهِ السَّالِفَةِ هُوَ مَا يَلِي: «فِي الْأَيَّامِ الْأُولَى مِنْ هِجْرَتِي إِلَى قَمِ الْمَقْدَسَةِ وَاسْتِقْرَارِي فِيهَا -وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ شَبَابِي وَمُسْتَقْبَلِي عمرِي-، أَصْبَحْتُ فِي ضَائِقَةِ مِنَ الْمَالِ، وَصَعُوبَةِ مِنَ الْعِيشِ، حِيثُ لَمْ أَسْتَطِعْ مِنْ الْقِيَامِ بِأَمْرِيِّ الْمَعَاشِ، وَلَا مِنْ تَهْيَّأَةِ جَهَازِ عَرْسِ ابْنِي الَّتِي كَانَتْ عَلَى مُشارِفِ الزَّفَافِ، حَتَّى أَبْعَثَهَا إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا. عَلَى أَثْرِ ذَلِكَ تَوَجَّهَتْ إِلَى رَوْضَةِ عُمْتِي السَّيِّدَةِ فَاطِمَةِ الْمَعْصُومَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَكَوَتْ اللَّهُ حَالِي، وَمَا أَعْانَيْهِ فِي جَوَارِهَا مِنْ ضيقِ الْمَعَاشِ، وَعَدْمِ تَمْكِينِي مِنْ تَهْيَّأَةِ جَهَازِ ابْنِي الْمُخْطُوبَةِ وَإِرْسَالِهَا إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا، ثُمَّ رَجَعَتْ مُنْكَسِرَةَ الْقَلْبِ إِلَى الْبَيْتِ.

وَمَا إِنْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ وَحَاوَلَتِ الْاِسْتِرَاحَةَ فِيهِ إِلَّا وَأَصْبَحَتْ فِي حَالَةِ مَكَاشِفَةٍ وَصَرَتْ

أسمع طرق الباب، فأسرعت نحو الباب وفتحته فإذا ب الرجل يقول: إن السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام تدعوك، فاتجهت مسرعاً نحو الروضة المباركة، فلما وصلت إلى الصحن القديم رأيت عدة جواري يشتغلن بنظافة إيوان الذهب، فسألتهن قائلاً: ما الخبر؟ فقلن: السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام على وشك المجيء إلى هذا المكان، ونحن نستعد لاستقبالها والتشرّف بخدمتها.

فوقت وانتظرت قليلاً، فإذا بالسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام قد أقبلت وأنارت المكان بنور وجهها المبارك، فنظرت إليها فرأيت عمتي السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام وهي تشبه في محياتها جدتي فاطمة الزهراء عليها السلام التي قد تشرفت ثلاثة مرات بزيارتها عليها السلام في الرؤيا. عندها أسرعت نحو عمتي السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام وقبلت يدها وقبل أن أقول لها شيئاً قالت لي مبتدئة: «يا شهاب متى نسينا ذكرك ولم نكن مهتمين بأمرك، حتى أصبحت تشتكى ذلك إلينا، فإنك بأعيننا وفي همنا منذ اللحظة الأولى التي قدمت فيها إلى قم وأصبحت مجاوراً لنا» يقول السيد المرعشـي: وهنا خرجت من حالة المكافحة، وعدت إلى حالي الأولى، وندمت على ما كان مني، ولذلك التجأت فوراً إلى روضة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام المباركة، واعتذرـتـ عـما صدرـ منـيـ تجاهـهاـ سلام اللهـ عـلـيـهاـ، ثمـ إـنـهـ تـحـسـتـ بـعـدـ ذـلـكـ حـالـتـيـ الـعـيشـيـةـ، وـارـتفـعـ الضـيقـ وـالـضـنكـ عـنـيـ، وـالـحمدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ»^(٤٤).

الشـاهـةـ السـادـسـةـ كـفـاعـةـ الرـزـوجـ

لما كانت ابنة حبيبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد وصلت لمقام عال في العصمة وإلى أعلى مراتب الكمال فإيمـاـ لاـ يـكـنـهاـ أـنـ تـتزـوـجـ مـنـ أيـ شـخـصـ لاـ يـلـكـ خـاصـائـصـهاـ، لأنـ الرـجـالـ قـوـامـونـ عـلـىـ النـسـاءـ وـلـاـ يـكـنـ أـنـ يـلـيـ قـوـامـةـ الـمـعـصـومـ إـلـاـ مـعـصـومـ مـثـلـهـ، لـذـاـ اـخـتـصـتـ الصـدـيقـةـ الـزـهـراءـ عليها السلام مـنـ دـوـنـ سـائـرـ النـسـاءـ بـعـدـ وـجـودـ الـكـفـؤـ لهاـ مـنـ الرـجـالـ وـالـحـصـارـهـ فـيـ الـمـعـصـومـ وـهـوـ عـلـيـ عليها السلام، حتـىـ بـعـدـ أـنـ عـوـتـبـ

النبي ﷺ في أمر تزويج فاطمة أفصح المكتوم وقال: «لو لم يخلق الله علي بن أبي طالب ما كان لفاطمة كفو»^(٤٥) وقال ﷺ: «إنا أنا بشر مثلكم أتزوج فيكم وأزوجكم إلا فاطمة، فإن تزويجها نزل من السماء».

وتلك الخصيصة كانت للزهراء وحدها دون جميع نساء العالم، إلا أن بعض أبناء الذرية الظاهرة لأهل البيت علّيهم السلام لم يتزوجن وليس ذلك لعدم وجود الكفو في أهل زمانهن مطلقاً كالزهراء علّيها السلام وانحصره في أطراف معينة، بل لأن الظروف العصيبة التي مرت عليهن اقتضت ذلك، ومن أبرز تلك الشريفات ابنة الزهراء السيدة فاطمة المعصومة علّيها السلام، والتي قيل في أحد الأوجه القوية في عدم زواجها: أنها وللخصائص والميزات الحائزة عليها لم يتتوفر المكافئ والمناسب إليها في زمانها ولذا لم يزوجها أخوها الإمام الرضا علّيها السلام بأحد من أهل زمانه، فقد جاء أنه أوصى الإمام موسى ابن جعفر الكاظم علّيها السلام في ضمن وصيته أن يكون أمر زواج بناته بيد ابنه الإمام الرضا علّيها السلام حيث قال في ضمن الوصية: «... وإلى علي أمر نسائي دونهم -أي دون بقية أخته- ... وإن أراد رجل منهم -أي من إخوة الإمام الرضا علّيها السلام- أن يزوج اخته فليس له أن يزوجها إلا بإذنه وأمره، وأي سلطان كشفه عن شيء أو حال بيته وشيء مما ذكرت في كتابي فقد برئ من الله تعالى ومن رسوله والله ورسوله منه بريشان وعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة المقربين والنبيين والمرسلين أجمعين وجماعة المؤمنين...» ثم يؤكد على الأمر في نفس الوصية في موضع آخر فيقول: «...ولا يُزوج بناتي أحد من أخواتهن من أمهاتهن ولا سلطان ولا عم، إلا برأيه ومشورته -الإمام الرضا علّيها السلام- فإن فعلوا غير ذلك -أي قاموا بتزويجهن- فقد خالفوا الله تعالى ورسوله، وواجهدوه في ملكه، وهو -الإمام الرضا علّيها السلام- أعرف بمناكح قومه إن أراد أن يزوج زوج، وإن أراد أن يترك ترك، وقد أوصيتهم بمثل ما ذكرت في صدر كتابي هذا وأشهد الله عليهم، وليس لأحد أن يكشف وصيتي ولا ينشرها وهي على ما ذكرت وسميت فمن أساء فعليه ومن أحسن فلنفسه وما

ربك بظلام للعبيد»^(٤٦).

وللعلم فإن بنات الإمام الكاظم عليه السلام لم يتزوجن أجمع فـإن الإمام الرضا عليه السلام رحل إلى خراسان عام مائتين للهجرة، أي بعد وفاة أبيه بسبعة عشر عاماً ولم يذكر التاريخ أن إحداهن تزوجت سوى واحدة منهـنـ.

ويعلـلـ ذلك لأوجه عـدـيدة منها الوضع الأمـيـ الذي كان يعانيـهـ الإمام من السـلـطةـ العـبـاسـيةـ فقدـ يكونـ زـوـاجـ أحدـ الشـيـعـةـ بـإـحـدىـ بـنـاتـهـ كـفـيلـ بـإـزـهـاقـ روـحـهـ لـذـاـ أـوـكـلـ الـأـمـرـ إـلـىـ اـبـنـهـ إـلـيـهـ المـعـصـومـ،ـ وـمـنـهـ وـلـعـلـهـ الـأـمـرـ الـمـهـمـ وـالـأـبـرـزـ فيـ الـمـسـأـلـةـ؛ـ أـنـ إـلـيـهـ الرـضـاـ عـلـيـهـ السـلـامـ لـمـ يـزـوـجـ أـخـواـتـهـ (ـوـمـنـهـ سـيـدـتـنـاـ المـعـصـومـةـ)ـ لـعـدـمـ وـجـودـ الـكـفـؤـ هـنـ،ـ فـإـنـهـنـ وـدـائـعـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـكـرـيـاتـهـ،ـ فـيـنـبـغـيـ أـلـاـ يـتـزـوـجـنـ إـلـاـ بـؤـمـنـ تـقـيـ يـعـرـفـ مـكـانـتـهـنـ وـيـقـدـرـ مـنـزـلـتـهـنـ فـالـرـسـوـلـ عـلـيـهـ السـلـامـ يـقـوـلـ:ـ «ـاـنـكـحـوـاـ الـأـكـفـاءـ وـانـكـحـوـاـ فـيـهـمـ وـاخـتـارـوـاـ لـنـطـفـكـمـ»^(٤٧)ـ،ـ فـلـوـ زـوـجـهـنـ مـنـ غـيرـ الـأـكـفـاءـ لـمـ عـرـفـتـ مـكـانـتـهـنـ،ـ وـهـدـرـتـ حـقـوقـهـنـ،ـ وـمـاـ فـيـ ذـلـكـ مـنـ الـمـهـانـةـ وـالـإـذـلـالـ لـوـدـائـعـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ السـلـامـ،ـ وـحـاشـاـ لـإـلـيـمـ أـنـ يـفـعـلـ ذـلـكـ،ـ وـقـدـ يـكـوـنـ تـزوـيجـ بـنـاتـ إـلـيـمـ مـنـ غـيرـ الـأـكـفـاءـ عـاـمـ ضـغـطـ عـلـىـ إـلـيـمـ تـماـرسـهـ الـحـكـومـةـ الـعـبـاسـيةـ مـنـ أـجـلـ الضـغـطـ عـلـيـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـتـقيـيدـ حـرـيـتـهـ.ـ وـلـذـاـ أـوـكـلـ الـأـمـرـ عـلـىـ اـبـنـهـ مـعـلـلاـ ذـلـكـ لـكـونـهـ أـعـرـفـ بـنـاكـحـ قـوـمـهـ.

الشـاهـةـ السـابـعـةـ:ـ فـدـاهـاـ أـبـوهاـ

وـكـلـمةـ «ـفـدـاهـاـ أـبـوهاـ»ـ عـنـدـمـ تـصـدـرـ مـنـ مـعـصـومـ تـكـوـنـ لـهـ دـلـالـاتـ وـاستـنـتـاجـاتـ وـمـعـنـيـ خـاصـ،ـ فـهـوـ يـفـدـيـ اـبـنـتـهـ نـفـسـهـ وـرـوـحـهـ وـرـوـحـ الـمـعـصـومـ أـغـلـىـ ماـ فـيـ الـوـجـودـ،ـ لـمـ رـأـىـ مـنـهـاـ مـنـ عـظـيمـ خـصـالـهـ،ـ وـعـلـوـ درـجـتـهـ.ـ وـقـدـ جـاءـ أـنـ إـلـيـمـ الـكـاظـمـ عـلـيـهـ السـلـامـ قدـ قـالـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ فـيـ حـقـ اـبـنـتـهـ الـمـعـصـومـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـيـ الـقـصـةـ الـمـذـكـورـةـ الـتـيـ روـاهـ الشـيـخـ صـالـحـ اـبـنـ العـرـنـدـسـ فـيـ لـآـئـهـ،ـ وـالـتـيـ يـصـرـحـ فـيـهـاـ إـلـيـمـ قـائـلاـ ثـلـاثـ مـرـاتـ:ـ «ـفـدـاهـاـ أـبـوهاـ»ـ،ـ وـهـيـ كـالـتـالـيـ:ـ «ـأـقـبـلـ فـيـ يـوـمـ مـنـ الـأـيـامـ جـمـاعـةـ مـنـ الشـيـعـةـ إـلـىـ

المدينة المنورة، ليحظوا أولاً بزيارة إمامهم الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، وليسألوه ثانياً عن مسائل شرعية كانت لهم، ولكنهم لما أقبلوا إلى دار الإمام عليهما السلام وجدوا أن الإمام عليهما السلام مسافراً، فكتبوا مسائلهم الشرعية في كتاب وسلموه إلى السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، وفي اليوم الثاني أقبلوا إلى دار الإمام عليهما السلام ولكنهم للمرة الثانية لم يلتقطوا الإمام عليهما السلام لأنه لم يكن قد من السفر، وحيث إنهم كانوا عازمين على الرحيل طالبوا السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام بالكتاب، حتى يقدموه للإمام عليهما السلام في سفرة ثانية. وهنا لما رأت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام بأنهم قد أحسوا بخيبة مسامعهم وأمالهم، فكّرت في إسعافهم وتطييب خاطرهم، فكتبت في الرسالة أجوبة مسائلهم الشرعية وقدّمت الكتاب لهم، فلما رأوا أن مسائلهم الشرعية قد أجبت عليها فرحوا بذلك وودّعواها شاكرين لها سعيها، ورجعوا عائدين إلى بلادهم، وفي الطريق التقوا بالإمام عليهما السلام وهو عائد إلى المدينة فسلموا عليه وقصوا له قصتهم، وأخبروه عن أجوبة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام على مسائلهم الشرعية، فطلب الإمام عليهما السلام منهم أن يعرضوا عليه كتابهم، ليرى الأسئلة ويطلع على الأجوبة التي أجاب بها السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام على مسائلهم، فلما رأى عليهما السلام الأسئلة الشرعية ووقف على صحة ما أجاب به السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام على تلك المسائل أعجبه ذلك، فقال تأييداً لها وإكراماً بها: «فداها أبوها» وهو يكررها ثلاثة مرات^(٤٨).

فإن صحت تلك الحكاية فإنها بالإضافة إلى ما تبيّنه لنا من مستوىها العلمي منذ صغر سنها فإنها تبيّن كلمة عظيمة تصدر من معصوم في حقها لا يمكن أن تصدر من قبل معصوم لأي أحد من الناس عامة.

والمفت في الأمر أن نفس تلك الكلمة هي التي كان يكررها رسول الله عليهما السلام في حق ابنته الزهراء عليها السلام، فقد روي عن محمد بن قيس: «كان النبي عليهما السلام إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة فدخل عليها فأطال عندها المكث، فخرج مرة في سفره،

فصنعت فاطمة مسكتين من ورق وقلادة وقرطين، وستراً لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها عليهما السلام، فلما قدم رسول الله عليهما السلام دخل عليها فوق أصحابه على الباب لا يدرؤن يقفون أو ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج رسول الله عليهما السلام وقد عرف الغضب في وجهه، حتى جلس عند المنبر، فظننت فاطمة أنه إنما فعل ذلك رسول الله عليهما السلام لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر، فنزعـت قلادتها وقرطـيها ومسكتـيها. ونـزـعت الـسـتر فـبـعـثـت بـه إـلـى رـسـول الله عليهـما السلام، وـقـالـت لـلـرـسـول: قـل لـه: تـقـرأ عـلـيـك اـبـنـك السـلـام وـتـقـول اـجـعـل هـذـا فـي سـبـيل اللهـ. فـلـمـا أـتـاهـ قـالـ عـلـيـهـ وـأـلـهـ: فـعـلتـ، فـدـاـهـا أـبـوـهـا ثـلـاثـ مـرـاتـ، لـيـسـتـ الدـنـيـا مـنـ مـحـمـدـ وـلـاـ مـنـ آلـ مـحـمـدـ، وـلـوـ كـانـتـ الدـنـيـا تـعـدـلـ عـنـ اللهـ مـنـ الـخـيـرـ جـنـاحـ بـعـوـضـةـ مـا سـقـىـ مـنـهـ كـافـرـاـ شـرـبةـ مـاءـ، ثـمـ قـامـ فـدـخـلـ عـلـيـهـ»^(٤٩).

فاختصت هاتان الفاطمتان بتلك الكلمة العظيمة من قبل المعصوم التي فيها ما فيها من المعاني والأسرار، وتذكرنا القصة الواردة في السيدة المعصومة عندما أجبـتـ مـسـائـلـ الشـيـعـةـ كـذـلـكـ بـجـدـتـهاـ الزـهـراءـ عليهـماـ السـلامـ فيـ سـيرـتهاـ، وـالـقـيـ كـانـتـ تـجـبـيـ علىـ مـسـائـلـ نـسـاءـ أـهـلـ المـدـيـنـةـ، فـكـانـتـ الـمـعـصـومـةـ تـسـيرـ عـلـىـ خـطـىـ جـدـتـهاـ الـمـعـصـومـةـ الـكـبـرـىـ عليهـماـ السـلامـ فـيـ نـهـجـهاـ وـمـعـاـلـاتـهاـ.

الشـاهـةـ الثـامـنةـ: الـعـصـمـةـ

بلغـتـ السـيـدـةـ الزـهـراءـ عليهـماـ السـلامـ الـدـرـجـةـ الـعـالـيـةـ مـاـلـمـ تـبـلـغـهاـ اـمـرـأـ لـاـ قـبـلـهاـ وـلـاـ بـعـدـهاـ، فـإـنـ عـصـمـةـ الزـهـراءـ عليهـماـ السـلامـ مـنـ الـأـمـرـاتـ المـقـطـوعـ بـهـاـ عـنـ الـإـمـامـيـةـ لـمـاـ لـهـ مـنـ الـأـدـلـةـ وـالـبـرـاهـينـ الـعـدـيدـ الـدـامـغـةـ النـاصـّـةـ عـلـيـهـاـ كـحـدـيـثـ فـاطـمـةـ بـضـعـةـ مـنـيـ، وـغـيـرـهـ. وـيـكـفـيـنـاـ فـيـ الـمـقـامـ أـنـ ذـكـرـ حـدـيـثـاـ وـاحـدـاـ يـدـلـ عـلـىـ عـصـمـتـهاـ وـطـهـارـتـهاـ مـنـ الرـجـسـ، وـهـوـ الـذـيـ روـاهـ أـعـلـامـ الـأـئـمـةـ الـحـفـاظـ وـصـحـحـوـهـ مـاـ لـاـ بـحـالـ لـلـطـعـنـ فـيـهـ عـنـ السـيـدـةـ أـمـ سـلـمـةـ عـلـيـهـماـ السـلامـ الـقـيـ عـلـىـ يـدـهـاـ دـارـ الـحـدـيـثـ، وـفـيـ بـيـتـهـاـ نـزـلتـ آيـةـ التـطـهـيرـ فـقـدـ

أخرجه الترمذى وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاکم وصححه وابن مردویه والبیھقی فی سننه من طرق عن ام سلمة قالت: «فی بیتی نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَطْهِرُكُمْ تَطْهیرًا﴾» وفي البیت: فاطمة وعلی والحسن والحسین، فجللهم رسول الله علیه وآلہ وسلاة بکسائے کان علیه ثم قال: هؤلاء أهل بیتی فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیراً^(٥٠). وفي حديث آخر رواه بعض الرواۃ المذکورین: «قالت ام سلمة: فرفعت الكسائے لأدخل معهم، فجذبه من يدي - الرسول علیه وآلہ وسلاة - وقال: إنك على خير»^(٥١).

وجاءت السیدة المعصومة علیها السلام لتشابه الزهراء علیها السلام في تلك العظمة أيضاً، فكما كانت الزهراء علیها السلام هي المعصومة الكبرى اقترب اسم السیدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر بالعصمة، فيقال في الأعم الأغلب: فاطمة المعصومة، كما يقال ذلك عند ذكر أمها الكبرى: فاطمة الزهراء علیها السلام، وجاء هذا اللقب في روایة الرضا علیها السلام حيث قال : «من زار المعصومة بقم کمن زراني»^(٥٢).

ولتسمیة هذه السیدة بخصوص ذلك الاسم من الدلالة ما لا تخفي على أحد من أن السیدة فاطمة بنت موسى علیها السلام قد بلغت من الكمال والنزاهة والفضل مرتبة شامخة حتى اسمها الإمام علیها السلام بالمعصومة، والعصمة تعنى الحفظ والوقاية، والمعصوم هو المتنع عن جميع محارم الله تعالى، وهي لا تناهى الاختيار، فتكون مرتبة من الكمال لا تهم النفس معها بارتكاب المعصية فضلاً عن الإتيان بها مع القدرة عليها عمداً أو سهواً أو نسياناً، ولا يكون معها إخلال بواجب من الواجبات، بل ولا مخالفة الأولى كما في بعض المعصومين علیها السلام، وليس أمراً ظاهراً وإنما هي حالة خفية من حالات النفس، وقد اتفق علماؤنا على عصمة الأنبياء والأئمة علیها السلام والملائكة وبعض الأولياء، فإنهم بلغوا تلك الدرجة، وبعد ذلك ويتلوهم في ذلك الأمثل فالأمثل بمقتضى تفاوت المراتب والمقامات، وبناءً عليه

ي肯 القول بأن السيدة فاطمة المعصومة هي إحدى المعصومات وإن لم تبلغ درجة الصديقة الزهراء عليها السلام، أو أحد الأئمة عليهم السلام.

وقد بحث المتبع الشيخ علي أكبر مهدي پور، في كتابه كريمة أهل البيت عليهم السلام حول عصمتها باستيعاب، فأوجد عدة قرائن يمكن الاهتداء بها على عصمة السيدة المعصومة عليها السلام ومعناها سennifer منها هنا ما يلي مع بعض التصرف:
أولاً: ما ورد في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام من أنه قال: «من زار المعصومة بقم كمن زارني». ومن المعلوم أن الإمام عليه السلام لا يلقي الكلام جزافاً، ولا يمكن أن تصدر منه مبالغة في القول في حق شخص من الأشخاص على خلاف ذلك الحق.
ولم يكن اسم المعصومة يطلق على السيدة فاطمة في حياتها ليكون التعبير بالمعصومة عنواناً مثيراً، بل إن هذا التعبير منه عليه السلام صدر عنه بعد وفاتها عليها السلام وهو يدل على إثبات العصمة لهذه السيدة الجليلة لأنه بناء على أساس القاعدة المعروفة من أن تعليق الحكم بالوصف مشعر بالعلية، يصبح معنى الحديث هكذا: من زار المعصومة بقم كمن زارني لأنها معصومة. فإذا ثبت أن هذا الحديث صادر عنه عليه السلام فلا إشكال في دلالته على عصمتها عليها السلام.

وثانياً: بما ورد من الأحاديث الصحيحة المستفيضة الواردة في وجوب الجنة من زار قبر هذه السيدة الجليلة. وإن كان لا ملازمة بين العصمة ووجوب الجنة، ولكن لم يعهد في شأن غير المعصوم ذلك، حتى أن ثلاثة من الأئمة المعصومين عليهم السلام يؤكدون على زيارتها -وسيأتي الحديث عن ذلك-.

وثالثاً: بشفاعتها الشاملة لجميع شيعة أهل البيت عليهم السلام. نعم ذكرت الشفاعة في شأن العالم والشهيد ونحوهما، ولكن لم يرد شمول الشفاعة وسعتها بحيث تشمل الجميع إلا في حقها وحق آبائها المعصومين عليهم السلام، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «تدخل بشفاعتها شيعتنا الجنة بأجمعهم».

رابعاً: الروايات المتواترة الواردة في فضل قم وقداسة أرضها ببركة قدوم هذه السيدة الجليلة، ومن الطبيعي أن قداسة هذه المدينة إنما هي من أجل هذه السيدة الجليلة.

خامساً: التعبير عن قم بأنها حرم أهل البيت، وعش آل محمد عليهما السلام، وغيرها من التعبيرات العالية التي لم يرد لها مثيل إلا في مواطن مشاهد الأئمة علية السلام.

سادساً: الكرامات الباهرة لهذه السيدة الجليلة التي كانت تُرى على مر القرون والأزمان، والتي تميّزت بها بنحو سافر واضح للجميع.

سابعاً: التعبيرات العالية الواردة في زيارتها مثل: «فإن لك عند الله شأنًا من الشأن» وحيث إن هذه الزيارة مروية عن الإمام الرضا علية السلام، فإن هذه التعبيرات العالية الشأن لا تتناسب مع غير المعصوم.

ثامناً: إخبار الإمام الصادق علية السلام عن تشرف هذه البقعة -مدينة قم- ببعضه من ولده موسى علية السلام، وكان إخباره بذلك قبل ولادة موسى بن جعفر علية السلام، وهو يدل على مقامها العظيم، ومع هذا يؤكّد علية السلام على أن جميع الشيعة يدخلون الجنة بشفاعتها، وذلك علامة على جلاله قدرها، الأمر الذي لم نقف عليه في شأن غير المعصوم.

وعاشرأً: مجيء الإمامين الرضا والجواد علية السلام لتجهيز ودفن هذه السيدة الجليلة دليل واضح على عصمتها، وذلك لأن من معتقدات الشيعة أن جنازة المعصوم لا يتولى دفنه إلا المعصوم، فإن أمير المؤمنين علية السلام هو الذي تولى تجهيز فاطمة علية السلام مع حضور أسماء، حتى أن الإمام الصادق علية السلام رأى أن ذلك ثقل على المفضل - الذي كان يجده - فقال له علية السلام: «لا تضيقن فإنها صديقة، ولم يكن يغسلها إلا صديق، أما علمت أن مريم لم يغسلها إلا عيسى»^(٥٣). فقد ورد في أحكام غسل الميت أن الزوج أحق بتغسيل زوجته، وإن وجد المثال، وأما الولد فلا يمكنه أن يغسل

أمه في حال الاختيار مع وجود المماشل، ولكن لما كانت مريم عليها السلام معصومة فلم يكن مناص إلا أن يتولى ولدتها عيسى عليه السلام تغسيلها. ومن قوله عليه السلام: «صدّيقة» يستفاد عصمة مريم عليها السلام، وقد ورد في القرآن الكريم التعبير عنها بذلك، وهكذا تولى الإمام الرضا عليه السلام تغسيل أبيه، كما أن الإمام الحجود عليه السلام جاء من المدينة إلى خراسان، والإمام الهادي جاء من المدينة إلى بغداد، ومن قبلهما جاء الإمام زين العابدين عليه السلام من السجن لتجهيز والده في كربلاء. والملفت للنظر أن الإمام زين العابدين عليه السلام لما أراد أن يدفن أبوه الحسين عليه السلام، وعلى الأكبر عليه السلام، وأبا الفضل العباس عليه السلام، لم يطلب العون منبني أسد، بل قام بذلك بنفسه، ولكن لما أراد أن يدفن الشهداء طلب منهم أن يحفروا حفريتين وأمرهم بدن شهداءبني هاشم في واحدة، ودفن سائر الشهداء في الأخرى. وهذا بنفسه علامة على علو مرتبة و شأن علي الأكبر وأبي الفضل العباس عليه السلام في مدارج الكمال. وهكذا في تجهيز السيدة فاطمة عليها السلام، فإن حضور الإمامين الرضا والحجود عليهم السلام له معنى كبير، وهو شاهد حي على عصمة هذه السيدة الجليلة.

ومع الالتفات إلى هذه الأمور إذا ادعى شخص أن السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام نالت مرتبة من العصمة فليس فيه انحراف في القول أو مجازفة في المقال، نعم هذه المرتبة من العصمة دون مرتبة الموصومين الأربع عشر عليهم السلام، فإن أولي العزم من الأنبياء لم يبلغوا تلك المرتبة. وهناك تفاوت آخر، وهو أن العصمة في الأنبياء والأئمة أمر لازم لا بد منه، وأما العصمة في هذه الشخصيات العالية فليست بلازمة^(٥٤).

فإن لم تكن السيدة عليها السلام معصومة بالمعنى الخاص أمكننا القول بعصمتها بالمعنى العام، فإن التعبير عنها بالعصومة هو إشعار ببلوغها مرتبة عالية من الطهارة

والعفة والزراة والقدسية، فإنها من سلاله بيت العصمة وتركت على يد المعصوم، وكانت ابنة معصوم وأخت معصوم وعمة معصوم.

الهوامش:

- (١) الفاطمة المعصومة للمحقق المعلم ص ١٧٦.
- (٢) مجمع البيان ج ٧ ص ٢٥٣.
- (٣) تفسير القمي ج ٢ ص ١٠٣.
- (٤) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٣٢٦.
- (٥) البحار ج ٩٩ ص ٢٦٦ ح ٤.
- (٦) سورة الروم: ٤ - ٥.
- (٧) بحار الأنوار، ج ٤٣ ص ٤ - ٥.
- (٨) أمالى الصدقى ص ٤٧٥ ح ١ مجلس ٨٧، عنه البحار ج ٤٣ ص ٢ ح ١، والعالم ج ١١ ص ٥٥ ح ١، وروضة الوعاظين ص ١٤٣ والخرائج ج ٢ ص ٥٢٤ ح ١، والثاقب في المناقب ص ٢٨٦ ح ٢٤٥، والعدد القوية ص ٢٢٢ ح ١٥، ودلائل الإمامة ص ٧٦ ح ١٧، وقطعة منه في المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٤٠.
- (٩) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٢١٦ ح ٤١.
- (١٠) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٢٢٨ ح ٥٩.
- (١١) صحيح البخاري ج ٧ ص ١١٧.
- (١٢) الوسائل، أبواب أحكام الأولاد، الباب ٢٦، ح ١.
- (١٣) لسان العرب ج ١٠ ص ٢٨٩، مادة فطم.
- (١٤) عوالم العلوم، ج ١ ص ٦٨ ح ٢.
- (١٥) هذا من كلام السكوني أي كشف أبو عبد الله عَلَيْهِ الْكُفْرُ غم عنى.
- (١٦) الفروع من الكافي ج ٦ - كتاب العقيقة - باب حق الأولاد ص ٤٨ ح ٦.
- (١٧) الفاطمة المعصومة ص ٦٣ - ٦٢.
- (١٨) خصائص المعصومة ص ٣٦.

- (١٩) كريمة أهل البيت ص ٤٧ - ٤٨.
- (٢٠) المائدة: ٧٥.
- (٢١) البحار ج ٤٣ ص ١٠٥ ح ١٩ باب ٥.
- (٢٢) الشعراء: ٨٤.
- (٢٣) الخصائص الفاطمية للكجوري، ج ١ ص ٢١٨-٢١٩.
- (٢٤) وترجمه صاحب الذريعة بالآتي: "زبدة التصانيف: فارسي في العقائد والفروع كتاباً وسنة والقصص والتاريخ للمولى حيدر بن محمد الخوانساري أستاذ الحقائق حسين الخوانساري كتبه باسم الشاه عباس الثاني الصفوی المتوفی ١٠٧٨...". انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الآغا بزرک الطهراني، ج ١٢، ص ٢٢.
- (٢٥) الغدير ج ١ ص ١٩٦-١٩٧.
- (٢٦) عوالم العلوم ج ٢١ ص ٣٥٤.
- (٢٧) يحسن التنوية هنا أن اللقب المشهور والمعروف للزهراء علیها السلام هو الحدثة بفتح الدال، وما ذكر هنا هو بناء على كونها محدثة بكسر الدال.
- (٢٨) زبدة التصانيف ج ٦ ص ١٥٩، نقلًا من خصائص المعصومة.
- (٢٩) معاني الأخبار، ص ١٠٧ نقلًا من خصائص المعصومة.
- (٣٠) مجمع البحرين ٦ / ٤٤٨.
- (٣١) النور: ٥٢.
- (٣٢) الخصائص الفاطمية للكجوري ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٧.
- (٣٣) أنوار المشعشعين ج ١ ص ٢١١.
- (٣٤) يقول صاحب المدائق تأثیر: "وأما ما وجدت أصحابنا يذكرونـه من القول عند زيارتها علیها السلام فهو أن تقف على أحد الموضعين اللذين ذكرناهما [عند منزلها وفي الروضة]، وتقول: السلام عليك يا بنت رسول الله... السلام عليك أيتها الرضية المرضية، السلام عليك أيتها النقية النقية..." المدائق الناضرة للبحراني ج ١٧ ص ٤٢٨ - ٤٢٩.
- (٣٥) سورة آل عمران: ٣٩.
- (٣٦) البحار ج ٤٣ ص ١٦ - ١٩. مصباح الأنوار على ما في العالم: ص ٢٢٢ مخطوط.
- (٣٧) المناقب ج ٣ ص ١١٠. التهذيب ج ٧ ص ٤٧٥. بشارة المصطفى ص ٣٠٦.

- (٣٨) الأسرار الفاطمية، الشيخ المسعودي ص ٤٠٦ - ٤٠٧.
- (٣٩) يتغفر: أي كان كالغفرة لها، وهو ما يغطى به الشيء، انظر " لسان العرب - غفر - ج ٥ ص ٢٦ .
- (٤٠) قرنت: أي كأن الشمس قارت الغمام وصاحت به، انظر " لسان العرب - قرن - ج ١٣ ص ٣٣٦ .
- (٤١) دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبرى ص ١٥٠ - ١٥١ .
- (٤٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٧٠ .
- (٤٣) كمال الدين وقام النعمة للصدقى ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .
- (٤٤) عن كتاب السيدة الموصومة فرع الكوثر النابع ص ٧٦ - ٧٧ .
- (٤٥) بحار الأنوار، ج ٤٣ ص ١٠٧ .
- (٤٦) أصول الكافي ج ١ ص ٣١٦-٣١٧ وعيون أخبار الرضا عَلَيْهِ الْمَسْكُونَ ج ١ - ص ٣٣ .
- (٤٧) الكافي ج ٥ ص ٢٣٢ .
- (٤٨) عن كشف الثلائى للشيخ صالح بن العرندس المتوفى عام ٨٤٠هـ، وقد نقلها العلامة الشيخ علي أكبر مهدي پور حكاية عن أحد الفضلاء عن المرحوم السيد أحمد المستنبط صاحب كتاب القطرة، عن كتاب كشف الثلائى لابن العرندس الحلى. وذكر انه وجدها آية الله العلامة الميرجهاي في نسخة خطية في مكتبة آية الله السماوي(صاحب كتاب ابصار العين في أنصار الحسين) في النجف الأشرف.
- (٤٩) حلية الأولياء - السيد هاشم البحرياني - ج ١ - ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .
- (٥٠) الدر المنشور ج ٥ ص ١٩٨ .
- (٥١) الدر المنشور ج ٥ ص ١٩٨ .
- (٥٢) رياحين الشريعة ج ٥ ص ٣٥ .
- (٥٣) الأصول من الكافي ج ١ - كتاب الحجة - باب مولد الزهراء فاطمة عَلَيْهِ الْمَسْكُونَ الحديث ٤ ص ٤٥٩ .
- (٥٤) كربلاة أهل البيت عَلَيْهِ الْمَسْكُونَ ص ٣٦ - ٤٢ ..



تعارض الجرح والتعديل عند السنة والشيعة

الشيخ حسين فؤاد المزوق

من الأمور الواضحة التي لا يعتريها الشك أن الركون إلى روایات الراوی من عدمه مرهون بقيام طريق معتبر على توثيق الراوی أو جرحه، فإن قام الطريق المعتبر على وثاقة الراوی أمكن الاستناد إلى روایاته وإلا فلا، إلا أنه قد يتافق كثيراً تعارض الطرق المعتبرة، بأن يدل طريق معتبر ثابت النسبة إلى قائله على تعديل الراوی والآخر كذلك على جرحه، و من هنا ينبغي التنقيب عن الأسباب التي أدىت إلى حصول هذا التعارض، وبعد ذلك البحث عن الموقف الذي يتحتم علينا اتخاذه تجاه هذا التعارض.

المبحث الأول: منشأ تعارض الجرح والتعديل

المطلب الأول: منشأ تعارض الجرح والتعديل عند السنة:

اختلاف النّقاد من أهل السنة في جرح الراوي وتعديلاته ماثل للعيان وقد بلغ من الكثرة حدّاً يستحيل على العدّ والإحصاء، بل لم يسلم من شرره حتى أئمّة الجرح والتعديل أنفسهم، وهو ما أفضى إلى القول بأنه "ما من إمام إلا وطعن فيه طاعنون"^(١) فأصبحت مسألة تعارض الجرح والتعديل من السمات البارزة في علم الحديث وتصحيح الأخبار عندهم.

وهذا الاختلاف بينهم أمر متوقع بعد الالتفات إلى أن أحوال الرجال عندهم تدرك بضرب من الحدس والاجتهاد غالباً، فمن الطبيعي جداً أن يختلفوا في الوسائل التي يحكمون بها على الراوي فإن الاجتهاد مظنة الاختلاف، ويشير إلى هذا المعنى قول الحافظ المنذري: "اختلاف هؤلاء كاختلاف الفقهاء، كل ذلك يقتضيه الاجتهاد، فإن الحاكم إذا شهد عنده بجرح شخص اجتهد في أن ذلك القدر مؤثر أم لا، وكذلك المحدث إذا أراد الاحتجاج بحديث شخص ونقل إليه فيه جرح اجتهد فيه هل هو مؤثر أم لا".^(٢)

ويقول الترمذى: "وقد اختلف الأئمة من أهل العلم في تضييف الرجال، كما اختلفوا في سوى ذلك من العلم".^(٣)

وخلال في ذلك الأمير الصناعي على حسب مبناه الرافض لكون قبول أقوال النّقاد في الجرح والتعديل من باب الاجتهاد، وإنما هو من باب خبر الثقة، فأرجع منشأ التعارض إلى الاختلاف في النقل حيث قال: "قد تختلف أقوالهم، فإنه قال مالك في ابن إسحاق: إنه دجال من الدجاللة"، وقال فيه شعبة: "إنه أمير المؤمنين في الحديث"، وشعبة إمام لا كلام في ذلك، وأمامه مالك في الدين معلومة لا تحتاج إلى برهان؛ فهذا إمامان كبيران اختلفا في رجل واحد من رواة الأحاديث... فبسبب هذا

الاختلاف حصل اختلاف الأئمة في التصحيح والتضييف، المتقرعين عن اختلاف ما بلغهم من حال بعض الرواية، وكل ذلك راجع إلى الرواية لا إلى الدرایة، فهو ناشئ عن اختلاف الأخبار، فمن صحيح أو ضعف فليس عن رأي ولا استباط كما لا يخفي، بل عمل بالرواية، وكل من المصحح والمضعف مجتهد عامل برواية عدل، فعرفت: أنَّ الاختلاف في ذلك ليس مداره على الرأي!، ولا هو من أدلة أنَّ مسألة التصحيح وضده اجتهاد^(٤).

إلا أن هذا الكلام لا يمكن التسليم به عند ملاحظة حجم التعارض الواقع في أقوال أئمة الجرح والتعديل من جهة وملاحظة دينهم ومناهجهم المختلفة في طريقة جرح وتعديل الرواية، وينبغي أن يؤخذ في الحسبان أيضاً دور البعض والحسد والأهواء المذهبية والعقائدية في عملية نقد الرواية، ودورها في التسبب لهذا التعارض.

المطلب الثاني: منشأ تعارض الجرح والتعديل عند الشيعة:

مشكلة تعارض الجرح والتعديل والتوثيق والتضييف موجودة أيضاً في كتب الشيعة الإمامية، إلا أننا إذا استقرأنا المفردات التي حصل فيها التعارض سنجد أنها قليلة جداً بالقياس مع الكم الهائل من الرواية الذين اتفقت كلمة علماء الرجال في توثيقهم وتضييفهم، إضافةً إلى أن هذه الموارد التي حصل فيها التعارض غالباً إن لم نقل جلها من موارد التعارض غير المستقر التي يمكن الجمع بين الأقوال فيها حيث إن كل رجالي ينظر إلى زاوية مختلفة عن نظر الآخر، وقد أحصى هذه الموارد الشيخ حسان سويدان العاملی حين قال: "وقد سبرنا الأصول الرجالية الأربع... فلم نجد ذلك الاختلاف المعتمد به في الجرح والتعديل إلا في موارد قليلة جداً، ومع ذلك فإن هذه الموارد أو أكثرها مما لا يستقر التنافي فيها، بل نجد كل واحد يشير إلى جهة غير المشار إليها من الآخر... ولم نجد الاختلاف المزعوم أو ما

يوجهه إلا في الموارد التالية: جابر بن يزيد الجعفي، جعفر بن محمد بن مالك، الحسن بن الحسين اللؤلؤي، داود بن كثير الرقي، سالم بن مكرم، سعد بن طريف الحنظلي، سهل بن زياد، عبد الله بن محمد البلوي، عبيد الله بن أبي زيد، محمد بن خالد البرقي، محمد بن عيسى بن عبيد، ولا يخفى أن أكثر هؤلاء لم يستقر التنافي فيهم... ثم لا يخفى وقوع الخلاف بين المؤخرين في وثيقة رواة آخرين، كمحمد بن سنان، والمعلى بن خنيس وغيرهما، إلا أن الاختلاف في وثيقة هؤلاء لم ينشأ من التعارض في شهادة أو رواية أصحاب هذه الكتب، بل لوجوه أخرى مسطورة في محلها...⁽⁵⁾.

وأما سبب اختلافهم في الجرح والتعديل، فهو راجع غالباً إلى احتمال النسيان والخطأ في نفس خبر العدل، من هنا نجد القلة في معقد التعارض، وهذا لا يمتد في حسيّة التوثيق والتضييف، كما يحصل في اختلاف الأخبار المروية في الأحكام، فالكلام فيها كتعارض الأمارات بالنسبة للأحكام الشرعية.

نعم، نحن لا ننكر أنه في بعض الأحيان يكون منشأ التعارض اجتهاديًّا، ولذا في الموارد التي يعلم فيها استناد أحد أطراف التعارض إلى منشأ حديسي كرمي الراوي بالغلو مثلاً يسقط قوله عن الحجية، ويبقى قول الآخر سالماً عن المعارض فأصالة الحس جارية في حقه، كما حدث ذلك في المعلى بن خنيس الذي قال في حقه النجاشي: "ضعيف جداً"⁽⁶⁾، وعده الشيخ الطوسي من السفراء المدحدين حين قال: "ومنهم المعلى بن خنيس، وكان من قوام أبي عبد الله عليه السلام، وإنما قتله داود بن علي بسببه، وكان محموداً عنه، ومضى على منهاجه وأمره مشهور"⁽⁷⁾ وذكرت روايات صحيحة مادحة له⁽⁸⁾، يقول السيد الخوئي: "الرجل جليل القدر ومن خالصي شيعة أبي عبد الله، فإن الروايات في مدحه متضادرة، على أن جملة منها صحح كما مرّ...، ويؤكد ذلك شهادة الشيخ بأنه كان من السفراء المدحدين وأنه مضى على منهاج الصادق عليه السلام. ومع ذلك كله لا يعنى بتضييف النجاشي، وإن كان

هو خرّيت هذه الصناعة، ولعل منشأ تضعيقه -قدس الله نفسه- هو ما اشتهر من نسبة الغلو إليه...^(٩).

والكلام هو الكلام بالنسبة إلى جابر الجعفي، الذي وثقه المفيد، وضيقه جماعة ورموه بالغلو، فهنا قد جرح جابر بما لا تعویل لنا على نظر المارح فيه، لأن منشأ تضعيقه ورميه بالغلو هو تصديقه لنقل الأخبار التي لم يساعد عليها أفهم الكثرين^(١٠) في فضائل أهل البيت عليهما السلام مع أنها تعد الآن من ضروريات المذهب.

وقلة التعارض بين الجرح والتعديل في كتب الإمامية خير دليل على كون أقوال علماء الرجال في أحوال الرواية ناشئة غالباً من الحسن، وإلا لو كان اجتهادياً لرأيت كثرة الخلاف والاختلاف كما في كتب أهل السنة.

وأكثر التجريحات أو الطعون منقوله عن كتاب الضعفاء لابن الغضائري، وهذه عند من لم تصح عنده نسبة الكتاب مؤلفه كالسيد الخوئي لا يعدها معارضة، وكذلك من يرى صحة نسبة الكتاب إليه إلا أنه يرى أن جل تضعيفاته مستندة إلى اجتهاداته الشخصية في بعض الاعتقادات، فلا تصلح للمعارضة.

ومن هنا تعرف عدم ورود ما يردده الأخبارية في نفي الحاجة لعلم الرجال بسبب كثرة الاختلاف بين العلماء أنفسهم إذ لا واقع له في الخارج، يقول المحدث البحرياني: "لاضطراب كلامهم في الجرح والتعديل على وجه لا يقبل الجمع والتأنيل، فترى الواحد منهم يخالف نفسه فضلاً عن غيره. فهذا يقدم الجرح على التعديل، وهذا يقول لا يقدم إلا مع عدم إمكان الجمع، وهذا يقدم النجاشي على الشيخ، وهذا ينazuه ويطالبه بالدليل. وبالجملة: فالخائن في الفن يجزم بصحة ما ادعيناه، والبناء من أصله لما كان على غير أساس كثر الانتقاد فيه والالتباس".^(١١)

المبحث الثاني: حكم تعارض الجرح والتعديل

المطلب الأول: حكم تعارض الجرح والتعديل عند السنة:

تعارض الأقوال في الراوي تارة يمكن الجمع والتوفيق بين القولين، بحيث يكون التعارض بدويًا، وأخرى لا يمكن الجمع بينهما بالجمع العرفي بأن تكون العبارتان صريحتين فيستقر التعارض بين القولين، فالكلام فعلاً في مقامين:

المقام الأول: التعارض البدوي:

كأن يكون كل منهما واقعاً على موضوع غير الآخر، يقول محمد بن الوزير اليماني: "واعلم أن التعارض بين الجرح والتعديل إنما يكون عند الواقع في حقيقة التعارض، أما إذا أمكن معرفة ما يرفع ذلك، فلا تعارض بتاته. مثال ذلك: أن يجرح هذا بفسق قد علم وقوعه منه، ولكن علمت توبته أيضاً، والجرح قبلها. أو يجرح بسوء حفظٍ مختص بشيخ أو بطائفة والتوثيق يختص بغيرهم، أو سوء حفظ مختص بأخر عمره لقلة حفظ أو زوال عقل. وقد تختلف أحوال الناس، فكم من عدل في بعض عمره دون بعض. فإذا اطلع على التاريخ فهو مخلص حسن. وقد اطلع عليه في كثير من رجال الصحيح جرحاً بسوء الحفظ بعد الكبر، وال الصحيح روى عنهم قبل ذلك".^(١٢)

وقال المأذون البلاذري: "تقديم الجارح مشروط عند الفقهاء بأن يطلق المعدل، فإن قال المعدل: عرفت السبب الذي ذكره الجارح، لكنه تاب وحسن حالته، فإنه يقدم المعدل".^(١٣)

المقام الثاني: التعارض المستقر:

أولاً: التعارض بين عالمين فأكثر:

إذا لم يكن إزالة التعارض بين الجرح والتعديل يستقر التعارض بينهما، وفي

ترجح أحدهما على الآخر أقوال:

القول الأول: تقديم الجرح مطلقاً

أصحاب هذا القول يقدمون الجرح على التعديل مطلقاً لأن الجارح مطلع على أمر باطني قد خفي على المزكي فيقدم قوله لمزيد اطلاعه، وهذا القول نقله الخطيب عن جمهور العلماء، فقال: "اتق أهل العلم على أن من جرحة الواحد، وعدله مثل عدد من جرحة، فإن الجرح به أولى، والعلة في ذلك: أن الجارح يخبر عن أمر باطن قد علمه، وبصدق المعدل ويقول: قد علمت من حاله الظاهرة ما علمتها، وتفردت بعلم لم تعلمه من اختبار أمره. وإن بدار المعدل عن العدالة الظاهرة لا ينفي صدق قول الجارح فيما أخبر به، فوجب لذلك أن يكون الجرح أولى من التعديل... وإذا عدل جماعة رجلاً، وجرحه أقل عدداً من المعدلين، فإن الذي عليه جمهور العلماء أن الحكم للجرح والعمل به أولى"^(١٤).

وقال ابن الصلاح: "إن اجتمع في الشخص جرح وتعديل، فالجرح مقدم، لأن المعدل يخبر عمّا ظهر من حاله، والجارح يخبر عن باطن خفي على المعدل" ثم قال إن هذا القول هو "الصحيح، والذي عليه الجمهور"^(١٥).
إلا أن التسليم بهذا القول مطلقاً يلزم منه عدم الاعتداد بأغلب الرواية إن لم يكن كلامهم، من هنا يقول تاج الدين السبكي: "لو فتحنا هذا الباب، وأخذنا بتقديم الجرح على إطلاقه، لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاغون، وهلك فيه هالكون"^(١٦).

القول الثاني: التفصيل

كثير من العلماء بالرغم من تبنيهم القول الأول إلا أنهم لم يرتضوه على إطلاقه، بل ذكروا تفصيلات وضوابط في غالب الأحيان لا ترجع إلى سبب وجيه وذلك من أجل التخفيف من غلواء الاختلاف الشديد الحاصل في حال الرواية

الذي طال حتى الأئمة النقاد من العلماء، وي يكن لنا أن نذكر عدة ضوابط ذكروها في المقام:

الضابطة الأولى: تقديم خصوص الجرح المفسر

فيقدم الجرح إن كان مفسراً سواء كان التعديل المعارض بجملة باقي على إيهامه أم كان مفسراً، وإلا فيبقى على تعديل الرواية، بدعوى أنه إذا ثبت التعديل لرأي من الرواية، فلا ينبغي أن يعدل عنه إلا بحجة راجحة، والجرح الجمل ليس حجة راجحة، لما قد يعترضها من الصوارف والقرائن المانعة، قال ابن حجر: "إن كان (الجرح) غير مفسر لم يقدح فيمن ثبت عدالته" ^(١٧). وقال السخاوي: "إذا تعارضنا (أي الجرح والتعديل) من غير تقسير فالتعديل" ^(١٨). أي فيقدم التعديل. وقال الكنوي مؤكداً هذا المعنى: "الذى دلت عليه كلمات الثقة، وشهدت به جمل الإثبات: هو أنه إن وجد في شأن رأى تعديل وجح بهما: قدم التعديل. وكذا: إن وجد الجرح بهماً والتعديل مفسراً: قدم التعديل. وتقديم الجرح إنما هو إذا كان مفسراً، سواء كان التعديل بهماً أو مفسراً" ^(١٩).

وهذا هو مذهب الحنفية أيضاً، يقول التهاوي: "أم عندنا عشر الحنفية فالترجح للتعديل إذا كان الجرح غير مفسر كما لا يخفى على من طالع شرح الهدایة لابن همام وشرح البخاري للعيّني" ^(٢٠).

الضابطة الثانية: جرح المشهورين لا يعبأ به

قال تاج الدين السبكي: "العذر العذر أن تفهم أن قاعدتهم (الجرح مقدم على التعديل) على إطلاقها، بل الصواب عندنا أن من ثبت إمامته وعدالته وكثير مادحوه ومزّغوه وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبى أو غيره فإننا لا نلتفت إلى الجرح فيه، ونعمل فيه بالعدالة، إلا فلو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة؛ إذ ما من إمام إلا وقد

طعن فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون^(٢١).

الضابطة الثالثة: احتجاج الشیخین أو أحدھما بالراوی

من الأمور التي تسكوا بها للتخلص من كثرة الاختلافات بين الجارحين والمعدلين هو أنهم اعتمدوا على احتجاج الشیخین، أو أحدھما براو ما، وحكموا بتوثيقه وقبول حديثه، وإسقاط ما قيل فيه من تضیییف أو جرح من قبل علماء آخرين، مهما كان شأنهم وخطرهم، فعبرا عن ورد ذكره في الصحيحین أو أحدھما على سبيل الاحتجاج به بأنه جاز القنطرة کنایة عن اعتباره وقبوله وتوثيقه، قال ابن حجر: "كان الشیخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح: هذا جاز القنطرة، يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه، قال الشیخ أبو الفتح القشيري في مختصره: وهذا نعتقد وبه نقول، ولا نخرج عنه إلا بحجة ظاهرة، وبيان شاف يزيد في غلبة الظن على المعنى الذي قدّمناه من اتفاق الناس بعد الشیخین على تسمیة كتابیهما بالصحيحین، ومن لوازم ذلك تعديل روایتهما. قلت: فلا يقبل الطعن في أحد منهم إلا بقادح واضح"^(٢٢).

القول الثالث: تقديم التعديل إن زاد عدد المعدلين على الجارحين

فإن كان المعدلون أكثر عدداً من الجارحين، قدم التعديل على الجرح، لأن كثرتهم تقوی حاهم، وتوجب العمل بخبرهم، وقلة الجرحين تضعف خبرهم. وقد تعقب جمهور المحدثین هذا القول وخطّوه، وذلك لأن المعدلين وإن كثروا لا يخبرون بما يرد قول الجارحين، قال الخطیب موهناً لهذا القول: "وهذا خطأ وبعد" ممن توهّمها، لأجل ما ذكرناه من أن الجارحين يصدّقون المعدلين في العلم بالظاهر، ويقولون: عندنا زيادة علم لم تعلموه من باطن أمره... لأن المعدلين وإن كثروا ليسوا يخبرون عن عدم ما أخبر به الجارحون، ولو أخبروا بذلك وقالوا: نشهد أن هذا لم يقع منه، لخرجوا بذلك عن أن يكونوا أهل تعديل أو جرح، لأنها شهادة باطلة على

نفي ما يصح ويجوز وقوعه، وإن لم يعلمه ثبت ما ذكرناه^(٢٣).

القول الرابع: العمل بالمرجحات وإلا فالتوقف

إن الجرح والتعديل إذا تعارض لا يترجح أحدهما إلا برجح، وهذا القول حكاه ابن الحاجب وغيره عن ابن شعبان بن المالكية^(٢٤)، قال المأذون العراقي: "الثالث - أي من الأقوال - أن يتعارض الجرح والتعديل، فلا يرجح أحدهما إلا بمرجح، حكاه ابن الحاجب، وكلام الخطيب يقتضي نفي هذا القول... ففي هذه الصورة حكاية الإجماع على تقديم الجرح، خلاف ما حكاه ابن الحاجب"^(٢٥).

وي يكن لنا استنتاج عدّة مرجحات ذكرت في كلماتهم، منها:

- الترجيح بالأحظية: قال المأذون البليقيني "قيل: يرجح بالأحظى"^(٢٦).

- الترجيح عن هج الناقد: من الطرق التي سلكوها لتضييق دائرة الاختلافات بينهم في توثيق الرواية وتضعيفه تصنيف علماء الجرح والتعديل إلى ثلاثة أصناف:

الأول: متشدد ومتعمّت في أحکامه.

فهو متعمّت في الجرح متثبت في التعديل، يغمز الرواية بالغلطتين والثلاث، ويُيلّي بذلك حديثه. ومن هؤلاء: شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ)، ويحيى بن سعيد القطان (ت ١٩٨هـ)، ويحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ)، وأبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧هـ)، والنسائي (ت ٣٠٣هـ).

الثاني: متساهل.

مثل: أبي الحسن أحمد بن عبد الله العجلي (ت ٢٦١هـ)، وأبي عيسى الترمذى (ت ٢٧٩هـ)، وابن حبان (ت ٣٥٤هـ) والدارقطنى (ت ٣٨٥هـ) في بعض الأوقات، وأبي عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، وأبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ).

الثالث: منصف معتدل.

ومنهم: سفيان الشوري (ت ١٦١ هـ)، وعبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨ هـ)،
وابن سعد (ت ٢٣٠ هـ)، وابن المديني (ت ٢٣٤ هـ)، والإمام أحمد (ت ٢٤١ هـ)،
والبخاري (ت ٢٥٦ هـ)، وأبو زرعة الرazi (ت ٢٦٤ هـ)، وأبو داود (ت ٢٧٥ هـ)،
وابن عدي (ت ٣٦٥ هـ)، والدارقطني (ت ٣٨٥ هـ).
فينظر في أقوال الأئمة عند إرادة الحكم على الراوي.

فإذا جاء التوثيق من المتشددين، فإنه يُغضّ عليه بالنواخذ لشدة تسبّبهم في التوثيق، وإذا جاء التوثيق من المتساهلين فإنه يُنظر. هل وافقهم أحد من الأئمة الآخرين على ذلك؟.

فإن وافقهم أحد أخذ بقولهم، وإن انفرد أحدهم بذلك التوثيق فإنه لا يُسلّم له.
وأما المعتدلون المنصفون. فإنه يعتمد على أقوالهم في الحكم على الرواية جرحاً وتعديلأً ما لم يعارض توثيقهم بجرح مفسّر خال من التعنت والتشدد فإنه يقدم على التوثيق.

قال السخاوي: "وقد قسم الذهبي من تكلّم في الرجال... على ثلاثة أقسام أيضاً: قسم منهم متعنت في التوثيق مثبت في التعديل يغمز الراوي بالفلطتين والثلاث، فهذا إذا وثق شخصاً فغضّ على قوله بنواخذتك وتمسّك بتوثيقه، وإذا ضعف رجال فانظر هل وافقه غيره على تضعيقه، فإن وافقه ولم يوثق ذاك الرجل أحد من العذاق فهو ضعيف، وإن وثقه أحد فهذا هو الذي قالوا لا يقبل فيه الجرح إلا مفسّراً... وقسم منهم متسامح كالترمذى والحاكم.... وقسم معتدل كأحمد والدارقطنى وابن عدي".^(٢٧)

- تقديم قول أهل بلده من النقاد: قال المعلمى: "الراوى الذى يطعن فيه محدّثو بلده طعناً شديداً لا يزيده شاء بعض الغرباء عليه إلا وهناً، لأن ذلك يشعر بأنه كان يعتمد التخليط فيتزين لبعض الغرباء، واستقبله بأحاديث مستقيمة، فظن أن

ذلك شأنه مطلقاً، فأثنى عليه، وعرف أهل بلده حقيقة حاله^(٢٨).

وروى الخطيب البغدادي بإسناده عن حماد بن زيد أنه قال: "كان الرجل يقدم علينا من البلاد، ويدرك الرجل، ويحدث عنه، ويحسن الثناء عليه، فإذا سأنا أهل بلاده وجدناه على غير ما يقول قال: وكان يقول: بلدي الرجل أعرف بالرجل" قال الخطيب معلقاً على ذلك: "قلت: لما كان عندهم زيادة علم بخبره على ما علمه الغريب من ظاهر عدالته"^(٢٩).

ومثال الترجيح بذلك ما ورد في ترجمة أسد بن عمرو البجلي قاضي واسط، فقد ضعّفه يزيد بن هارون، وعثمان بن أبي شيبة، ووثقه محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي.

قال ابن هاشم: "ليس كلام محمد بن عبد الله بن عمار بتزكيته حجة على قول يزيد بن هارون، لأن يزيد بن هارون وعثمان بن أبي شيبة أعلم بأسد بن عمرو من ابن عمار، لأن ابن عمار موصلي، ويزيد بن هارون واسطي، وعثمان بن أبي شيبة كوفي، فهما أعلم به، ويزيد بن هارون في الطبقة العليا على ابن عمار، وقوله: لابأس به، ليس مثل قول يزيد: لا تحل الرواية عنه"^(٣٠).

ثانياً: التعارض في كلام العالم الواحد

قد يجتمع البرح والتعديل من إمام واحد من أئمة البرح والتعديل في راوٍ واحد، وقد عرف ذلك عن بعضهم كالأمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو حاتم محمد بن حبان البستي حيث يذكر هذا الأخير الراوي مرة في كتابه الثقات وأخرى في كتابه الجروحين فأحصيت هذه المفردات فبلغت ١٣٢ ترجمة، قال الذهبي في حق ابن معين: "يحيى بن معين وقد سأله عن الرجال غير واحد من الحفاظ، ومن ثم اختلف آراؤه وعباراته في بعض الرجال، كما اختلف اجتهاد الفقهاء، وصارت لهم الأقوال والوجوه، فاجتهدوا في المسائل كما اجتهد ابن معين في

الرجال^(٣١).

وفي المسألة أقوال :

القول الأول: العمل على آخر القولين

إن علم آخر القولين عمل به لأن القول المتأخر ناسخ لقوله المتقدم، وإن لم يعلم فالتوقف، وذهب إليه بدر الدين الزركشي حيث قال: "أما إذا تارضا من قائل واحد حلم أر من تعرض له- وهذا يتفق ليعيبي بن معين وغيره يروى عنه تضعيف الرجل مرة وتوثيقه أخرى ، وكذا ابن حبان يذكره في الثقات مرة ويدخله في الضعفاء أخرى. قال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في المدخل (وهذا لأنه قد يخطر على قلب المسؤول عن الرجل من حاله في الحديث وقتاً ما ينكره قلبه فيخرج جوابه على حسب الفكرة التي في قلبه ويختصر له ما يخالفه في وقت آخر فيجيب بما يعرفه في الوقت منه قال وليس ذلك بتناقض ولا إحالة ولكنه صدر عن حالين مختلفين عرض أحدهما في وقت والآخر في غيره) قلت - الكلام للزركشي:- والظاهر في هذه الحالة أنه إن ثبت تأخر أحد القولين عن الآخر فهو المعمول به وإلا وجوب التوقف كما سبق^(٣٢).

ومن ذلك قول عباس الدوري في ترجمة ثواب بن عتبة: "سمعت يحيي يقول: "شيخ صدق" فإن كُنْتُ كتَبْتُ عن أبي زكريا (يعيبي بن معين) فيه شيئاً، أنه ضعيف، فقد رجع أبو زكريا وهذا هو القول الأخير من قوله"^(٣٣).

القول الثاني: تقديم التعديل

فيقدم التعديل ويحمل الجرح على شيءٍ بعينه، ومن ذهب إلى هذا القول ابن حجر، قال في ترجمة هدبة بن خالد القيسي البصري: "قد وثقه الناس، وقرأت بخط الذهبي: قوّاه النسائي مرّة، وضعفّه أخرى. قلت: لعله ضعفه في شيءٍ خاص"^(٣٤)

قال التهاونى: "إذا اختلف قول الناقد في رجل، فضعفه مرّة وقوّاه أخرى، فالذى

يدلّ عليه صنيع الحافظ ابن حجر أن الترجيح للتعديل، ويحمل الجرح على شيء
^(٣٥)
بعينه .

القول الثالث: العمل بالمرجحات

يقول السخاوي: "فهذا قد لا يكون تناقضاً، بل نسبياً في أحدهما، أو ناشئًا عن تغير اجتهاده، وحينئذ فلا ينضبط بأمر كلي، وإن قال بعض المؤخرين إن الظاهر أن المعمول به المتأخر إن علم، ولا وجوب التوقف" ^(٣٦).

فإذا لم يكن الجمع، طلب الترجيح بين القولين بالقرائن، كان يكون بعضُ تلاميذ الإمام أكثر ملازمة له من بعض، فتقديم روايةُ الملائم على رواية غيره، كما هو الشأن في تقديم رواية عباس الدوري عن ابن معين لطول ملازمته له، ومن قرائن الترجيح أيضاً كثرة الناقلين لأحد القولين عن الإمام، وكون أحد القولين أصح إسناداً إلى ذلك الإمام من القول الآخر ^(٣٧).

القول الرابع: التوقف إلا إذا وافقه أحد النقاد على أحد قوله

قال ابن معين في ترجمة أبي قتادة الحراني في رواية الدوري عنه "ثقة"، وفي رواية المفضل بن غسان قال عنه أنه "ضعيف". قال ابن شاهين: "وهذا القول في أبي قتادة يوجب التوقف فيه حتى تقع شهادة أخرى على أحد القولين فيعمل بحسب ذلك" ^(٣٨).

المطلب الثاني: حكم تعارض الجرح والتعديل عند الشيعة:

التوسيق سواء كان خاصاً أم عاماً، قد يعارضه تضييف، وهذا التعارض تارة يكون مجرد تعارض بدوي صوري لا حقيقة له، وأخرى يكون تعارضاً مستقراً، والكلام في مقامين:

المقام الأول: التعارض البدوي:

قد يكون الظاهر بدؤاً التعارض بين أمارات التوثيق والتضييف في راوٍ معين،

إلا أنه بالتأمل يزول هذا التعارض، كما حصل في كثير من الترجم، كعلي بن أبي حمزة البطائي، فإن الشيخ الطوسي قد وثقه وقال "ولأجل ذلك عملت الطائفة بأخباره"^(٣٩)، وقال عنه علي بن الحسن بن فضال أنه "كذاب متهم"^(٤٠)، وهذا التعارض غير مستقر إذ إن كل قول منها ناظر إلى فترة زمنية معينة، فالشيخ الطوسي وثقه لكونه ثقة حين كان وكيلًا للإمام الكاظم علّي عليه السلام، إلا أنه قد أصبح من أركان الوقف طمعاً في حطام الدنيا وأصبح من أشد الخلق عداوة للإمام الرضا علّي عليه السلام، فلا إشكال في كذبه وضعفه في هذه الفترة وعليه يحمل تضعيف ابن فضال. وكذا الحال بالنسبة إلى يحيى بن أبي القاسم أبو بصير الأستدي، الذي هو أحد أصحاب الإجماع الذين أجمعوا العصابة على تصديقهم^(٤١)، وقال عنه ابن فضال أنه "كان مخلطاً"^(٤٢).

فلا تعارض ولا تنافي في المقام، فإن قول ابن فضال إنه كان مخلطاً لا ينافي التوثيق، فإن التخليط معناه أن يروي الرجل ما يعرف وينكر، فعلل بعض روایات أبي بصير كانت منكرة عند ابن فضال، فقال إنه مخلط^(٤٣)، وكون أحاديث الراوي مما يعرف وينكر لا يضر بقوة السند حيث إن هذه الأوصاف ترجع إلى الحديث لا السند^(٤٤).

وقد وقع كلام في أنه إذا أمكن الجمع بين الجرح والتعديل بحمل المطلق على المقيد، فهل يصح مثل هذا الجمع؟ يعني هل يكون هذا جماعاً عرفياً أو لا؟ كما ورد في كلام النجاشي في ترجمة محمد بن خالد البرقي أنه "ضعيف في الحديث"^(٤٥)، وقال عنه الشيخ الطوسي أنه "ثقة"^(٤٦)، فهل يمكن أن يقال بحمل تضعيف النجاشي على أنه يروي كثيراً عن الضعفاء ويعتمد المراسيل كما اشتهر عنه، فيبقى توثيق الشيخ سليماً عن المعارضة، فنخلص بنتيجة أن الرجل ثقة في نفسه من غير هذه الجهة، بشاهد جمع قاله ابن الغضائري في حقه بأن: "حديثه يعرف وينكر، ويروي عن

الضعفاء كثيراً، ويعتمد المراسيل "إِنَّمَا؟"

قد يقال بعدم صحة الجمع، لأن الشرط في ذلك هو أن يكون من كلام شخص واحد، وأما إذا كان المطلق في كلام شخص والمقييد في كلام شخص آخر فلا وجه لحمل كلام أحدهما على الآخر بحسب بحث يقال: إن مراد الأول أيضاً هو المقييد من جهة إرادة الثاني، لعدم حكم العرف بهذا الجمع، وعدم الربط بين الإرادتين.

وأما الوجه في صحة حمل المطلق في الأخبار على ما يقيدها ما ثبت أن كلام المعصومين عليهم السلام بنزلة الكلام الواحد.

ويظهر من جمع من الأعلام صحة حمل المطلق على المقييد في أقوال علماء الرجال كما في أخبار المعصومين عليهم السلام. إذ هو مقتضى الفهم العرفي^(٤٨). يقول السيد الحوئي في حق محمد بن خالد البرقي الذي تعارض فيه إطلاق توثيق الشيخ مع تضييف النجاشي له في خصوص الحديث: "إنما التضييف يرجع إلى حديثه، لأجل أن محمد بن خالد كان يروي عن الضعفاء ويعتمد على المراسيل، كما صرحت به ابن الفضائري، وحينئذ يبقى توثيق الشيخ بلا معارض"^(٤٩).

من هنا يتضح حال التعارض بين التوثيق العام مع التضييف الخاص، كما إذا قلنا بوثاقة كل من وقع في إسناد كامل الزيارات وتفسير القمي وورد تضييف من أحد الرجالين، فقد يقال بتقديم الدليل الخاص القائل بالتضييف بمعنى أن العام حجة مالم يأت دليل خاص على خلافه، إلا أن هذا الكلام في غير محله وذلك لوقوع التعارض بين الشهادتين، وكون إحدى الشهادتين بالعموم لا يقتضي إعمال قانون التخصيص، وذلك لوضوح اختصاص ذلك بالعام والخاص الواردين من شخص واحد أو من بحكمه على نحو يعلم كون المراد الجدي واحداً وغير متهافت، ولا يشمل محل الكلام الذي يكون الخاص فيه كافياً عن خطأ الشاهد

بالعموم واشتباهه، لا عن تعلق إرادة جدية بالعموم^(٥٠)، فلا مناص من الالتزام باستقرار التعارض في حق هذا الرواية فيتتساقط قوله الماجر والمعدل في حقه، فإن ابن قولويه مثلاً يلتزم بأنه لا يروي إلا عنمن كان ثقة في نظره، فيعود ذلك في الحقيقة إلى شهادة من قبل ابن قولويه بوثاقة من يروي عنه فيعارضه تضييف الرجال الآخرين.

ولذا نجد السيد الخوئي في ترجمة عمرو بن شمر ذكر أن توثيق علي بن إبراهيم القمي إياه معارض بتضييف النجاشي فالرجل مجهول الحال^(٥١)، والكلام هو الكلام قد يأتي في صالح بن الحكم النيلي الذي تعارض فيه توثيق ابن قولويه له وتضييف النجاشي^(٥٢).

المقام الثاني: التعارض المستقر:

أولاً: التعارض بين عالمين فأكثر

في المسألة أقوال كثيرة أوصلها بعضهم إلى تسعه^(٥٣)، ونكتفي هنا بذكر أهم الأقوال :

القول الأول: تقديم الجرح مطلقاً

وهو القول المشهور بين العلماء، واستدلوا عليه بأن الموثق للراوي يخبر عما يعرفه من ظاهر حاله، والجرح يخبر عما اطلع عليه من باطن خفي على الموثق، فالماجر يثبت المعصية بسبب اطلاعه عليها، وأما الموثق فلم يطلع عليها، وعدم الوجود لا يدل على عدم الوجود، فمن علم حجة على من لم يعلم.

قال الحق الحلبي: "لو اختلف الشهود في الجرح والتعديل، قال -الشيخ الطوسي-

في الخلاف: توقف الحكم، ولو قيل يعمل على الجرح كان حسناً".^(٥٤)

وقال أيضاً: "إن جرح بعض، وعدل آخرون قدّم العمل بالجرح، لأنه شهادة بزيادة لم يطلع عليها المعدل، ولأن العدالة قد يشهد بها على الظاهر، وليس كذلك

الجرح^(٥٥).

وقال العلامة: "اختلف قول الشيخ في مسألة الجرح والتعديل، إذا عدل الشاهدان وجرحه اثنان، فقال في المسوط: يقدم الجرح على التعديل، وفي الخلاف يتوقف، وابن ادريس، وابن حمزة ذهبا إلى ما قال في المسوط"^(٥٦).

وقال صاحب المعالم: "إذا تعارض الجرح والتعديل فإن أكثر الناس يقدم الجرح، لأن فيه جمعاً بينهما، إذ غاية قول المعدل أنه لم يعلم فسقاً، والجارح يقول أنا علمته، فإذا حكمنا بعدلاته كان الجارح كاذباً وإذا حكمنا بفسقه كانا صادقين والجمع مما أمكن أولى"^(٥٧).

إلا أن هذا القول يكن المناقشة فيه، لأن هذا الكلام إنما يكون مستساغاً فيما إذا فسرت العدالة بظاهر الإسلام أو حسن الظاهر، وأما إذا فسرت بالملكة فترجح الجرح حينئذ محل تأمل، فإن المعدل أيضاً يخبر عن انتصاف الرواية بتلك الملكة في نفس الأمر، لا محض عدم وجданه مرتكباً للكبائر غير مصر على الصغار، ومن هنا قال علامة الجواهر ما لفظه: "أيضاً قد اشتهر بينهم تقديم الجرح على التعديل لعدم حصول التعارض، لكون المعدل لا يعلم والجارح عالم، ومن لا يعلم ليس حجة على من علم، ولو كان من باب الملكة لكان من باب التعارض، لأن المعدل يخبر عن الملكة والأخر يخبر عن عدمها، بل عن ملكة الفسق، اللهم إلا أن أهل الملكة ينفون الحكم بمقتضاهما بمجرد وقوع الكبيرة مثلا وإن لم تذهب الملكة، فلا يكون تعارضاً بينهما، إذ قد يكون الجارح اطلع على فعل كبيرة ولا ينافي ذلك إخبار العدل بحصول الملكة، نعم لو كان الجرح بما يرفع الملكة اتجه التعارض، فتأمل جيداً"^(٥٨).

القول الثاني: يقدم الجرح إلا إذا نفي المعدل ما أثبته الجارح
بحيث لا يكن الجمع بينهما، قال العلامة الحلي: "ومع التعارض يقدم الجارح،

إلا إذا نفى المعدل ما أثبتته الجارح قطعاً فـ**فيتعارضان**^(٥٩). فيتوقف حينئذ.

وهذا ما يفهم أيضاً من الشهيد الثاني، حيث إنه قيد تقديم الجرح بصورة إمكان الجمع، وأما إذا لم يكن الجمع فيتوقف في المسألة مع عدم وجود المرجح لأحد القولين، كما لو قال الجارح: رأيته في أول الظهر من اليوم الفلاني يشرب الخمر، وقال المعدل: إني رأيته في ذلك الوقت يصلني، قال قائل^(٦٠): ولو اجتمع في واحد جرح وتعديل، فالجرح مقدم على التعديل وإن تعدد المعدل وزاد على عدد الجارح على القول الأصح، لأن المعدل مخبر عمّا ظهر من حاله، والجارح يشتمل على زيادة الاطلاع، لأنه يخبر عن باطن خفي على المعدل فإنه لا يعتبر فيه ملازمته في جميع الأحوال، فلعله ارتكب الموجب للجرح في بعض الأحوال التي فارقه فيها. هذا إذا أمكن الجمع بين الجرح والتعديل، كما ذكر. وإنّا يمكن الجمع، كما إذا شهد الجارح بقتل إنسان في وقت، فقال المعدل: رأيته بعده حياً أو يقذفه فيه، فقال المعدل: إنه كان ذلك الوقت نائماً أو ساكناً. ونحو ذلك. تعارضاً ولم يمكن التقديم، ولم يتم التعليل الذي قدم به الجارح ثمّ. وطلب الترجيح إن حصل المرجح بأن يكون أحدهما أضبط، أو أورع، أو أكثر عدداً، ونحو ذلك فيعمل بالراجح ويترك المرجوح. فإن لم يتقدّم الترجيح وجوب التوقف، للتعارض، مع استحالة الترجيح من غير مرجع^(٦١).

وذكر السيد حسن الصدر أمثلة واقعية لتطبيق هذا القول حين قال: "المشهور تقديم الجارح عند عدم إمكان الجمع بينهما، مثل قول المفيد في محمد بن سنان أنه ثقة، وقول الشيخ أنه ضعيف، فيمكن الجمع بينهما بإمكان اطلاع الشيخ على ما لم يطلع عليه المفيد، فيقدم الجارح على المعدل. وأما مثل قول ابن الفضائي في داود الرقي: إنه كان فاسد المذهب لا يلتفت إليه، وقول غيره إنه ثقة، قال فيه الصادق علّي السلام: «انزلوه مني منزلة المقادير من رسول الله علّي السلام»، فلا يمكن الجمع بينهما...".

القول الثالث: تقديم التعديل مطلقاً

قد ذكره العلامة المامقاني وصرّح بعدم وقوفه على قائله ولا على دليله^(٦٢)، وذكر أن حاصل ما يمكن أن يتصور في توجيهه أن احتمال اطلاع المارح على ما خفي على المعدل معارض باحتمال اطلاع المعدل على ما خفي على المارح من تجدد التوبة والملكة، وإذا تعارضا تساقطاً، ورجعنا إلى أصالة العدالة في المسلم.

وأشكل قيئن عليه:

أولاً: إن أصالة العدالة في المسلم ممنوعة.

ثانياً: إن هذا لا يكون من تقديم التعديل على الجرح، بل هو طرح لهما ورجوع إلى الأصل.

ثالثياً: إن قول المارح نص في ثبوت المعصية الفعلية، فلا محيص عن وروده وحكمته على الأصل الذي هو مناط التعديل.

ويكن أن يعلل لهذا القول أيضاً بكثرة التسارع إلى الجرح فيكون موهوناً بخلاف التعديل^(٦٣)، إلا أنه عليل أيضاً لشمول دليل الحجية لخبر المارح وعدم العلم بتسرّعه في هذه المفردة، فالقتضي موجود لقبول جرمه والمانع مفقود.

القول الرابع: التوقف مطلقاً

كما في الخلاف والقواعد والتهذيب والمختلف والمنية والدروس والمسالك والكافية، والمحكي في المعالم عن السيد ابن طاووس، بل نسب إلى المشهور بين علماء الإسلام.

قال الشيخ الطوسي: "إذا شهد اثنان بالجرح وأخران بالتعديل وجب على العاكم أن يتوقف... ديلنا أنه إذا تقابل الشهادات ولا ترجح لأحد الشاهدين وجب التوقف"^(٦٤).

القول الخامس: العمل بالمرجحات إن كانت وإن فالتوقف

هذا القول يتعامل مع أقوال علماء الرجال كما يتعامل مع الأمارات في حال تعارضها، فلا بد من أن يجتهد في هذه الأقوال بالرجوع إلى المرجحات والقرائن إن وجدت على حسب اجتهاد الفقيه واطمئنانه، وإن فيحكم بالتساقط والتوقف في حال الرواية، لأن دليل الحجية لا يشمل القولين معاً لأن ماله إلى التبعد بالمتنافيين، ولا يمكن الترجيح بلا مرجع.

ومن ذهب إلى ذلك السيد جمال الدين بن طاووس على ما حكاه صاحب المعلم أنه قال: إن كان مع إدراهما رجحان يحكم التدبر الصحيح باعتباره، فالعمل على الراجح، وإن وجب التوقف^(٦٥). وتبناه صاحب المعلم بقوله تعليقاً على الكلام الذي ساقه لابن طاووس: "وما قاله هو الوجه"^(٦٦)، وهو ما استقرت عليه كلمة المحققين من العلماء.

وقد حاول بعض العلماء ذكر مجموعة من المرجحات على نحو الضابطة العامة، و وقعت محلاً للبحث بينهم، نذكر منها:

- ترجيح المدح والذم الصادر من الإمام علّي عليه قول الرجال
إذا وردت روایة معتبرة دالة على وثاقة أو ضعف الرواية، وعارضها قول الرجال، فيرى بعض العلماء ترجيح قول المعصوم علّي عليه على أقوال علماء الرجال، سواء كان نص المعصوم عاماً كما روی عن الإمام العسكري علّي عليه: «خنعوا مارووا وذرعوا مارأوا»^(٦٧)، فلا يخرم كلية المعصوم علّي عليه إلا هو^(٦٨). أم كان خاصاً كما في تزكية الإمام علّي للملعنى بن خنيس وداد الرقي، وجابر بن يزيد الجعفي، أو جرح الإمام لأبي الخطاب محمد بن مقلاص، لعدم مقاومة قول الرجال للدليل الواقعي المعصوم^(٦٩).

وذهب العلامة المامقاني في قبال ذلك إلى الأخذ بأقوافهما إفاده للظن سواء كان

الأقوى هو قول الرجالي أم خبر العصوم عليه السلام، لأن المدار في التوثيقات والترجم على ما يفيد الظن عنده، فيلزم المجتهد تحري أقوى الظنين في الرجل^(٧٠).

إلا أن السيد الخوئي لم يرتضى كل ذلك، وذهب إلى عدم إمكان الترجيح بينهما، فيكون مالهما إلى التساقط، لأن الحكم بصدور الكلام من الإمام يتوقف على شمول دليل حجية الخبر هذه الرواية، ولا يمكن ذلك لعارضته بشمول دليل الحجية نفسه لشهادة الرجالي المعارضة، فيسقط دليل الحجية بالمعارضة^(٧١).

- الترجح بالأكثر عدداً

يقول الشيخ البهائي العالمي: "الأولى التعويل على ما يثمر غلبة الظن، كالأكثر عدداً أو ورعاً أو ممارسة"^(٧٢).

وقال السيد علي النقوي الهندي: "المختار أنه متى اجتمع جرح وتعديل قاطبة، ولم يمكن الجمع بحمل الثاني على الظاهر، والأول على نفس الأمر مثلاً، بني على المرجح من كثرة العدد وغلبة التورع، وأمثال ذلك"^(٧٣).

إلا أن ترجح قول الأكثر عدداً وإن كان يقوى احتمال الصدق إلا أنه لا ينفي دليل حجية القول الآخر، فيبقى القول الآخر على ما هو عليه من الحجية، إلا بناءً على القول بأن الأخذ بأقوال الرجالين من باب الظن الاجتهادي. اللهم إلا أن تكون الكثرة كاثرة فيحصل الاطمئنان لكثرة المزكين أو الجارحين، فيقال بتقاديم الأكثر حينئذ، وهذا يختلف باختلاف الموارد والمقامات.

يقول السيد الميرداماد: "والتحقيق أن شيئاً منهما ليس أولى بالقاديم من حيث هو جرح أو تعديل وكثرة الجارح أو المعدل أيضاً لا اعتداد بها"^(٧٤).

- الترجح بصفات الرجال

بأن يقدم قول الإمامي على غير الإمامي، ويرجح بالأعدلية والأفقية والأورعية المذكورة في مقبولة عمر بن حنظلة^(٧٥)، أو يقدم الأمهر والأدق في علم

الرجال.

يقول السيد الميرداماد: "الأحق بالاعتبار في الجارح والمعدل قوة التمهر وشدة التبصّر وتعمّد التمرن على استقصاء الفحص وإنفاق المجهود" ^(٧٦).

وطبقوا ذلك على الواقع، وذكروا قواعد، منها:

أولاً: تقديم قول النجاشي على الشيخ الطوسي: وهذا ما يظهر من عبارت الكثير من العلماء، قال الشهيد الثاني: "ظاهر حال النجاشي أنه أضبط الجماعة وأعترفهم بحال الرجال" ^(٧٧).

وقال السيد بحر العلوم: "وللنّجاشي تقدم على الشيخ في هذه المقامات كما يعلم بالمارسة" ^(٧٨). وقد استشهد السيد بحر العلوم بكلمات كثيرة من العلماء في هذا الشأن.

يقول السيد حسن الصدر: "رجح جماعة من أصحابنا حكاية النجاشي في الجرح والتعديل على حكاية الشيخ لتسريعه، وكثرة تأليفه في العلوم الكثيرة، ولذلك عظم الخلل في كلامه، فتراه يذكر الرجل تارة في رجال الصادق عليه السلام، وأخرى في رجال الكاظم عليه السلام، وتارة فيمن لم يرو، مع القطع بالاتحاد" ^(٧٩).

وقال الشيخ جعفر السبحاني: "إذا تعارضت تزكية النجاشي مع جرح الشيخ، فيقدم الأول على الثاني، وما هذا إلا لأن النجاشي كان له إماماً واسعاً بهذا الفن في حين أن الشيخ مع جلالته، صرف عمره الشريف في علوم شتى" ^(٨٠).

وعمدة هذه الدعوى وجوه ^(٨١):

الأول: تأخر تصنيف رجال النجاشي عن كتابي الشيخ، فهو ناظر إليهما محيط بمحطهما، ولذلك نجد النجاشي يرد على ما ذهب إليه الشيخ في موارد عديدة.

الثاني: كثرة انشغال الشيخ الطوسي لتشعب علومه وكثرتها وعدم تمركز



فكره في الرجال بخلاف النجاشي.

الثالث: تضلع النجاشي بعلم الأنساب وأخبار القبائل وخصوصياتهم بخلاف الشيخ، وهذا له مدخلية واضحة لمعرفة أحوال الرجال.

الرابع: إن أكثر الرواية من أهل الكوفة وأطراها، والنجاشي كوفي بل من وجوه أهل الكوفة فهو أخبر بأحوالهم.

الخامس: كثرة صحبة النجاشي للغضائري وهو خرّيت هذا الفن، ولم يتفق ذلك للشيخ.

ال السادس: تقدم النجاشي على الشيخ لأنّه أكبر سنّاً منه، ولذا أدرك كثيراً من العارفين بفن الرجال والأنساب بخلاف الشيخ.

وسيأتيك مناقشة ذلك عند الرد على أصل دعوى الترجيح بصفات الرجال، مضافاً إلى إنكار أضبطة وخبروية النجاشي على الشيخ، يقول السيد حسن الصرد: "الشيخ أشدّ مراساً في ذلك من النجاشي".^(٨٢)

ثانياً: تقديم قول الكشي على النجاشي: قد جنح الفاضل الموجوني إلى تقديم قول الكشي على قول النجاشي نظراً إلى أنه أقدم زماناً، وأبصر بأحوال الرجال وحقيقة الحال وذهب إلى ذلك الشيخ البهائي، وفخر الدين الطريحي في مجمع البحرين، وابن داود والسيد التفرشي وغيرهم.^(٨٣)

وعورض ذلك بأن النجاشي أضبط علماء الرجال كما تقدم، إضافة إلى تفطن النجاشي لأغلاط الكشي، حيث إن النجاشي تعرّض لحال الكشي وقال: "له كتاب الرجال، كثير العلم، وفيه أغلاط كثيرة".^(٨٤)

إلا أن الحق المُحق الذي مال إليه المحققون من العلماء المعاصرين، عدم صحة الترجيح بصفات الرجال، إلا إذا قلنا أن اعتبار قول الرجالي من باب الظن الاجتهادي، أو قول أهل الخبرة، فيقدم الأعلم والأكثر خبرة، أمّا إذا كانت

أقوالهم حجّة من باب حجّية خبر الثقة أو العلم الحسّي فدليل الحجّية شامل لكلا القولين، لعدم الدليل على الترجيح بأمثال ذلك في البين، ومقتضى القاعدة هو سقوط كلتا الشهادتين عند التعارض، إلا إذا دلت القرائن المعتبرة أو المورثة للأطمئنان على سقوط كلام أحدهما عن الاعتبار والاعتماد.

وقد ذكر السيد الخوئي أنه يمكن الاعتماد على الأضبطة لو كان الاختلاف بين الرجالين في مجرد النقل والإخبار، إلا أنه لما كانت أقوال علماء الرجال متضمنة لتبنيه وشهادته بما يخبر به فلا يمكن التعويل على الأضبطة في المقام، فإنه وإن كان قبولنا لأقوالهم من باب خبر الثقة إلا أن هذا الإخبار مشوب بتبنيه واعتقاده بصحة ما يخبر به، يقول السيد الخوئي: "أنك قد عرفت من الشيخ قدسُه تضييف عبد الله بن أبي زيد، وعرفت من النجاشي توثيقه، وقد يقال: إن توثيق النجاشي لأضبطيته يقدم على تضييف الشيخ، وهذا كلام لا أساس له، فإن الأضبطة لو أفادت فإنما تقيد في مقام الحكاية لا في مقام الشهادة، وبعدما كان كل من الشيخ والنحاشي -قدس سرهما- يعتمد على شهادتهما لا يكون وجه لتقديم أحدهما على الآخر، فهما متعارضان، وبالنتيجة لا يمكن الحكم بوثاقة عبد الله بن أبي زيد فلا يحكم بحجّية روایته، والله العالم".^(٨٥)

ثانياً: التعارض في كلام العالم الواحد:

يتافق في بعض الأحيان أن يصدر تضييف لرجل من قبل أحد علماء المحرّج والتتعديل وقد وثّقه نفس هذا العالم في مبحث أو كتاب آخر، كمحمد بن سنان، حيث قال عنه المفيد: "إنه من خاصة الإمام الكاظم عَلَيْهِ وِتَحْتَهُ وَأَهْلِ الْوَرَعِ وَالْعِلْمِ وَالْفَقْهِ مِنْ شَيْعَتِهِ"^(٨٦)، إلا أنه ضعفه في رسالته التي ألفها في كمال شهر رمضان ونقصانه حيث قال بعد نقل رواية دالة على أنه ثلاثةون يوماً لا ينقص أبداً: "وهذا حديث شاذ نادر غير معتمد عليه، في طريقه محمد بن سنان وهو مطعون فيه لا



يختلف العصابة في تهمته وضعفه، وما كان هذا سببه لم يعلم عليه في الدين^(٨٧).

وكذا الحال بالنسبة لumar بن موسى الساباطي، الذي وثقه الشيخ الطوسي في التهذيب حين قال: "غير آنَا لا نطعن عليه بهذه الطريقة، لأنَّه وإنْ كان كذلك فهو ثقة في النقل لا يطعن عليه فيه"^(٨٨)، وقال في الاستبصار أنَّ عماراً: "ضعيف فاسد المذهب لا يعمل على ما يختص بروايته"^(٨٩).

وفي المسألة أقوال:

القول الأول: حمل كلامه على اختلاف الأحوال

ذهب العلامة المامقاني إلى أنه إذا تعارض كلام أحد الرجالين في راوٍ بعينه، يحمل كلامه على كونه ثقة في حال وضعيف في حال آخر، فإذا ذكر رجلاً في أصحاب الإمام الباهر عليه السلام مثلاً ووثقه، وذكره في أصحاب الإمام الصادق عليه وضعيته، فيكون الراوي ثقة في نقله عن الإمام الباهر عليه السلام وضعيفاً في نقله عن الإمام الصادق عليه السلام^(٩٠).

القول الثاني: تقديم قوله المتأخر

فيؤخذ بقوله الأخير لاحتمال عدوله عمّا قاله أولاً، فالكلام هنا كفتاوي الفقهاء، فإنه يترك المتقدم منه ويؤخذ بالتأخر، وذهب إليه جمُّعُ منهم الشيخ آصف محسني^(٩١).

القول الثالث: التساقط

وهو مختار أكثر الحقيقة، ومنهم السيد الحوئي قده حيث ردّ على دعوى الأخذ بالقول المتأخر بأنَّ قياس قول الرجال بالفتوى قياس مع الفارق، لأنَّ العبرة بزمان المحكي عنه دون زمن الحكاية، وبين المحكيتين تقع المعارضه لا محالة، وهذا بخلاف الفتوى، فإنَّ العبرة فيها بزمان الفتوى، فيؤخذ بالتأخر منها^(٩٢).

ثالثاً: التعارض الثلاثي المزدوج:

لو تعارض توثيق الرجالي الواحد مع تضعيفه وكان هناك قول لرجالي آخر بالنسبة إلى هذا الرواى، فهل يدخل الرجالي الآخر في دائرة التعارض مع قوله الرجالي الأول وبالتالي يلزم من ذلك تساقط الأقوال الثلاثة، أم أنه يتتساقط قوله الرجالي الأول في رتبة سابقة، فيبقى كلام الشخص الآخر على حاله؟

ويكن أن يمثل لذلك بسهل بن زياد الأدمي، الذي ضعفه الشيخ الطوسي في

الفهرست^(٩٣)، ووثقه في الرجال^(٩٤)، ويوجد للنجاشي في حقه تضعيف^(٩٥).

وتختلف النتيجة باختلاف المبنى المختار في حجية قول الرجالي، وذلك لأنّه:

- إن قلنا بأن قول الرجالي حجّة من باب حجية قول الخبر، هنا نحن لم نحرز رأي الشيخ حتى يكون معارضاً لرأي النجاشي، نتيجة وجود كلامين للشيخ والحجّة ما يستقر عليه نظر الخبر لا ما يصدر منه وهنا لا يعلم ما هو الذي استقر عليه نظر الشيخ لعدم إحراز التقدم والتّأخّر في كلاميه، فيبقى كلام النجاشي سالماً عن المعارضة.

- وإن قلنا أن ملاك الحجية هو الإخبار، فالشيخ له إخباران والنّجاشي له إخبار. وإخبار الشيخ بالوثيقة معارض لإخبارين أحدهما منه والأخر من النجاشي إذ العبرة في الإخبار بالمحكي لا بالحاكي فيكون التعارض ثلاثياً، وهذا هو مختار السيد الخوئي^(٩٦).

- أمّا إذا قلنا بأن مدرك حجية قول الرجالي لا الإخبار بما هو إخبار وإنما العلم الحسّي هنا قد يقال بإختيار شق الترديد الثاني، بمعنى تساقط الكلامين المتعارضين للرجالي الواحد في رتبة سابقة عن الأخذ بقول الرجالي الآخر، فيبقى كلامه سالماً عن المعارضة وذلك لأحد وجهين:

الأول: أن صدور كلامين متنافيين عن شخص واحد يجب ذلك حملهما

على الإخبار الحدسي الاجتهادي، فيسقط كلامها عن الاعتبار، ويبيقى كلام الرجال الآخر على ظاهر الحس، فيعمل به^(٩٧).

الثاني: مادمنا نحتمل أنّ الشيخ أدرك اشتباهه في المنشأ الحسي فوائق أو ضعف فقد تغيّر علمه الحسي، فلم نحرز علمين حسينين في كلام الشيخ فلا يمكن أن يقال بأن توثيقه معارض لتضعيفين.

- وأما إن قلنا ببني السيد السيستاني خطأه، بأن المدار على الكشف العقلائي، فالعقلاء متى تعارض كلام إنسان يقولون صدر منه كلامان إذاً ليس لكلاميه كشف عقلائي، فيبقى تضليل النجاشي بلا معارض^(٩٨).

الهوماش:

- (١) تاج الدين السبكي، قاعدة في المجرح والتعديل ص ٢٠.
- (٢) رسالة في المجرح والتعديل ص ٤٧.
- (٣) علل الحديث ص ٣٢١.
- (٤) إرشاد النقاد ص ١١٠.
- (٥) تنقية المباني الرجالية ج ١ ص ٤٤ - ٤٥.
- (٦) رجال النجاشي ص ٤١٧.
- (٧) الغيبة ص ٣٤٧.
- (٨) محمد بن الحسن الطوسي، اختيار معرفة الرجال ج ٢ ص ٦٧٥.
- (٩) معجم رجال الحديث ج ١٩ ص ٢٦٨ - ٢٦٩.
- (١٠) محمد حسين الحائري، الفصول الغروية ص ٣٠٢.
- (١١) الحدائقي الناضرة ج ١ ص ٢٣.
- (١٢) تنقية الأنظار ج ٢ ص ١٦٧.
- (١٣) محسن الإصلاح ص ٢٩٤.
- (١٤) الكفاية ص ١٠٧.

- (١٥) علوم الحديث ص ١٠٩.
- (١٦) قاعدة في الجرح والتعديل ص ١٩.
- (١٧) نزهة النظر ص ١٣٩.
- (١٨) فتح المغثث ج ١ ص ٣٠٩.
- (١٩) الرفع والتكميل ص ١٢٠.
- (٢٠) قواعد في علوم الحديث ص ٣٤٨.
- (٢١) قاعدة في الجرح والتعديل ص ١٩.
- (٢٢) هدي الساري ص ٣٨١.
- (٢٣) الكفاية ص ١٠٧.
- (٢٤) جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي ج ١ ص ٣٦٥.
- (٢٥) فتح المغثث ص ١٦١.
- (٢٦) محسن الإصلاح: ٢٩٤.
- (٢٧) فتح المغثث ج ٣ ص ٣٥٨.
- (٢٨) التنكيل ج ٢ ص ١٥.
- (٢٩) الكفاية ص ١٠٦.
- (٣٠) حكاه عنه: الخطيب البغدادي، الكفاية ص ٤١.
- (٣١) ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل ص ١٠٢.
- (٣٢) النكت على مقدمة ابن الصلاح ج ٣ ص ٣٦١.
- (٣٣) التاريخ ج ٤ ص ٢٧٢.
- (٣٤) هدي الساري ص ٤٠٧.
- (٣٥) قواعد في علوم الحديث ص ٤٢٩.
- (٣٦) فتح المغثث ج ١ ص ٢٨٨.
- (٣٧) عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، ضوابط الجرح والتعديل ص ٦٣.
- (٣٨) ذكر من اختلف العلماء ونقّاد الحديث فيه ص ٧٠.
- (٣٩) العدة في أصول الفقه ج ١ ص ٣٨١.
- (٤٠) محمد بن الحسن الطوسي، اختيار معرفة الرجال ج ٢ ص ٧٠٥.

- (٤١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٥٠٧.
- (٤٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٤٠٥.
- (٤٣) السيد أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث ج ٢١ ص ٨٩.
- (٤٤) على أكبر السيفي المازندراني، مقياس الرواية في كليات علم الرجال ص ٢٣٦.
- (٤٥) رجال النجاشي ص ٣٣٥.
- (٤٦) رجال الطوسي ص ٣٦٣.
- (٤٧) رجال ابن الغضائري ص ٩٣.
- (٤٨) لاحظ: مسلم الداوري، أصول علم الرجال ج ١ ص ٤٠٧.
- (٤٩) معجم رجال الحديث ج ١٧ ص ٧٣.
- (٥٠) ميرزا غلام رضا عرفانيان البازدي، مشايخ الثقات، الحلقة الأولى ص ٤٦، ناسباً ذلك إلى السيد الشهيد محمد باقر الصدر في بعض أبحاثه الفقهية.
- (٥١) السيد أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث ج ١٤ ص ١١٦.
- (٥٢) المصدر نفسه ج ١٠ ص ٦٣.
- (٥٣) عبد الهادي الفضلي، أصول علم الرجال ص ١٦٠.
- (٥٤) شرائع الإسلام ج ٤ ص ٨٦٨.
- (٥٥) معارج الأصول ص ١٥٠.
- (٥٦) مختلف الشيعة ج ٨ ص ٤٢٤.
- (٥٧) معالم الأصول ص ٢٠٦.
- (٥٨) جواهر الكلام ج ١٣ ص ٢٩٧.
- (٥٩) مبادئ الوصول ص ٢١١.
- (٦٠) الرعاية في علم الدرایة ص ١١٧.
- (٦١) نهاية الدرایة ص ٣٧٩.
- (٦٢) مقياس الهدایة ج ١ ص ٣٩٢.
- (٦٣) محمد حسن المازندراني، نتيجة المقال ص ٧٧.
- (٦٤) الخلاف ج ٦ ص ٢٢٠.
- (٦٥) معالم الأصول ص ٢٠٧.

(٦٦) المصدر نفسه.

(٦٧) محمد بن الحسن الطوسي، الغيبة ص ٣٩٠.

(٦٨) انظر: مهدي الاهدوی الطهراني، تحریر المقال ص ١٢٢.

(٦٩) السيد علي الحسيني الصدر، الفوائد الرجالية ص ٣٥٦.

(٧٠) تنقیح المقال ج ٢ ص ٣٧٧.

(٧١) معجم رجال الحديث ج ٨ ص ١٣٠.

(٧٢) الوجيزة ص ١٨.

(٧٣) الجوهرة العزيزة في شرح الوجيزة ص ٤٣٨.

(٧٤) الرواوح ص ١٠٤.

(٧٥) رواها: محمد بن يعقوب الكليني، الكافي ج ١ ص ٦٧. محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٣٠١، ومحمد بن علي بن الحسين الصدوق، من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٨.

(٧٦) الرواوح ص ١٠٤.

(٧٧) مسالك الأفهام ج ٧ ص ٤٦٧.

(٧٨) رجال السيد بحر العلوم ج ٢ ص ٤٦.

(٧٩) نهاية الدرایة ص ٣٨٢.

(٨٠) دروس موجزة في علمي الرجال والدرایة ص ١٩٥.

(٨١) انظر: السيد بحر العلوم، رجال السيد بحر العلوم ج ٢ ص ٤٦.

(٨٢) نهاية الدرایة ص ٣٨٤.

(٨٣) حکى هذه الأقوال: أبو المعالي الكلباسي، الرسائل الرجالية ج ٢ ص ٣٠٠.

(٨٤) رجال النجاشي ص ٣٧٢.

(٨٥) معجم رجال الحديث، ج ١١ ص ٩٨.

(٨٦) الإرشاد ج ٢ ص ٢٤٨.

(٨٧) جوابات أهل الموصل ص ٢٠.

(٨٨) تهذيب الأحكام ج ٧ ص ١٠١.

(٨٩) الاستبصار ج ١ ص ٣٧٢.

(٩٠) تنقیح المقال ج ١ ص ٥١٧.

- (٩١) بحوث في علم الرجال ص ١١٢.
- (٩٢) انظر: معجم رجال الحديث ج ٩ ص ٣٥٧.
- (٩٣) الفهرست ص ١٤٢.
- (٩٤) رجال الطوسي ص ٣٨٧.
- (٩٥) رجال النجاشي ص ١٨٥.
- (٩٦) انظر: معجم رجال الحديث ج ٩ ص ٢٧ و ص ٣٥٧.
- (٩٧) انظر: مهدي الهاドوي الطهراني، تحرير المقال ص ١٢٤.
- (٩٨) من إفادات ساحة آية الله العالمة السيد منير الخباز في مجلس درس القواعد الفقهية لسنة ١٤٣٤ هـ التطبيق السادس عشر.

تعارض البرج والتعديل عند السنة والشيعة

الشيخ حسين فؤاد المزوف



Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

● Advisory Board :

Sh. Abdulla Ali Al daqaq
Sh. Ali Fadhel Alsadadi
Sh. Ghazi Abdulhassan

● General Supervisor :

Sh. Abdulraoof Hassan Alrabia

● Editor in Chief:

Sh.mohammed ali khatam

● Editor in Director:

Sh.husain fuad Almarzooq

● Chairman of the Editorial Board:

Sh.Aziz Hassan Salman

● Editorial Board:

Sh.husain ali abu rwais

Sh.m.bager khalil Alshaikh



A Periodical Magazine Issued by the
Bahraini Students
of the Educational Hawza the
Holy City of Qom

